لآلئ محبة الرسول ﷺ

تأليف

سليمان سامي محمود

راجعه

الشيخ/ طه عبد الرءوف سعد

من علماء الأزهر الشريف

الناشر

دار الخلود للتراث

٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة

ت ٥٩١٩٧٢٦ – محمول :٠١٢٣٩٢٠١٩٦

دار جرش

٢١ ش الإمام محمد عبده بالأزهر الشريف

ت: ٠١٠٣٧١٥٧١٤

اسم الكتاب: لآلئ محبة الرسول ﷺ

اسم المؤلف: سليمان سامى محمود

مراجعة: طه عبد الرءوف سعد

الناشر: دار الخلود – دار جرش

العنوان: ٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة – ٢١ ش الإمام محمد عبده بالأزهر الشريف

الطبعة: الأولى يناير ٢٠٠٦ م

رقم الإيداع بدار الكتب:

٢٠٠٥/٢٠٨٢٠٣

الترقيم الدولى:

٩- ٠٦- ٦١٧٧- ٩٧٧

دار الخلود للتراث – دار جرش
ت/ ٠١٢٢٣٩٢٠١٩٦ & ٠١٠٣٧١٥٧١٤ & ٥٩١٩٢٦ & ٥٠٦٩٥٨٢
E-mail:dar_alkholoud@Hotmail.com
E-mail:dar_alkholoud@Yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي فتح على قلوب أحبابه من فيح محبته فعبق فيهم نشره وفاح، وشرح صدور أوليائه بنور معرفته فأشرق عليهم نوره ولاح، أحياهم بين رجائه وخشيته، وغذاهم بولايته ومحبته فلا تسأل عما هم فيه من السرور والأفراح، فسبحان من جعل ذكره قوت القلوب وقرة العيون وسرور النفوس وروح الحياة وحياة الأرواح، وتبارك الذي من خشيته تتجافى عن المضاجع الجنوب، وترجى رحمته، وتتنفس عن نفوس الخائفين الكروب، وبروح محبته تطمئن القلوب وترتاح، ما طابت الدنيا إلا بذكره ومعرفته، ولا الآخرة إلا بقربه ورؤيته، فلو احتجب عن أهل الجنة لاستغاث أهل الجنة في الجنة كما يستغيث أهل النار في النار وأعلنوا بالصياح، فكل قلوب تألهت سواه فهي فاسدة ليس لها صلاح، وكل صدور خلت من هيبته وتقواه فهي ضيقة ليس لها انشراح، وكل نفوس أعرضت عن ذكره فهي مظلمة الأرجاء والنواح- ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾(النور: ٣٥) أحمده وأشكره حمدا وشكرا دائما بدوام الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بعثه مُفصحا بتوحيده أيَّ إفصاح، موضحا لعبيده سبيل الهدى كل الإيضاح فلم يزل صلى الله عليه وسلم يُعرّف بالله حتى ظهر توحيده في جميع النَّواح ويخوّف بالله حتى لانت القلوب القاسية وصلحت كل الصلاح، ويُذَكر بآلاء الله حتى انشرحت القلوب بمحبته أعظم انشراح، صلى الله عليه وسلم صلاة تكون سببا للفلاح فحي على الصلاة وحي على الفلاح.

أما بعد فإن الله خلق الخلق وأوجدهم لعبادته الجامعة لخشيته ورجائه ومحبته كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾(الذاريات: ٥٦) .وإنما يُعبد سبحانه بعد العلم به ومعرفته فلذلك خلق السموات والأرض وما فيهما

للاستدلال بهما على توحيده وعظمته كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾(الطلاق: ١٢) وقد عُلم أن العبادة إنما تنبني على ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والمحبة، وكل منها فرض لازم، والجمع بين الثلاثة حتم واجب، فلهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها وأهمل الآخرين، فإن بدَع الخوارج ومن شابههم إنما حدثت من التشديد في الخوف والإعراض عن المحبة والرجاء، وبدَع المرجئة نشأت من التعلق بالرجاء وحده والإعراض عن الخوف والمحبة، و بدَع كثيرٍ من أهل الإباحة والحلول ممن ينسب إلى التعبد قد نشأت من إفراد المحبة والإعراض عن الخوف والرجاء.

وقد كثر في المتأخرين المنتسبين إلى السلوك تجريد الكلام في المحبة وتوسيع القول فيها بما لا يساوي على الحقيقة مثقال حبة إذ هو عارٍ عن الاستدلال بالكتاب والسنة وخالٍ من ذكر كلام من سَلَفَ من سلفِ الأمة وأعيان الأئمة وإنما هو مجرد دعاوى قد تشرف بأصحابها على مهاوي، وربما استشهدوا بأشعار عشاق الصور وفي ذلك ما فيه من عظيم الخطر، وقد يحكون حكايات العشاق ويشيرون إلى التأدب بما سلكوه من الآداب، وقد يكثر ذكر المحبة ويعيدها ويبديها من هو بعيد عن التلبس بمقدماتها ومباديها، وما أحسن قول ذي النون رحمه الله تعالى وقد ذُكر عنده الكلام في المحبة فقال: اسكتوا عن هذه المسألة حتى لا تسمعها النفوس فتدعيها فإن النفوس ممتلئة من الكبر والفخر والغرور والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبيْ زور، وكثيراً ما تقترن دعوى المحبة بالشطح بما ينفي العبودية من الأقوال والأفعال.

ولما كان أساس الإيمان ومنشأه هو حب الله ورسوله لقوله ﷺ: ((**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**)) ولما كان الأمر كذلك، فقد سبق أن قمت بجمع ما ورد

في الكتاب والسنة وكلام أولياء الله الصالحين ومن سلك سبلهم من العارفين بالله في محبة الله جل وعلا، وعلامات المحبة وطرقها ولوازمها ومقتضياتها وقدمتها للأمة الإسلامية في كتاب سميته " **الحب الإلهي**".

ونظرا لأن الإيمان لا يكمل إلا بمحبة رسول الله ﷺ، فقد قمت باستكمال هذا العمل بأن قدمت للمسلمين الشطر الثاني من المحبة ألا وهو محبة رسول الله ﷺ وهو الكتاب الذي بين أيدينا ويشتمل على اثنين وعشرين باباً هي :

الباب الأول: التكريم الإلهي للمصطفى ﷺ.

الباب الثاني: عظيم قدره ﷺ.

الباب الثالث: الخصائص التي فُضل بها الرسول على جميع الأنبياء ولم يعطها نبي قبله.

الباب الرابع: الأحاديث التي تبرز خصائصه وخصائص أمته ﷺ.

الباب الخامس: في مكارم أخلاقه ﷺ.

الباب السادس: في فضائل المصطفى ﷺ.

الباب السابع: الفرق بين فضائل الأنبياء وفضائل الرسول ﷺ.

الباب الثامن: أُرسل ﷺ رحمة للعالمين.

الباب التاسع: في شفاعته ﷺ.

الباب العاشر: في معنى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

الباب الحادي عشر: فضل الصلاة والسلام على النبى ﷺ.

الباب الثاني عشر: من صيغ الصلوات المأثورة عن النبى ﷺ.

الباب الثالث عشر: في وجوب محبته ﷺ.

الباب الرابع عشر: في علامات محبته ﷺ.

الباب الخامس عشر: في ثمرات محبته ﷺ.

الباب السادس عشر: في وصف حلية الرسول ﷺ.

الباب السابع عشر: سُبُل الاجتماع برسول الله ﷺ.

الباب الثامن عشر: أمثلة لرؤية الرسول ﷺ مناما.

الباب التاسع عشر: أمثلة لرؤية الرسول ﷺ يقظة.

الباب العشرون: التوسل بسيد الخلق ﷺ.

الباب الحادي والعشرون: شطحات أهل المحبة.

الباب الثاني والعشرون: نبراس الوصول إلى محبة الله والرسول ﷺ.

وهكذا الكتاب الذي بأيدينا وما سبقه من كتب مثل موسوعة الدعاء المبارك ودعاء الأنبياء والرسل وأدعية أركان الإسلام، والنور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، والحج بين الشريعة والحقيقة، وتيسير مناسك الحج والعمرة، والحب الإلهي، جميعها قدمتها ابتغاء وجه الله الكريم لم أطلب عليها جزاء ولا شكورا ولا أجرا دنيويا بل قدمتها دون مقابل (مجانا) وقدمتها خدمة للإسلام وتيسيرا على المسلمين متأسيا في ذلك بقول الله تعالى: ﴿ **وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ** ﴾(هود: ٢٩) وبقول رسول الله ﷺ: **((ما أهدى المسلم لأخيه المسلم خيرا من كلمة حكمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ضلالة)).**

والله أسأل أن يعم به النفع لجميع المسلمين إنه سميع مجيب وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلف

سليمان سامى محمود سامى

الباب الأول

التكريم الإلهي للرسول ﷺ

إن سبيل السعادة الحقيقية، وطريق الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، وسر الوصول إلى رضوان الله تعالى ومحبته هو الاستغراق التام والفناء الكلي في محبة سيد المخلوقات وأشرف الموجودات سيدنا محمد إمام الأنبياء وقدوة الأصفياء القائل: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**)).

وباسم هذا الحب، وبأنوار هُداه، نُحلق في هذا الجو بأجنحة من الشوق والهيام متخذين من إيماننا برسول الله ﷺ سبيلا للروح والريحان، نعطر أرواحنا ونسمو بوجداننا لنتذوق نعيم محبته، ونسعد بجميل مودته.

وكيف نتكلم عن محبته ﷺ وهي أعز من أن يترجمها قلم أو يوضحها بيان، فهي عالم أسمى من أن يوصف بتعبير أو يُشار إليه بتفكير وإنما هي رقائق روْحية يتصورها القلب ويتذوقها المحب، ويَنعَمُ بها العاشق ولا يستطيع الإفصاح عنها لأنها فوق التصور والخيال، ولذلك قال بعض المحبين حينما حلّقَتْ روحه في نور الصفاء، وذاقت من رحيق الرضا: " إن قلبي ليسكن اليوم عالما لا يعرف غيري عنه شيئا ولو سُئِلتُ ما بي لأعجزني أن أجيب " فهو عالم يُذاق جماله ونوره، لا تراه إلا عيون المحبين، تترقرق حوله أنوار العزيز الرحيم، ولذلك تجد الصادقين صادقين في محبتهم لحبيب الله ﷺ.

وإن سيدنا رسول الله ﷺ هو سيد الوجود وأشرف موجود، وأحب الخلق إلى الملك المعبود، ولذلك كرمه الله تكريما لم ينله أحد من العالمين: فذكر في القرآن الكريم اسمه وبلده وعصره وأمته، ونساءه وأصحابه وصوته ولسانه وعينه وبصره وفؤاده وقلبه ووجهه وظهره وصدره وأذنه وعقله وملابسه وحجراته وكل ما يتصل به صلوات الله وسلامه عليه. فأي تكريم بعد هذا التكريم العظيم، وأي محبة بعد هذه المحبة الإلهية.

وفيما يلي بعض الآيات القرآنية التي تشير إلى ذلك:

١- ذكر في القرآن الكريم اسمه ﷺ. قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(الفتح: ٢٩) وذكر أيضا أسماء أخرى منها: ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾(الصف: ٦) وأقسم المولى عز وجل باسمه المبارك على تحقيق رسالته. قال تعالى: ﴿ يس ۞ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(يس: ١- ٤) وقال تعالى: ﴿ طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾(طه: ١- ٢)

٢- وذكر بلده التي نشأ فيها، وأقسم بها تكريما لحلوله فيها قال الله تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۞ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾(البلد: ١- ٢)

٣- ذكر عصره الذي كان يعيش فيه، وأقسم به تكريما لذاته الشريفة وحياته العظيمة. قال الله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾(العصر: ١- ٢)

٤- وذكر أمته وجعلها خير الأمم، وأشهدها على الأمم جميعا تكريما وتشريفا لمقامه السامي ولمنزلته الرفيعة. قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(آل عمران: ١١٠)

٥- وذكَرَ نساءَهُ صلوات الله وسلامه عليه، وفضلهن على نساء العالمين، وجعلهن أمهات المؤمنين مراعاة لحرمته ﷺ: قال الله تعالى: ﴿ النبى أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (الأحزاب: ٦).

٦- وذكر أهل بيته ﷺ وطهرهم وأعلى مقامهم إكراما لذاته الشريفة ومكانته العالية عند ربه سبحانه، وأمر المؤمنين ببرهم ومودتهم وفاءً لمقامه العظيم، ورسالته الباقية. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾(الأحزاب: ٣٣) وحث على برهم ومودتهم قال تعالى: ﴿ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾(الشورى: ٢٣).

٧- وذكر أصحابه ﷺ وفضلهم على غيرهم وما ذلك إلا تكريما لصحبتهم لسيد العالمين ﷺ قال الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ

عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً ﴾ (الفتح: ٢٩) وكذلك ذكر بعضهم كسيدنا أبي بكر الصديق رضى الله عنه فقال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾(التوبة: ٤٠)

٨- ذكر صوته ﷺ ونطقه ولسانه الشريف وكرم صوته حتى جعل رفع الصوت في حضرته صلوات الله وسلامه عليه مُحبط للأعمال قال الله تعالى: ﴿ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النبى ولا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُون ﴾ (الحجرات: ٢) وكرم نطقه الشريف بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾(النجم: ٣، ٤) وذكر لسانه الشريف بقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾(النجم: ٣، ٤)

٩- وذكر يديه ﷺ وجعل يده الشريفة نيابة عن يد الحق تبارك وتعالى فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح: ١٠) وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾ (الإسراء: ٢٩).

١٠- وذكر بصره ﷺ وحفظَهُ من الزيغ والطغيان، وأنه بصرٌ مطهَّرٌ محفوظ بالعناية الإلهية. قال تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾(النجم: ١٧). وذكر عينيه الشريفتين بقوله تعالى: ﴿ ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾(طه: ١٣١).

١١- وذكر فؤاده ﷺ وكرمه تكريما عظيما. قال الله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾(النجم: ١١). وكذلك ذكر قلبه الشريف بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾(الشعراء: ١٩٣، ١٩٤).

١٢- وذكر وجهه ﷺ واستجاب لتقلبه في السماء. قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾(البقرة: ١٤٤).

١٣- وذكر صدره صلوات الله وسلامه عليه وأن الله شرحه تكريما وتشريفا لمقامه العظيم قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾(الشرح: ١) . وكذلك ظهره الشريف قال تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾(الشرح: ٢، ٣).

١٤- وذكر أذنه ﷺ وأنها أذن خير للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ ﴾(التوبة: ٦١).

١٥- وذكر عقله ﷺ وكرمه وحفظه من الضلال والزَّيغ. قال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾(النجم: ٢).

١٦- وسماه الله باسمين من أسمائه الحسنى، فسماه: رءوف رحيم قال تعالى: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(النجم: ٢). وسماه سراجا منيرا، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النبى إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾(الأحزاب: ٤٥، ٤٦).

١٧- وجعل رسالته رحمة للعالمين جميعا قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(الأنبياء: ١٠٧). ومبعثه مِنَّةٌ من الله تعالى وفضلا على المؤمنين قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾(آل عمران: ١٦٤).

١٨- ومنحه الفتح والمغفرة والهداية والنصر، ابتداء من الحق تبارك وتعالى قبل الطلب والدعاء. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ۞ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ۞ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾(الفتح: ١ – ٣).

١٩- وشرح الله صدره ﷺ ووضع وزره، ورفع ذكره قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۞ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾(الشرح: ١- ٤).

٢٠- وتولى الله تعالى عصمته ﷺ من الناس والدفاع عنه قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾(المائدة: ٦٧) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ (الكوثر: ٣)

٢١- وأعطاه الله تعالى سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾(الحجر: ٨٧) وأعطاه الله تعالى الكوثر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾(الكوثر: ١). وأعطاه الله

الشفاعة العظمى والمقام المحمود. قال الله تعالى: ﴿ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾(الإسراء: ٧٩). بل وأعطاه الله تعالى حتى يرضى قال الله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾(الضحى: ٥). وأراه آياته قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾(النجم: ١٨).

٢٢- وأقسم الله بحياته ﷺ ولم يُقسم بأحد من البشر قال الله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(الحجر: ٧٢). وأقسم على إنعامه عليه، وعظيم قدره لديه. قال الله تعالى: ﴿ وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (الضحى: ١ - ٣). وأقسم سبحانه على ما خصه به من الخُلُق العظيم وما حباه من الفضل العميم: قال الله تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم: ١- ٤).

٢٣- ولم يبعث الله تعالى نبيا من آدم فمن بعده إلا أُخِذَ عليه العهد أن يؤمن به صلوات الله وسلامه عليه، وينصره ويأخذ بذلك العهد على قومه قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾(آل عمران: ٨١).

٢٤- وأن الله تعالى جعل طاعته ﷺ ومبايعته واتباعه موجباً لمحبته تعالى وسبب لمغفرته. قال الله تعالى: ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾(النساء: ٨٠). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ (الفتح: ١٠). وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(آل عمران: ٣١).

٢٥- وأن الله تعالى علمه ﷺ من لدنه علما وأطلعه على كل شئ، قال الله تعالى ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾(لنساء: ١١٣).

٢٦- أن الله تعالى جعل إتيانه ﷺ واستغفاره لأمته سببا لقبول توبتهم قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ

الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾(النساء: ٦٤).

٢٧- وأن الله تعالى أمر المؤمنين أن يتأدبوا معه ﷺ في النداء. قال الله تعالى: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً ﴾ (النور: ٦٣).

٢٨- وأن الله تعالى رفع العذاب عن أمته إكراما له ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾(الأنفال: ٣٣).

٢٩- وأن الله تعالى جعل الإيمان لا يتم إلا بالتسليم له ﷺ، وتحكيمه فيما بينهم قال الله تعالى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾(النساء: ٦٥).

٣٠- وأن الله تعالى أمر المؤمنين أن يُرضوه صلوات الله وسلامه عليه وأن يتبعوا هديه ويجتنبوا نهيه قال الله تعالى: ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء: ٦٥). وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(الحشر: ٧).

٣١- وأن الله تعالى نادى الأنبياء بأسمائهم كقوله تعالى: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾(مريم: ١٢). وكقوله تعالى: ﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ ﴾(هود: ٤٨). وهكذا مع كثير من الأنبياء ولكنه لم يوجه النداء لحبيبه ﷺ باسمه مجردا بل ناداه بألقاب التكريم والتشريف والتعظيم. قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾(المائدة: ٦٧). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾(الأحزاب: ٤٥).

٣٢- وأن الله تعالى جعل الصلاة والسلام عليه تخرجنا من الظلمات إلى النور وتهدينا إلى الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾(إبراهيم: ١). وقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(الشورى: ٥٢).

٣٣- وأن الله تعالى جعل لحبيبه ﷺ فضلا عظيما يؤتيه للمؤمنين. قال تعالى: ﴿ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾(التوبة: ٥٩).

٣٤- وأن الله تعالى قال لسيدنا موسى: ﴿لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً﴾(الأعراف: ١٤٢). ولكن الله تعالى أشهد حبيبه ﷺ ذاته العلية بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة ولا انحصار ليلة الإسراء من غير سؤال ولا طلب. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾(النجم: ٨ – ١٠) وذلك من أشهر التفاسير.

٣٥- وأن الله تعالى حرم أزواجه على المؤمنين من بعده ﷺ مراعاة لحرمته وجعلهن أمهات للمؤمنين إكراما له قال الله تعالى: ﴿النبى أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(الأحزاب: ٦).

٣٦- وأن الله تعالى جعل محبته ﷺ مقرونة بمحبة الله تعالى وأنها يجب أن تكون مُقدَّمة على كل محبوب لدى الإنسان. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِه﴾(التوبة: ٢٤).

٣٧- وأن الله تعالى رفع ذكره في العالمين قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(الشرح: ٤). ولذلك جعل اسمه صلوات الله وسلامه عليه مقرونا باسمه سبحانه وتعالى في كل أذان وإقامة وتشهد.

ولنقصر العنان، إذ لو تتبعنا ما ورد في عظيم قدره من الآيات والأخبار لطال الخطاب وخرجنا إلى الإطناب ومقصدنا من هذا نبذة لنتبرك بها في هذا الكتاب، وبالجملة فهو عليه الصلاة والسلام أعلى الناس قدرا وأرفعهم ذكرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسنَ وفضلا، فإذا أنت نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وجدته عليه الصلاة والسلام حائزاً لجميعها محيطاً بشتات محاسنها فالصلاة والسلام عليك يا من أرسلك الله رحمة للعالمين.

الباب الثاني

عظيم قدره ﷺ

اعلم أيها الأخ الكريم أن الذي يستعرض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة يجد النصوص الكثيرة، بل والكثيرة جدا التي تنطق وتنبئ وتصرح بمكانة النبي الكريم ﷺ، وبعظم قدره عند ربه عز وجل وبما حباه من النعم، وتفضيله على جميع الخلق، وبإكرامه بخصائص لم يُعطها غيره من الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وسأذكر يا أحباب بعضاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تدل على عظم قدر الرسول ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل وأسأل الله تعالى أن يرزقنا الصدق في القول والإخلاص في العمل والحب الكامل لله ولنبيه ﷺ وأن يحققنا بما يرضاه لعباده الصالحين ويجعلنا من خَدَمَةِ دينه وسُنَّة نبيه ﷺ وأن يقينا الزلات والعثرات ويغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولمن له حق علينا ولأصحاب الفضل علينا وأسأله تعالى أن يجعلها ذخيرة خالصة نافعة ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴾ (الشعراء: ٨٨). إنه نعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم. صلاة تكون لك رضاءً ولحقه أداءً وأعطه يا رب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد اللهم اجعل في المصطفين محبته وفي العالمين درجته وفي المقربين ذكره واجزه اللهم عنا ما هو أهله وصلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وإخوانه من النبيين والمرسلين والصالحين وعلينا وعلى جميع من حج بيت الله الحرام أو اعتمره يا رب العالمين.

والآن نبدأ بما أكرمه الله تعالى به لذاته الشريفة في الدنيا

لقد أكرم الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ دون غيره من الأنبياء عليه وعليهم السلام بخصائص في الدنيا كثيرة نذكر بعضاً منها: أن أخذ له العهد على جميع

الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أنه إذا بعث هو ﷺ وهم أحياء أو أحد منهم فيجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه كما أخذ الله عليهم العهد بأن يأخذوا هذا العهد على جميع أممهم إن بُعث محمد ﷺ، ويجب على هذه الأمم أن تؤمن به وتتبعه وتنصره وتؤيده فإن لم تفعل فقد خالفت أمر الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ (آل عمران: ٨١). ومن هذا يتبين لنا أنه ما من نبي من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام إلا عنده علم به ﷺ ومبعثه وزمانه وعلاماته وأوصافه ﷺ قال ﷺ: ((**وسأخبركم بأول أمري أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمّي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور ساطع أضاءت منه قصور الشام**)) ودعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ** ﴾ (البقرة: ١٢٩). وبشارة عيسى عليه السلام: ﴿ **وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ (الصف: ٦).

ومن عظيم قدره أنه كان عند أهل الكتاب عِلْم به ﷺ وبمبعثه ومكان بعثه ومهاجره كما ورد وصفه ﷺ في كتبهم بل ورد وصف أمته ﷺ أيضاً في كتبهم حتى لا تكون لهم حجة أثناء إنكارهم فقد قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ (البقرة: ٨٩). وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النبي الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾ (الأعراف: ١٥٧). وقال عز وجل: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة: ١٤٦).

ومن عظيم قدره أنه كان نبيّاً وآدم منجدل في طينته فعن العرباض بن سارية

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته))**(حديث صحيح). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وهبت لك النبوة قال: **((وآدم بين الروح والجسد))** (رواته رواة الصحيح).

ومن عظيم قدره أنه أول المسلمين ولقد أخبرنا الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ أنه أول المسلمين وأخبرنا تعالى أنه تعالى أمره أن يكون كذلك فقال تعالى: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(الأنعام: ١٤). وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾(الأنعام: ١٦٢، ١٦٣). وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ۞ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾(الزمر: ١١، ١٢).

ومن عظيم قدره ﷺ أنه خاتم النبيين فلقد ختم الله تعالى بنبيه محمد ﷺ الأنبياء والرسل الكرام كما ختم بدينه الإسلام الديانات السماوية السابقة فكما لا دين بعد دينه كذلك لا نبي بعده ﷺ قال تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾(الأحزاب: ٤٠). وقال ﷺ في حديث أبي هريرة: **((فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)).**

ومن عظيم قدره ﷺ أن جعله الله نبي الإسلام فلقد اختار الله تعالى بمنه وفضله وكرمه نبيه محمداً ﷺ لأن يكون نبي الإسلام ورسول الإسلام وهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لنفسه فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ** ﴾(آل عمران: ١٩).

وقال عز وجل: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾(آل عمران: ٨٥). وقال تعالى: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ** ﴾(الحج: ٧٨).

ومن عظيم قدره ﷺ أنه أولى بالأنبياء من أممهم عندما ادعى كل من اليهود

والنصارى أن إبراهيم عليه السلام منهم فنفى الله تعالى هذا الادعاء وبيَّن أنه ليس كذلك وإنما أولى الناس به هذا النبى الكريم ﷺ ومن اتبعه من المؤمنين لأنهم التقوا وإياه في المنهج والخط المستقيم فقال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً** ﴾(آل عمران: ٦٧). وقال عز وجل: ﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النبى وَالَّذِينَ آمَنُواْ** ﴾(آل عمران: ٦٨). ولما كان موسى وعيسى عليهما السلام من أولي العزم وهما بعده وهما أشهر أنبياء بني إسرائيل لذا فقد بين ﷺ أنه هو أولى بهما من أتباعهما بل جعل أمته ﷺ أولى بهما من أتباعهما أيضاً قال رسول الله ﷺ ((**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة**)) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وقال: ((**نحن أحق وأولى بموسى منكم**)) وفي لفظ: ((**أنا أولى بموسى منهم**)) وفي لفظ للبخاري: ((**أنتم أحق بموسى منهم**)) .

ومن عظيم قدره ﷺ أنه هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم وتحريم نكاحهن من بعده لأنهن زوجاته في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿ **النبى أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾(الأحزاب: ٦). وقال أيضاً: ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ولا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً** ﴾(الأحزاب: ٥٣). ومن ولايته ﷺ بالمؤمنين حرصه عليهم وتأثره عليهم ورأفته ورحمته بهم كما قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾(التوبة: ١٢٨).

ومن عظيم قدره ﷺ كونه مِنَّةً يمتن بها الله تعالى على عباده المؤمنين بهذا النبى الكريم ﷺ كما امتن الله تعالى بهدايتهم إليه وكان ذلك عن طريقه ﷺ لأنه الداعي له ولم يذكر ذلك لأحد من الأنبياء فقال تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾(آل عمران: ١٦٤). وقال عز وجل: ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَى إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ**

هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(الحجرات: ١٧).

ومن عظيم قدره ﷺ كونه خير خلق الله وسيد ولد آدم فلقد اختار الله تعالى نبيه محمداً ﷺ من بين الخلق بالمنزلة الرفيعة والمكانة العالية واصطفاه من بين البشر كلهم ليكون صفوة خلقه وأحبهم إليه تعالى ونبيه لدينه الإسلام ورسوله إلى الأنام وإمام الأنبياء وسيد الخلق وخير الأنبياء والمرسلين ﷺ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فعن ابن الأسقع رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**)) (فهو خيار من خيار). وقال ﷺ: ((**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**)).

ومن عظيم قدره ﷺ أن طاعته ومبايعته هي عين طاعة الله ومبايعته: فلقد جعل الله تعالى طاعة نبيه محمد ﷺ هي عين طاعته تعالى كما جعل مبايعة نبيه محمد ﷺ هي مبايعة الله تعالى كما قرن الله تعالى طاعة نبيه محمد ﷺ بطاعته تعالى كما جعل اتباع نبيه محمد ﷺ موجباً لمحبته تعالى ولم نعرف ذلك لأحد من الأنبياء السابقين فقد قال الله تعالى: ﴿ **مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً** ﴾(النساء: ٨٠). وقال عز وجل: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** ﴾(الفتح: ١٠). وقال عز وجل: ﴿ **وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾(آل عمران: ١٣٢). وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾(النساء: ١٤). وقال عن اتباع نبيه ﷺ وأنها موجبة لمحبة الله تعالى للمتبع قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾(آل عمران: ٣١).

ومن عظيم قدره ﷺ أن جعل الإيمان بالله مقرونا بالإيمان برسوله ﷺ ولم يذكر الله تعالى في كتابه ذلك لأحد من أنبيائه فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾(النساء: ١٣٦). وقال أيضاً: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾(الحجرات: ١٥). وقال عز وجل: ﴿ **فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ**

الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾(الأعراف: ١٥٨). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾(الصف: ١٠، ١١). ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾(النور: ٦٢).

ومن عظيم قدره ﷺ أنه هو رحمة للعالمين فلقد جعله الله تعالى رحمة للعالمين مؤمنهم وكافرهم كما جعله رؤوفاً رحيماً بأمته خاصة قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(من الله تعالى لعباده). وقال ﷺ: ((**يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة**)) فقد قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(التوبة: ١٢٨). وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النبى وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(التوبة: ٦١). ومن مظهر رحمته تعالى بأمة الإسلام أن قبض نبيها ﷺ قبلها ليكون لها فرطاً وسلفاً فعن النبى ﷺ قال: ((**إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها**))(أما إذا أراد هلاكها فيعذبهم وهو يراهم). وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره. قال رسول الله ﷺ: ((**حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم**)) (إذ الأنبياء أحياء فى قبورهم حياة يعلمها الله).

ومن عظيم قدره ﷺ أنه أمنٌ لأمته فلقد جعل الله تعالى وجود نبيه محمد ﷺ بين أمته أمنا لهم من العذاب بخلاف ما حصل لبعض الأمم السابقة حيث عذبوا مع وجود أنبيائهم قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(الأنفال: ٣٣). ونزلت هذه الآية عندما قال مشركو قريش ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(الأنفال: ٣٢).

ومن عظيم قدره عموم رسالته ومن ذلك أن جعل الله تعالى رسالته ﷺ عامة لكل الناس بل لكل العالمين بخلاف ما كان عليه الأنبياء والرسل السابقون عليه وعليهم الصلاة والسلام فقد كانوا يرسلون إلى أقوامهم خاصة قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً** ﴾ (سبأ: ٢٨). وقال أيضا: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). وقال ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه: ((**وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**)) (العامة الإنس وقيل للجن أيضاً).

ومن عظيم قدره ﷺ أن تكفل الله له بحفظه وعَصَمَهُ من الخلق كما تكفل له بالمستهزئين فلن يصلوا إليه قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ (المائدة: ٦٧). وقد كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يحرسه فلما نزلت هذه الآية صرفهم عن حراسته ﷺ وقال تعالى: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۞ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ (الحجر: ٩٤ – ٩٦). وقال أيضاً: ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ (الطور: ٤٨).

ومن عظيم قدره ﷺ التكفل بحفظ دينه فقد تكفل الله تعالى بحفظ دين الإسلام وببقائه ولعل هذا هو السر فيما حصل للديانات السماوية السابقة من تبديل وتغيير وتحريف ليكون هذا الدين الذي تكفل بحفظه وهو دينه باقياً صحيحاً سليماً معجزاً وهو خير الأديان قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون** ﴾ (الحجر: ٩). وقال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً** ﴾ (المائدة: ٣).

ومن عظيم قدره ﷺ عند ربه عز وجل أن أقسم الله تعالى بحياته ﷺ ولا نعرف هذه لغيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام فقال تعالى: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ (الحجر: ٧٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ فقال لعمرك

"ومن عظيم قدره ﷺ القسم ببلده. أقسم الله تعالى ببلده ﷺ لكن قيده بحلول رسول الله ﷺ فيه فقال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾(البلد: ١، ٢). وإدخال (لا) النافية للتأكيد.

ومن عظم قدره ﷺ القسم له فأقسم الله تعالى له ﷺ وهذا غاية التقدير والتعظيم والتفخيم فقال تعالى: ﴿وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾(الضحى: ١ – ٥). وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾(النجم: ١ – ٤). وقال أيضا: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم: ١ – ٤). وقال أيضا: ﴿يس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(يس: ١ – ٤). ومن عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته ﷺ عند ربه عز وجل أنه تعالى لم يُنادِهِ باسمه ولم يخاطبه بشخصه وإنما كان يخاطبه بالنبوة والرسالة بخلاف ما خاطب به تعالى أنبياءه السابقين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ (المائدة: ٦٧). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾(المائدة: ٤١). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النبى حَسْبُكَ اللّهُ﴾(الأنفال: ٦٤). بينما قال تعالى لأنبيائه: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ﴾ (هود: ٤٨). وقال تعالى: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾(البقرة: ٣٥). وقال تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾(القصص: ٣٠). وقال تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾(الصافات: ١٠٤، ١٠٥). وكذلك في آيات كثيرة من هذا القبيل. ومن عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل أن ذكره في أول من ذكره من الأنبياء في أخذ العهد وفي الوحي إليهم مع أنه ﷺ متأخر عنهم في الزمان وهذا تقديم من جهة الفضل والشأن فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾(الأحزاب: ٧). وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾(النساء: ١٦٣). وكل هؤلاء الأنبياء كانوا قبله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم رسله ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ما أمر الله به هذه الأمة من تبجيله وتشريفه واحترامه وتقديره بحيث لا ينادونه باسمه بل ينادونه يا رسول الله يا نبي الله وهذا بخلاف ما كان من الأنبياء السابقين في أممهم فقال تعالى: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(النور: ٦٣). وقال قتادة وزيد بن أسلم كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ وأمرهم أن يقولوا يا نبي الله يا رسول الله بينما قال تعالى عن الأمم السابقة: ﴿ قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾(هود: ٣٢). وقالوا: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ ﴾(الشعراء: ١٦٧). وقالوا: ﴿ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾(الأعراف: ١٣٤). وفي ذلك آيات كثيرة.

ومن عظيم قدره ﷺ أن لا يرفع صوت فوق صوته فمن ذلك التبجيل والاحترام أن نهاهم الله تعالى أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ﷺ ولا يجهروا له بالقول كما هو الحال بين الناس حتى لا تحبط أعمالهم فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النبى وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءَ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾(الحجرات: ٢ – ٤).

ومن عظيم قدره ﷺ تقديم الصدقة بين يدي نجواهم له ومن ذلك التبجيل والاحترام أن أمرهم الله تعالى إذا أرادوا أن ينادوه ﷺ وكانوا قد أكثروا أن يقدموا بين يدي مناجاتهم له ﷺ صدقة ثم نسخ ذلك وأمرهم بالطاعة فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ

﴿وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المجادلة: ١٢، ١٣).

ومن عظيم قدره ﷺ أن جعله الله نوراً يهتدي به من كَتَبَ اللهُ تعالى له سعادة الدارين، ومن لا يستنير به كَتَبَ عليه الشقاوة والطرد والحرمان فقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥، ١٦). وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا النبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ۞ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ (الأحزاب: ٤٥ – ٤٧). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء من المدينة كل شيء لما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ أظلم من المدينة كل شيء وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا".

ومن عظيم قدره ﷺ أن فرض الله بعض شرعه في السماء وعلى عكس الأنبياء السابقين فقد نزلت عليهم كتبهم وصحائفهم من السماء وأمروا بما أمروا به وهم في الأرض ولا نعلم نبيّاً من الأنبياء عرج به إلى السماء ثم عاد إلى الأرض إلا نبينا ﷺ وكون المسيح عليه السلام رفع إلى السماء كما نص القرآن وأنه سينزل إلى الأرض كما تواترت به الأحاديث فإنه لا ينزل بشرع جديد وإنما سيحكم بالإسلام ولا يقبل إلا الإسلام ويمحو الله جميع الملل إلا الإسلام كما ثبت ذلك بالنصوص الثابتة الصحيحة الصريحة كما شرع في السماء الصلاة فإنها فرضت أول ما فرضت خمسين صلاة ثم خففها الله تعالى رحمة بهذه الأمة إلى خمس صلوات في اليوم والليلة والأحاديث في ذلك كثيرة.

ومن عظيم قدره ﷺ أن الله تعالى ضاعف ثواب الحسنات فجعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ومن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن

عملها كتبت عشراً إلى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عليه سيئة.

ومن عظيم قدره ﷺ تولى الإجابة عنه فمن ذلك أن تولى الله تعالى الإجابة والدفاع عنه عندما اتهمه قومه وقالوا عنه هو ساحر هو مجنون هو كذا بخلاف من تقدمه من الأنبياء السابقين حيث كانوا هم الذين يدافعون عن أنفسهم ويردون على أعدائهم فقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(الأعراف: ٦٦، ٦٧)وقال عن هود عليه السلام: ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(الأعراف: ٦٠، ٦١).

وقال عز وجل مدافعاً عن نبيه محمدﷺ: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۞ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ۞ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۞ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۞ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾(التكوير: ٢٢- ٢٧).وقال تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الحاقة: ٣٨- ٤٣) وقال تعالى:﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾(الطور: ٢٩). وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾(يس: ٦٩). ومن عظيم قدره ﷺ استمرار الصلاة عليه فمن ذلك استمرار صلاة الله تعالى وملائكته الكرام عليه ﷺ كما أمر المؤمنين بذلك أيضاً فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(الأحزاب: ٥٦). وصيغة الفعل المضارع تقتضي التجديد والاستمرار وثواب المؤمن إذا صلى على نبيه ﷺ مرة واحدة أن يصلي الله عليه عشراً قال ﷺ في حديث أبى هريرة رضى الله عنه: **((من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً))** (فأكثروا الصلاة عليه ﷺ). والصلاة من الله على عبده هي إخراج له من الظلمات إلى

النور كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾(الأحزاب: ٤٣). فتكون صلاة العبد المسلم على رسول الله ﷺ هي إخراج ذلك المسلم من الظلمات إلى النور.

ومن عظيم قدره ﷺ الإسراء والمعراج ولا نعلم أنه قد أعطيه غيره من الأنبياء وما كرمه الله فيهما من إمامته بالأنبياء في بيت المقدس وما أوريه من آيات ربه الكبرى في المعراج وتكليمه ربه عز وجل ورؤيته له قال الله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾(الإسراء: ١). وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۞ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ۞ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۞ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۞ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۞ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۞ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۞ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾(النجم: ٣ – ١٨).

ومن عظيم قدره ﷺ معجزاته فما من معجزة أعطيها نبي من قبله إلا أعطى المصطفى ﷺ مثلها أو أكبر منها وقد كانت معجزات الأنبياء السابقين وقتية وحسية يدركها من شاهدها ببصره فإذا ذهبت زالت وقد أعطى الرسول ﷺ مثل هذه المعجزات وتلك الخوارق مثل انشقاق القمر وحبس الشمس ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام وتفجير الماء وكلام الشجر وحنين الجزع وسلام الجمادات والحيوانات وإبراء المرضى وإجابة الدعاء وإرواء الجيش من الماء القليل وهذه المعجزات كبقية معجزات الأنبياء وقتية وإن كان ﷺ قد انفرد بكثير من ذلك ولكنها قد زال أثرها بعده ﷺ أو بعد من رآها وإنما يسلم بها المؤمن الموقن ليزداد إيماناً أما معجزاته ﷺ التي انفرد بها عن جميع الأنبياء السابقين والباقية ما بقي الإنسان في هذه الدنيا إنما هي القرآن الكريم. ومن عظيم قدره ﷺ أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ۞ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ

مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ۞ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾(الفتح: ١ – ٣).

ومن عظيم قدره ﷺ تأخير دعوته المستجابة دون غيره من الأنبياء فقد أخَّرَ دعوته ﷺ المستجابة التي منحها الله تعالى له خلافاً للأنبياء السابقين فقد استعجلوا دعواتهم فمنهم من دعا بها على قومه ومنهم من دعا بها في دنياه فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((**لكل نبي دعوة مستجابة فعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**)).

ومن عظيم قدره ﷺ أن أعطى جوامع الكلم حيث جمع له الأمور الكثيرة في العبارة القليلة فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**فُضِلتُ الأنبياء بست. أعطيت جوامع الكلم...**))(وانظر كتاب المجازات النبوية للشريف الرضى). إلى آخر الحديث والمراد بجوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك.

ومن عظيم قدره ﷺ أن أعطى مفاتيح خزائن الأرض وذلك دون غيره من الأنبياء وخُيِّر الخلد فيها ثم الجنة ولكنه اختار لقاء ربه والجنة ﷺ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينما أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت بين يدي**))(وقد تحقق له بعض ذلك فى حياته ولخلفائه بعد انتقاله). وفي رواية أخرى (البخاري) ((**في يدي**)).

ومن عظيم قدره ﷺ إسلام قرينه من الجن فلا يأمره إلا بخير فعن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ما منكم من أحد إلا وقد وكِّلَ به قرينه من الجن قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**))(من فضل الله تعالى عليه). ومن عظيم قدره ﷺ ما خصه الله تعالى وأكرمه دون غيره من الأنبياء أن نصره بالرعب مسيرة شهر فعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي وفيه نصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر**))(إذ لم يكن له من الأعداء من هم أبعد من ذلك).

ومن عظيم قدره ﷺ شهادة الله وملائكته له: لقد بلغ الأمر ذروته في التعظيم والتقدير والتفخيم أن يشهد الله تعالى وملائكته الكرام لنبيه محمد ﷺ وأنه أنزل عليه الكتاب بالحق وأنه أرسله للناس كافة وأن دينه سيظهر على الأديان لأنه مرسل بدين الحق قال تعالى: ﴿ **لَّـٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾(النساء: ١٦٦). وقال تعالى: ﴿ **وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾(النساء: ٧٩) وقال عز وجل: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾(الفتح: ٢٨).

ومن عظيم قدره ﷺ صلاته بالأنبياء ليلة أسرى به إماما في بيت المقدس إذ لا يؤم القوم إلا الأَخْيَر والأفضل والأعلم والأكمل فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراى– الحديث– وفيه وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام**)).

ومن عظيم قدره ﷺ أن جعل الله تعالى القرن الذي بعث فيه نبينا محمد، هو خير قرون الناس كلها كما أن قرنه ﷺ هو خير قرون أمته والقرون التي تلي قرنه ﷺ فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه**)) وعن أبي مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**خير قرون الناس قرني ثم الذين يلونه**)).

ومن عظيم قدره ﷺ أن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة.

ومن عظيم قدره ﷺ أن خصه الله تعالى به أن جعل بعض مسجده من رياض الجنة وهي الأرض الواقعة ما بين بيته الذي يبيت فيه ومنبره الذي يخطب عليه ﷺ فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي**)).

ومن عظيم قدره ﷺ أن خصه الله تعالى بانشقاق القمر وذلك عندما طلبت منه

قريش أن يريهم آية تدل على نبوته ورسالته فانشق القمر فلقتين فقال رسول الله ﷺ اشهدوا قال الله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾(القمر: ١ – ٣). وعن أنس رضى الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر.

ومن عظيم قدره ﷺ أنه يرى من وراء ظهره كما يرى من أمامه ﷺ فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**هل ترون قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم أني لأراكم من وراء ظهري**)). وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً ثم انصرف فقال: ((**يا فلان ألا تحسن صلاتك ألا ينظر المصلى إذا صلى كيف يصلي فإنما يصلي لنفسه إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي**)). وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: صلى بنا النبى ﷺ صلاة ثم رقى المنبر فقال في الصلاة وفي الركوع: ((**إني لأراكم من ورائي كما أراكم**)). وفي رواية للنسائي: ((**فو الذي نفسي بيده أني لأراكم من خلفي كما أراكم من بين يدي**)).

ومن عظيم قدره ﷺ أن من رآه في المنام فقد رآه حقاً فإن الشيطان لا يتمثل به ولا يظهر بمظهره ﷺ بل من رآه في المنام ﷺ فسيراه في اليقظة أيضاً فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي**)) وعن أبي قتادة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من رآني فقد رأى الحق**)) وعن أنس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: ((**من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي**)) وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**من رآني في النوم فقد رآني فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي**)) وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: ((**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى**)).

ومن عظيم قدره ﷺ أن عرض عليه الأنبياء بأممهم وكل نبي وأمته معه حتى

أمته ﷺ وهي أكثر الأمم بينما يوجد بعض الأنبياء وليس معه إلا النفر القليل ومنهم من ليس معه أحد فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: ((**عرضت على الأمم فأخذ النبى يمر ومعه الأمة والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشرة والنبي يمر معه الخمسة والنبي يمر وحده**)) الحديث متفق عليه بمعناه.

ومن عظيم قدره ﷺ أن جعل بين كتفيه خاتم النبوة فيكون ﷺ خاتم الأنبياء وختم ﷺ به بعد ولادته وهو يرضع في بني سعد فعن السائب بن يزيد رضى الله عنه قال: ذهبت بى خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن ابن أختي وجع فمسح رأسي ودعا لى بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة.

ومن عظيم قدره ﷺ أن أخبر عن أمور لم يسبق لنبي أن أخبر عنها كما أن الله تعالى أطلعه على كثير مما سيقع بل أطلعه على ما كان وما هو كائن إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا (رواه مسلم).

أما فيما أكرمه الله تعالى به لذاته في الآخرة وخصه به عن جميع الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام فهذا أيضاً كثير والحمد لله وسأقتصر على ذكر بعض الخصائص التي انفرد بها ﷺ: فمنها: وصفه بالشهادة: فقد جعل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ شهيداً على الأنبياء السابقين وشهيداً على أمته كما جعله شاهداً عليهم أيضاً وعلى الأمم السابقة قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النبى إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً** ﴾

وقال أيضا: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً** ﴾ وقال أيضا: ﴿ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَىء** ﴾. وقال عز وجل:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ وقال عز وجل: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٨). فأمته ﷺ تشهد للأنبياء السابقين على أممهم وهو يشهد لهذه الأمة كذلك.

ومنها ما أعطى من الشفاعات، لقد أعطى من الشفاعات الكثير، أوصلها بعضهم إلى ثلاث عشرة، فمما خصه الله تعالى به دون غيره ما جاء بحديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**أعطيت الشفاعة**)) (حديث متفق عليه).

ومنها أنه هو أول من يُبعث يوم القيامة، فقد أخبر ﷺ أنه هو أول من تنشق عنه الأرض، وأنه هو أول من يُبعث والناس مازالوا في قبورهم. فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع**)) وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ**– آدم فمن سواه– **إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر**)).

ومنها: أنه ﷺ هو إمام الأنبياء وخطيبهم يوم القيامة ومبشرهم وصاحب شفاعتهم غير فخر: فعن أبي بن كعب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر**)) (حديث متفق عليه).

ومنها: أن كل الأنبياء والناس تحت لوائه يوم القيامة. فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، ما من أحد إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج وإن معي لواء الحمد، أنا أمشي ويمشي الناس معي حتى آتى باب الجنة فأستفتح فيقال من هذا؟ فأقول محمد فيقولون مرحباً بمحمد فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً أنظر إليه**)) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد ينجزها في الدنيا وإني قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن**

دونه تحت لوائي ولا فخر)).

ومنها أنه ﷺ هو أول من يجتاز الصراط: فمما خص به ﷺ عن باقي الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام أنه أول من يجتاز بأمته الصراط قبل كل الخلق ففي حديث عن أبي هريرة قال: " إن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة الحديث وفيه: **((ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز)).**

ومنها: أنه ﷺ: أول من يقرع باب الجنة فيفتح له. ولا يُفتح لأحد قبله: فعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة)).**

ومنها أنه أول من يدخل الجنة، كما وأنه ﷺ هو أول من يقرع باب الجنة وهو أيضاً أول من يدخل الجنة ومعه فقراء هذه الأمة فعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**((آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك)).**

ومنها: إعطاؤه الوسيلة والفضيلة. وهي مرتبة عَلِيّة لا ينالها إلا فرد واحد من جميع الخلق وهو ﷺ الذي سينال هذه المرتبة فيحمده الأولون والآخرون ويغبطونه على ذلك الفضل الكريم.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول: **((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له شفاعتي)).**

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول ﷺ قال: **((من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة))**

والمراد بالفضيلة المرتبة الزائدة على سائر الخلق ويحتمل أن تكون منزلة أخرى.

ومنها: إعطاؤه المقام المحمود فمما خص به ﷺ أن الله تعالى سيبعثه مقاماً محموداً يحمده عليه جميع الخلائق قال الله تعالى: ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً** ﴾(الإسراء: ٧٩). وعن كعب بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل فيكسوني ربي تبارك وتعالى حلة خضراء ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول فذاك المقام المحمود.

ومنها: أن الله تعالى قد اختص نبيه ﷺ بالكوثر وهو نهر يصب في حوضه آنيته بعدد نجوم السماء، سقانا الله من يده ﷺ شربة لا نظمأ بعدها أبداً قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾(الكوثر: ١). وعن عائشة رضى الله عنها قالت في قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليهما در مجوف آنيته كعدد النجوم.

ومنها: أنه ﷺ يُعطى لواء الحمد، فإذا كان يوم القيامة أعطى لواء الحمد لرسول الله ﷺ قال عليه الصلاة والسلام: ((**ما من أحد إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج وإن معي لواء الحمد**)).

ومنها: أن يكون للرسول ﷺ يوم القيامة كرسي عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يكون له ذلك.

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حديث منه: **((فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك غيري)).**

ومنها: أنه هو أكثر الأنبياء تبعاً لقد أخبر ﷺ أنه أكثر الأنبياء أتباعاً يوم القيامة فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة**)).

ومنها: أنه مبشرُ الناس يوم يفزع إليه الأنبياء.

فمما خص الله تعالى به رسوله محمداً ﷺ أن جعل الناس بما فيهم الأنبياء

يفزعون إليه بالشفاعة فيبشرهم برحمة الله وفضله.

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا)).**

ومنها: ما خص الله تعالى به نبيه محمدا ﷺ سجوده تحت العرش بحيث يوحي إليه سبحانه وتعالى ويفتح عليه من الدعاء بما لم يُسبق له مثيل ولم يفتح على نبي من الأنبياء من قبل ولا بعد.

فعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((يُطوّل الله يوم القيامة على الناس فيقول بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فيشفع لنا إلى ربنا عز وجل فليقضي بيننا** — الحديث — وفيه: **فأخِرُّ ساجداً فأحمد ربي عز وجل بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلي ولا يحمده بها أحد كان بعدي فيقول: ارفع رأسك وقل يسمع منك وسل تعط واشفع تشفع)).**

ومنها: أن منبره على حوضه فمما خص الله تعالى به نبينا محمدا ﷺ أن يكون منبره الذي كان يخطب عليه منصوباً على حوضه يوم القيامة.

فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي)).** وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي))،** وروى أحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((منبري هذا على ترعة من ترع الجنة)).**

ولنتكلم الآن فيما أكرمه الله تعالى به في أمته وهو ينقسم إلى قسمين الأول ما أكرمه الله تعالى به في أمته في الدنيا والثاني ما أكرمه الله تعالى به في أمته في الآخرة.

ولنبدأ بالموضوع الأول: وهو ما أكرمه الله تعالى به في أمته في الدنيا: فلقد أكرم الله تعالى هذه الأمة بنعم جليلة ومنح عظيمة هي في أصلها إكرام من الله تعالى لنبيه ﷺ لأنها أمته ولو لم تتبعه لما أعطيت هذه الكرامات وتلك الميزات وهذه

الأعطيات وهذه النعم كلها مرجعها إلى المولى عز وجل.

منها: جُعلت أمته خير الأمم وأن الله اصطفاها من جميع الخلق لتكون أمة لنبيه محمد ﷺ وشاهدة على جميع الأمم السابقين فقد قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ﴾(آل عمران: ١١٠). وقال أيضا: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾(البقرة: ١٤٣). وقال تعالى: ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(الحج: ٧٨).

ومنها: أن الله تعالى سماهم المسلمين وخصهم بالإسلام: فمما خص الله تعالى به هذه الأمة أن سماهم المسلمين في القرآن الكريم وفي الكتب السماوية السابقة كما رضى لهم دينه الإسلام فقال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ ﴾(البقرة: ٥٤). وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾(الأعراف: ١٥٧).

ومنها: أنه تعالى أكمل على هذه الأمة دينها وأتم عليها النعمة ورضي لها الإسلام دينا ولم يكن ذلك إلا لهذه الأمة والحمد لله فقد قال الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾(المائدة: ٣). وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية من كتابكم تقرأونها لو علينا – معشر اليهود – نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال أي آية؟ قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾(المائدة: ٣). قال عمر أعرف ذلك اليوم وكذا المكان الذي نزلت فيه على النبى ﷺ فقد نزلت على الرسول ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة. ومنها: ما حطه الله تعالى عنها من الإصر والأغلال، قال عز وجل: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾(الأعراف: ١٥٧).

ولقد كان فيما سبق أن التائب يقتل نفسه كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾(الأعراف: ١٥٧). بينما التوبة في الإسلام الندم والإقلاع عن الذنب وعدم العودة إليه والاستغفار منه وقد كان فيمن سبق إذا أصاب أحدهم دم قرض محل الدم على حين في الإسلام يغسل بالماء فقط وهناك أمور كثيرة حكى الله عنها وهي موجودة في كتب الفقه.

ومنها: جعلت صفوف أمة رسول الله ﷺ في الصلاة كصفوف الملائكة، فعن جابر رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ((**ألا تصفون كما يصف الملائكة عند ربها**)) قلنا يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها قال: ((**يتمون الصفوف الأُوَلَ ويتراصون في الصفوف**))رواه مسلم.

ومما أكرمه الله تعالى به في أمته في الدنيا أن أحلَّ لها أن تأكل الغنائم ولم تحل لأحد من قبل قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ (الأنفال: ٦٩). وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي... منها: وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي**)).

ومنها ما خص الله تعالى به هذه الأمة بأن جعل لها الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من المسلمين أدركته الصلاة ولم يجد الماء يتيمم ويصلى وصحت صلاته كما في حديث جابر والذي فيه:((**وجعلت لى الأرض طيّبة وطهوراً ومسجداً فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان**)).

ومنها: أن الله تعالى خصهم بيوم الجمعة الذي هو خير الأيام وأضل الله عنه من كان قبلنا فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أضل الله عنه من كان قبلنا**)).

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة**)).

ومنها: أن الله تعالى خصهم بالإجابة ساعة يوم الجمعة.

فمما أعطيه ﷺ يوم الجمعة الساعة التي لا يوافقها عبد مسلم مؤمن يدعو الله تعالى ويسأله خيراً إلا أعطاه الله ما سأل واستجاب له دعوته.

فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: **((فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه)).**

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة أن أعطاها ليلة القدر التي تعدل ألف شهر فمن قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾(القدر: ١ – ٥). وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **((من قام ليلة القدر إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)).**

ومنها: أن مؤمني هذه الأمة شهداء الله في الأرض: فمما خص الله به هذه الأمة أن أضافها إليه إضافة تشريف وتكريم وجعلها بمنزلة عالية بحيث يقبل منها قولها وشهادتها فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال أنهم مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال النبى ﷺ: ((**وجبت**)) ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال ﷺ: **((وجبت))** فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما وجبت فقال الرسول ﷺ: **((هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض))** متفق عليه. وفي لفظ البخاري المؤمنون شهداء الله في الأرض، وعن مسلم من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض.

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة وخصها به إكراماً لنبيها ﷺ أن ضرب مثلها في الكتب السماوية السابقة وجعل عند أهل الكتاب علماً كاملاً بها حتى إذا رأوها عرفوها قال الله تعالى: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ**

رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾(الفتح: ٢٩).

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة أنها لا تهلك بما أهلك الله به الأمم السابقة بالسنين والغرق وألا يسلط عليها عدو من غيرها فيستبيح بيضتها حتى لو اجتمع عليها من أقطارها فعن خباب بن الأرت رضى الله عنه أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلها حتى كان الفجر فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاء خباب فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي لقد صليت اليوم صلاة ما رأيتك صليت نحوها فقال رسول الله ﷺ: ((**أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها وسألت ربي عز وجل أن لا يبغى علينا عدو من غيرنا فأعطنيها. وسألت ربي عز وجل أن لا يلبسنا شيعاً فمنعنيها**)).

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة دون غيرها صلاة العشاء فعن معاذ رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: ((**أعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بها عن سائر الأمم ولم تصليها أمة قبلكم**)).

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة أنها تؤمن بجميع الأنبياء السابقين قال الله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾(البقرة: ٢٨٥). وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(البقرة: ١٣٥، ١٣٦).

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة أن حفظها مما وقعت فيه الأمم السابقة

التي ادعت لله أولاداً وزوجة وشريك وأنه فقير وهم أغنياء إلى آخر ما ادعوه أعاذنا الله من ذلك قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾(المائدة: ١٨). وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(التوبة: ٣٠، ٣١).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(آل عمران: ١٨١، ١٨٢). وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾(المائدة: ١٧). وقال أيضا: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ ﴾(المائدة: ٧٣). بينما عقيدة المسلمين هي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾(الشورى: ١١). ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾(الإخلاص: ١ – ٤).

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة أن لا تزال طائفة منها على الحق وأن لا يجعلها على ضلالة وأنه ستبقى منها طائفة على الحق ظاهرين حتى يقاتل آخرها الدجال وحتى قيام الساعة قال عليه الصلاة والسلام: ((**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يغرهم من خذلهم حتى يأمر الله وهم كذلك**)).

والآن نتكلم عما أكرمه الله به تعالى في أمته في الآخرة: فمنها أنها شاهدة للأنبياء على أممهم على أنهم قد بلغوا الرسالة وهذا منتهى الإكرام وكيف لا وهي أمة العدل والوسط والخيار قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾(البقرة: ١٤٣). وأيضاً ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس وقد بين النبي ﷺ ذلك بقوله في

حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه: ((**يُدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك ربي فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما آتانا من نذير فيقول من يشهد له فيقول محمد وأمته نشهد أنه قد بلغ**)) فذلك قوله جل ذكره: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ﴾(البقرة: ١٤٣)..

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة يوم القيامة أنها تكون أول الأمم اجتيازاً للصراط ومعها نبيها محمد ﷺ كما في حديث أبي هريرة الطويل وفيه يقول: ((**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوز**)).

ومنها أن أمة رسول الله ﷺ هي أول من يدخل الجنة وأنها محرمة على الناس حتى تدخلها هذه الأمة، فعن حذيفة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: ((**الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي**)).

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة أن جعل الزمرة الأولى من هذه الأمة وهي التي لا حساب عليها تدخل من الباب الأيمن وهم شركاء الناس في بقية أبواب الجنة كما جاء في حديث أبي هريرة رضى الله عنه في حديث الشفاعة الطويل والذي أوله قال ﷺ: ((**أنا سيد الناس يوم القيامة**)) وفي آخره يقول ﷺ: ((**فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحُسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد من قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تُعْطَ اشفع تشفع فارفع رأسي فأقول يا ربي أمتي أمتي فيقال يا محمد أدخِل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب**)).

ومنها ما خص الله تعالى به هذه الأمة أنه سيفدي من يستحق العذاب منها بغيره من الأمم السابقة كما في حديث أبي موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا كان يوم القيامة، دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديّاً أو نصرانياً فيقول هذا**

مكانك من النار)).

وفي رواية عنه قال ﷺ: **((لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً)).**

ومما خُصت به هذه الأمة من بين الأمم أنها تأتي يوم القيامة غرّاً محجلين من آثار الوضوء وليس هذا لأحد من الأمم الأخرى فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((إن أفراد أمتي يأتون يوم القيامة غرّاً محجلين من أثر الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل)).**

ومما خصت به هذه الأمة أنها ستكون أكثر الأمم في الجنة فعن أبي سعيد عن النبى ﷺ قال: **((والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة))** قال فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: **((والذي نفسي بيده أني لأطمع في أن تكونوا شطر أهل الجنة))** بل في حديثْ بريدة ما هو أكثر من النصف إنما هو الثلثان ويكون الثلث الباقي من سائر الأمم.

فعن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((أهل الجنة عشرون ومائة صنف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم)).**

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة أنه سيرضي نبيه محمداً ﷺ فيها وأنه لا يسوءه وهذا غاية الإكرام والتجيل من المولى تعالى لنبيه ﷺ قال الله تعالى: ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾(الضحى: ٥).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي...** ﴾ الآية (إبراهيم: ٣٦).

وقال عيسى عليه السلام: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم **((فرفع يديه وقال اللهم أمتي وبكى))** فقال الله عز وجل: **((يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم به وسله ما يبكيك))** فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله: **((يا**

جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)) رواه مسلم.

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة أنه سبحانه وتعالى يعطيها من الثواب أكثر مما يعطي غيرها من الأمم السابقة مع أن عملهم أقل من أعمال تلك الأمم والأحاديث في ذلك كثيرة فمثلاً حديث ثواب سورة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وحديث من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هي غراس الجنة. وهكذا من الأحاديث.

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة المرحومة أنها تدخل الجنة كلها وذلك أن منهم من يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخلها والقسم الآخر يدخلون الجنة بالشفاعة وبرحمة الله تعالى بعد أن يحط عنهم ما عليهم من الذنوب ويجعلها على اليهود والنصارى فكاكا لهم من النار، بينما الأمم الأخرى منها في الجنة ومنها في النار وذلك كله من فضل الله ورحمته.

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى))** قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال: ((**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى))**.

وعن أبي أمامة رضى الله عنه وقد سأل خالد بن يزيد بن معاوية عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول:((**ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شَرْدَ البعير على أهله))**. وفي رواية عن أبي أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((**لا يبقى أحد من هذه الأمة إلا ودخل الجنة إلا من شرد على الله عز وجل كشراد البعير السوء على أهله فمن لم يصدقني فإن الله تعالى يقول: ﴿ لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾**(الليل: ١٥، ١٦).أي كذب بما جاء به محمد ﷺ وتولى عنه. وعن أبي موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**تحشر هذه الأمة على ثلاثة أصناف صنف يدخلون الجنة بغير حساب وصنف يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة وصنف يجيئون على ظهورهم أمثال الجبال الراسيات ذنوباً فيسأل الله عنهم وهو أعلم بهم فيقول ما هؤلاء فيقولون هؤلاء**

عبيد من عبادك فيقول حطوها عنهم واجعلوها على اليهود والنصارى وأدخلوهم برحمتي الجنة)) رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين.

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة وهو إكرام لنبيه ﷺ أن جعل بعضهم يشفع في الأعداد الكثيرة من الناس سوى ما يقوم به المؤمنون من شفاعات في هذه الأمة فعن الحارث بن قيس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن الرجل من أمتي من يُدْخِل الجنة بشفاعته أكثر من مُضَر**)) رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم

ومنها تمنى الكفار لو كانوا مسلمين.

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة أنه إذا رأى الكفار ما يكرم الله به هذه الأمة تمنوا أن لو كانوا منها فينالون ما نالته من فضل وتكريم وإحسان قال الله تعالى: ﴿ **الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ۞ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ** ﴾(الحجر: ١، ٢).

ومما خصت به هذه الأمة أنها آخر الأمم في الوجود وهي أول الأمم في البعث والحساب ودخول الجنة فعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((**نحن الآخرون، السابقون يوم القيامة بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم**)) (البخاري ح ٢٣٨).

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة أنه سيدخل منها أعداد كثيرة الجنة من غير حساب وتكون وجوههم كالشمس أو القمر ليلة البدر فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: ((**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب**)) حديث متفق عليه. وفي لفظ لهما: ((**تضئ وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر**)) وعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: ((**ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف مُتماسكون آخذ بعضهم بعضاً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**)).

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة أن لها علامة تَعرِفُ بها ربها عز وجل بعد أن تذهب كل أمة إلى من كانت تعبده قال الله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن**

سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾(القلم: ٤٢). وعن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة— الحديث— وفيه: ثم قال: ((ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون فارقناهم ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى ربنا وإنا سمعنا مناد ينادي يلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونها فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة)) هذا الحديث متفق عليه.

ومن خصائص الأمة المحمدية أن جعل الله تعالى في هذه الأمة سيّدي شباب أهل الجنة وسيّدي كهول أهل الجنة وسيدة نساء أهل الجنة.

فعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)).

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر ((هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين)) وعن فاطمة رضى الله عنها قالت أَسَرَّ إلىَّ رسول الله ﷺ: ((أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا أن حضر أجلي وأنت أسرع أهل بيتي لحاقاً بى)) فبكيت فقال: ((أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك)) حديث متفق عليه.

وعن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((نزل ملك من السماء فاستأذن الله أن يسلم علىَّ لم ينزل قبلها فبشرني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)).

* * *

الباب الثالث

الخصائص التي فضل بها الرسول على جميع الأنبياء ولم يعطها نبي قبله

قال أبو سعيد النيسابوري في شرف المصطفى: الفضائل التي فضل بها النبي ﷺ على سائر الأنبياء ستون خصلة قال الحافظ السيوطي: قلت: ولم أقف على من عدها وقد تتبعت الأحاديث والآثار فوجدت القدر المذكور وثلاثة أمثاله معه وقد رأيته أربعة أقسام: قسم اختص به في ذاته في الدنيا، وقسم اختص به في ذاته في الآخرة، وقسم اختص به في أمته في الدنيا، وقسم اختص به في أمته في الآخرة وها أنا أوردها موجزة.

فمن خصائصه ﷺ:

أنه أول النبيين خلْقاً وتقدم نبوته فكان نبيّاً وآدم منجدل في طينته وتقدم أخذ الميثاق عليه وأنه أول من قال بلى يوم ألست بربكم وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله وكتابة اسمه الشريف على العرش والسموات والجنان وسائر ما في الملكوت وذكر الملائكة له في كل ساعة وذكر اسمه في الأذان في عهد آدم وفي الملكوت الأعلى وأخذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به وينصروه والتبشير به في الكتب السابقة ونعته فيها ونعت أصحابه وخلفائه وأمته وحجب إبليس عن السموات لمولده وشق صدره في أحد القولين وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه وأن له ألف اسم واشتقاق اسمه من اسم الله وأنه سمي من أسماء الله بنحو سبعين اسماً وإظلال الملائكة له في سفره. وأنه أرجح الناس عقلاً. وأنه أوتى كل الحسن ولم يؤت يوسف إلا شطره. وغطه عند ابتداء الوحي. ورؤيته جبريل في صورته التي خلق عليها. وانقطاع الكهانة لبعثه. وحراسة السماء من استراق السمع والرمي بالشهب. وإحياء أبويه له حتى آمنا به على قول. وقبول شفاعته في الكفار بتخفيف العذاب. ووعده بالعصمة من الناس والإسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو إلى قاب قوسين. ووطئه مكاناً ما وطئه نبي مرسل ولا ملك مقرب وإحياء الأنبياء له وصلاته إماماً بهم وبالملائكة. وإطلاعه على الجنة والنار. ورؤيته من آيات ربه الكبرى

وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى. ورؤيته البارئ تعالى مرتين. وقتال الملائكة معه. وأن كتابه ﷺ معجز ومحفوظ من التبديل والتحريف على مرّ الدهور وجامع كل شيء ومستغن عن غيره ومشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب وزيادة وميسر للحفظ ونزل منجماً ونزل على سبعة أحرف وكون معجزاته ﷺ مستمرة إلى يوم القيامة وهي القرآن ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها وأنه ﷺ أكثر الأنبياء معجزاتٌ فقد قيل إنها تبلغ ألفاً وقيل ثلاثة آلاف.

وأنه جُمعَ له ﷺ كل ما أوتيه الأنبياء من معجزات وفضائل ولم يجمع ذلك لغيره بل اختص كل بنوع. وتسليم الحجر وحنين الجزع ولم يثبت لواحد من الأنبياء مثل ذلك ونبع الماء من بين الأصابع وانشقاق القمر وأنه ﷺ خاتم النبيين وآخرهم بعثاً وشرعه مؤبد إلى يوم القيامة وناسخ لجميع الشرائع قبله وأنه لو أدركه الأنبياء لوجب عليهم اتباعه وإن كتابه فيه الناسخ والمنسوخ وأنه أعطى من كنز تحت العرش ولم يعط منه أحد قبله وعموم الدعوة للناس كافة وبأنه أكثر الأنبياء تابعاً وبإرساله إلى الجن بالإجماع وإلى الملائكة في قول وبإتيانه الكتاب وهو أميّ لا يقرأ ولا يكتب وأنه ﷺ بعث رحمة للعالمين حتى الكفار بتأخير العذاب ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الأمم المكذبة وإقسام الله بحياته وإسلام قرينه وإن أزواجه عون له وإن الله فضل مخاطبته عن مخاطبة الأنبياء قبله تشريفاً له وإجلالاً وذلك أن الأمم كانوا يقولون لأنبيائهم راعنا سمعك فنهى الله هذه الأمة أن يخاطبوا نبيه بهذه المخاطبة وإن الله لم يناده في القرآن باسمه بل قال يا أيها النبي يا أيها الرسول بخلاف سائر الأنبياء فإنه خاطبهم بأسمائهم وتحريم ندائه باسمه على الأمة بخلاف سائر الأنبياء فإن أممهم كانت تخاطبهم بأسمائهم. كما ورد في القرآن وأن الميت يُسأل عنه في قبره واستئذان ملك الموت عليه وتحريم نكاح أزواجه من بعده وإن من تَقَدَّمه من الأنبياء كانوا يدافعون عن أنفسهم ويردون على أعدائهم كقول نوح يا قوم ليس بي ضلالة وقول هود يا قوم ليس بي سفاهة وأشباه ذلك ونبينا ﷺ تولى الله تبرئته عما نسبه إليه أعداؤه ورد عليهم بنفسه فقال تعالى: ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

بِمَجْنُونٍ ﴾(القلم: ٢). وقال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾(النجم: ٢، ٣). وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾(يس: ٦٩).

إلى غير ذلك من الآيات وأنه جمع له بين القبلتين والهجرتين وأنه جُمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للأنبياء إلا أحدهما بدليل قصة موسى مع الخضر وأن الله تعالى كلم موسى بالطور وبالوادي المقدس وكلمه ﷺ عند سدرة المنتهى وجمع له بين الكلام والرؤية وبين المحبة والخلة وأن الله تعالى كلمه في موضع لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل وأنه سبحانه كلمه بأنواع الوحي وهي الثلاثة: الرؤيا الصادقة والكلام بغير واسطة والتكليم بواسطة جبريل والنصر بالرعب مسيرة شهر أمامه وشهر خلفه وإتيانه جوامع الكلم ومفاتيح خزائن الأرض وعِلْم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكتم ذلك وبين له في أمر الدجال ما لم يبين لنبي قبله وتسميته أحمد وهبوط إسرافيل عليه والجمع له بين النبوة والسلطان. قال في الإحياء: ولأجل اجتماع النبوة والملك والسلطنة لنبينا ﷺ كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكمل الله به صلاح الدين والدنيا ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء وأنه كان يبيت جائعاً ويصبح طاعما وأنه لم يكن أحد يغلبه بالقوة وأنه كان إذا أراد الطهور ولم يجد الماء مَدَّ أصابعه فينفجر منها الماء حتى يقضي طهوره، وإن الأرض كانت تطوى له، وشرح الصدور، ووضع الوزر ورفع الذكر وهو اقتران اسمه باسم الله تعالى ووعده بالمغفرة وهو يمشي حيّاً صحيحاً وأنه حبيب الرحمن وسيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله فهو أفضل من سائر المرسلين والملائكة وعرض أمته عليه بأسرهم حتى رآهم وعرض ما هو كائن في أمته حتى تقوم الساعة وخُصّ بالبسملة والفاتحة وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والمفصل والسبع الطوال ومن خصائصه ﷺ كما قال أبو نعيم التفرقة بينه وبين الأنبياء في الخطاب قال الله تعالى لداود: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(ص: ٢٦).

وقال لنبينا ﷺ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾(النجم: ٣). منزها له عن ذلك بعد الإقسام عليه.

وقال عن موسى: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾(الشعراء: ٢١). وقال عن نبينا ﷺ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾(الأنفال: ٣٠). الآية فكنى عن خروجه وهجرته ﷺ بأحسن العبارات وكذا نسب الإخراج إلى عدوه في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾(التوبة: ٤٠). وقوله تعالى: ﴿ مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ ﴾ (محمد: ١٣) ولم يذكره ﷺ بالفرار الذي فيه نوع غضاضة.

وإن الله فرض على من ناجاه أن يقدم بين يدي نجواه صدقة ولم يعهد لأحد من الأنبياء.

وإن الله تعالى فرض طاعته على العالم فرضاً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء فقال: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(الحشر: ٧). وقال تعالى: ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾(النساء: ٨٠).

وإن الله تعالى أوجب على الناس التأسي به قولاً وفعلاً مطلقا بلا استثناء فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(الأحزاب: ٢١). واستثنى في التأسي بخليله فقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾(الممتحنة: ٤). إلى أن قال: ﴿ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ ﴾(الممتحنة: ٤).

ومن خصائصه ﷺ كما قال أبو نعيم أيضاً إن الله تعالى قرن اسمه باسمه في كتابه عند ذكر طاعته ومعصيته وفرائضه وأحكامه ووعده ووعيده تشريفاً وتعظيماً فقال تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ ﴾(النساء: ٥٩). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٠). ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾(التوبة: ٧١). ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾(النور: ٦٢). ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (التوبة: ١). ﴿ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾(الأنفال: ٢٤). ﴿ مَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾(النساء: ١٤). ﴿ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (الحشر: ٤). ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَه ﴾(الأنفال: ١٣). ﴿ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَه ﴾(التوبة: ٦٣). ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ ﴾(التوبة: ١٦). ﴿ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾(المائدة: ٣٣). ﴿ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾(التوبة: ٢٩). ﴿ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (الأنفال: ١). ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

وَالرَّسُولِ ﴾(النساء: ٥٩). ﴿ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ ﴾(التوبة: ٥٩). ﴿ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة: ٥٩). ﴿ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾(التوبة: ٧٤). ﴿ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾(الأحزاب: ٣٧).

ومن خصائصه ﷺ كما قال ابن سبع أن الله سبحانه وتعالى وصفه في كتابه عضواً عضواً فقال في وجهه: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء ﴾(البقرة: ١٤٤). وقال في عينيه: ﴿ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾(الحجر: ٨٨). وفي لسانه: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾(مريم: ٩٧). وفي يده وعنقه: ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾(الإسراء: ٢٩). وفي صدره وظهره: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾(الشرح: ١ – ٣).

وفي قلبه: ﴿ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾(البقرة: ٩٧). ووصف خلقه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم: ٤).

ومن خصائصه ﷺ ما أخرجه البزار والطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن الله أيدني بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر**)) وما أخرجه ابن ماجة وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال: كان النبى ﷺ إذا مشى مشى أصحابه أمامه وتركوا ظهره للملائكة.

وما أخرجه الحاكم وابن عساكر عن على أن النبى ﷺ قال: ((**كل نبي أعطى سبعة رفقاء وأعطيت أربعة عشر**)) قيل لعلي: من؟ قال أنا وحمزة وابناي وجعفر وعقيل وأبو بكر وعمر وعثمان والمقداد وسلمان وعمار وطلحة والزبير.

ومن خصائصه ﷺ ما أخرجه الدارقطني في المؤتلف عن جعفر بن محمد قال ما مرّ نبي إلا وخلف في أهل بيته دعوة مجابة وخلف فينا رسول الله ﷺ دعوتين مجابتين أما واحدة فلشدائدنا وأما الأخرى لحوائجنا فأما التي لشدائدنا يا دائماً لم يزل يا إلهي وإله آبائي يا حي يا قيوم وأما التي لحوائجنا يا من يكفى من كل شيء ولا يكفى منه شيء يا الله يا رب محمد اقض عني الدين.

ومن خصائصه ﷺ تحريم التكني بكنيته ﷺ ولم يثبت ذلك لأحد من

الأنبياء قال الشافعي: وليس لأحد أن يتكنى بأبي القاسم سواء كان اسمه محمداً أم لا قال الرافعي: ومنهم من حمله على كراهية الجمع بين الاسم والكنية وجوز الإفراد وذهب مالك إلى جواز التكنى بعده ﷺ وإن النهي مختص بحياته لزوال المعنى وهو النّدَاء بالالتفات عند الظن بأنه المنادَى فقد أخرج أحمد عن أنس أن النبى ﷺ كان بالبقيع فنادى رجل يا أبا القاسم فالتفت إليه النبى ﷺ فقال لم أعنك فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي.ومن خصائصه ﷺ فضل التسمي باسمه ووجوب توقيره وتعظيمه واحترامه.

أخرج البزار وابن عدي وأبو يعلى والحاكم عن أنس أن النبى ﷺ قال: ((**تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم**)) وأخرج البزار عن أبي رافع سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إذا سميتم محمداً فلا تضربوه ولا تحرموه**)). وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من ولد له ثلاث فلم يسمه محمدا فقد جهل**)). وأخرج مثله من حديث واثلة وأخرج ابن أبي عاصم أن النبى ﷺ قال: ((**من تسمى باسمي يرجو بركتي غدت عليه البركة وراحت إلى يوم القيامة**)).

ومن خصائصه ﷺ جواز القسم على الله به: كقول الداعي اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ. ومن خصائصه ﷺ تفضيل بناته وزوجاته على سائر نساء العالمين وإن ثواب زوجاته وعقابهن مضاعف.

ومن خصائصه ﷺ تفضيل أصحابه على جميع العالمين سوى النبيين أخرج ابن جرير في كتاب السنة عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابي أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير واختار أمتي على سائر الأمم واختار من أمتي أربعة قرون القرن الأول والثاني والثالث تترى والقرن الرابع فرداً**)). قال الحافظ السيوطي: قال الجمهور: كل من الصحابة أفضل من كل من بعده وإن رقى في العلم والعمل. ومن خصائصه ﷺ تفضيل بلديه على سائر البلاد وإن الدجال والطاعون لا يدخلانهما وتفضيل مسجده على سائر

المساجد(على رأي) وإن البقعة التي دفن فيها أفضل من جميع البقاع بالإجماع.

ومن خصائصه ﷺ في شرعه إحلال الغنائم وجعل الأرض كلها مسجداً والتراب طهوراً والوضوء في أحد القولين ومجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لأحد قبله وأنه أول من صلى العشاء ولم يصلها نبي من قبله. والجمعة والتأمين واستقبال الكعبة والصف في الصلاة كصف الملائكة وتحية السلام والأذان والإقامة والركوع في الصلاة والجماعة فيها وقول اللهم ربنا لك الحمد. والصلاة بالنعلين وكراهة الصلاة في المحراب. والحوقلة. والاسترجاع عند المصيبة. وافتتاح الصلاة بالتكبير. ومن خصائصه ﷺ أن أمته تغفر لهم الذنوب بالاستغفار وإن الندم لهم توبة ويأكلون صدقاتهم في بطونهم ويثابون عليها ويعجل لهم الثواب في الدنيا مع ادخاره في الآخرة وما دعوا به استجيب لهم. ومن خصائصه ﷺ ساعة الإجابة وليلة القدر وشهر رمضان والخصال الخمس فيه وعيد الأضحى واللحد وكان لأهل الكتاب الشق والسحور وتعجيل الفطر وإباحة الأكل والشرب والجماع ليلاً إلى الفجر ويوم عرفة وجعل صوم عرفة كفارة سنتين وتحريم الكلام في الصلاة وإباحة الكلام في الصوم على العكس مما كان لمن قبلنا. ومن خصائصه أن أمته خير الأمم وآخر الأمم وأنهم ميسرون لحفظ كتابهم في صدورهم وأنهم اشتق لهم اسمان من أسماء الله تعالى المسلمون والمؤمنون وسمي دينهم الإسلام ولم يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء دون أممهم.

ومن خصائصه ﷺ في أمته أن وضع الله عنهم الإصر الذي كان على الأمم قبلهم وأحل كثيراً مما شدد على من قبلهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ورفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس ومن هَمَّ منهم بسيئة ولم يفعلها لم تكتب سيئة بل تكتب حسنة ومن هم بحسنة كتبت حسنة فإن عملها كتبت عشراً ورفع عنهم قتل النفس في التوبة وقرْض موضع النجاسة وربع عشر المال في الزكاة وما دعوا به استجيب لهم وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية ونكاح أربع ورخص لهم في نكاح غير ملتهم وفي

نكاح الأَمَة وفي مخالطة الحائض سوى الوطء وحرم عليهم كشف العورة والتصوير وشرب المسكر وإن أمته ﷺ لا تهلك بجوع ولا بغرق ولا يعذبون بعذاب عذب به من قبلهم ولا يسلط عليهم عدو غيرهم فيستبيحوا بيضتهم ولا تجتمع على ضلالة ونشأ من ذلك أن إجماعهم حجة وأن اختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذاباً والطاعون لهم رحمة وشهادة وكان عذاباً على من قبلهم وإن طائفة من أمته ﷺ لا تزال على الحق وإن فيهم أقطاباً وأوتاداً ونجباء وأبدالا.

ومن خصائصه في أمته ﷺ أن الله تعالى قال في حق قوم موسى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(الأعراف: ١٥٩). وقال تعالى في حق أمته ﷺ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨١). ومن خصائصه ﷺ أن أمته أوتيت العلم الأول والعلم الآخر وفتح عليها خزائن العلم وأوتيت الإسناد والأنساب والإعراب وتصنيف الكتب وعلماؤها كأنبياء بني إسرائيل. ومن خصائصه ﷺ أنه أول من تنشق عنه الأرض وأول من يفيق من الصعقة ويحشر في سبعين ألفاً على البراق ويُؤذَّن باسمه في الموقف ويكسى فيه حلتين أعظم الحلل من الجنة ومقامه عن يمين العرش والمقام المحمود وبيده لواء الحمد، وآدم فمن دونه تحت لوائه، وأنه إمام النبيين يومئذ وخطيبهم وقائدهم وأنه أول شافع وأول مشفع وأول من ينظر إلى الله وأول من يؤذن له بالسجود وأول من يرفع رأسه وله الشفاعة العظمى في فصل القضاء والشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب والشفاعة فيمن استحق النار من الموحدين أن لا يدخلها والشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة والشفاعة فيمن خلد من الكفار أن يخفف عنهم العذاب والشفاعة في أطفال المشركين أن لا يعذبوا وأن كل سبب ونسب فيقطع يوم القيامة إلا نسبه وسببه ﷺ وأنه أول من يجيز على الصراط وأول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها وبعده ابنته وأن له في كل شعرة في رأسه ووجهه نوراً ويؤمر أهل الجمع بغض أبصارهم حتى تمر ابنته على الصراط. ومن خصائصه ﷺ الكوثر والوسيلة وأن منبره على ترعة من ترع الجنة وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة.

ومن خصائصه ﷺ أن أمته الآخرون في الدنيا الأولون يوم القيامة يقضى لهم قبل الخلائق ويكونون في الموقف على كوم عال ويأتون غرّاً محجلين من آثار الوضوء وعُجّل عذابها في الدنيا وفي البرزخ لتأتي يوم القيامة ممحصة، تدخل قبورها بذنوبها وتخرج منها بلا ذنوب تمحص عنها باستغفار المؤمنين ويؤتون كتبهم بأيمانهم وتسعى ذريتهم ونورهم بين أيديهم ولهم سيما في وجوههم من أثر السجود ولهم نوران كالأنبياء وهم أثقل الناس ميزاناً ولها ما سعت وما يُسعى لها بخلاف سائر الأمم وأنهم يدخلون الجنة قبل كل أحد من الأمم وهم أول من تنشق الأرض عنه من الأمم.

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة تبرز خصائصه وخصائص أمته ﷺ.

وها أنذا أذكر جانباً من هذه الأحاديث النبوية الشريفة

الباب الرابع

الأحاديث التي تبرز خصائصه وخصائص أمته ﷺ

١- عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته**)) (رواه الإمام أحمد والبيهقي والحاكم).

٢- عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لى قال وكيف عرفت محمداً؟ قال لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك قال صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك**)). (رواه الحاكم والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر).

٣- عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ قال: "أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً". رواه البخاري، السخاب يعني الصياح ويقال بالصاد أيضاً والغلف جمع أغلف وهو المستور.

٤- عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فأنا خيار من خيار**)) رواه مسلم.

٥- عن السائب بن يزيد رضى الله عنه قال: " قمت خلف ظهر رسول الله ﷺ فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة " (رواه البخاري ومسلم وزر الحجلة بيضتها وهي طائر).

٦- عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: " رأيت خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ مثل بيضة الحمامة يشبه جسده " رواه مسلم والبيهقي.

٧- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال " انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابة عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأُرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك حين رجعوا إلى قومهم قالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا " رواه الشيخان.

٨- وروى الشيخان عن مسروق قال: " سألت ابن مسعود من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن قال آذنته بهم شجرة ".

٩- عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لما كذبتني قريش حين أُسرى بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**)) رواه البخاري ومسلم.

١٠- عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ هل أتى عليك يوم أشد من أحد قال ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا هو جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ثم ناداني ملك الجبال فسلم عليَّ ثم قال إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني إليك ربك لتأمرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال رسول الله ﷺ: ((**بل أرجو أن يخرج الله من**

أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا)) رواه البخاري ومسلم.

الأخشب كل جبل خشن غليظ الحجارة والأخشبان هما الجبلان المطيفان بمكة وهما أبو قبيس والأحمر ، وهو جبل مشرف وجهه على قيقعان.

١١- عن عائشة رضى الله عنها قالت: قدم النبى ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله فقال: ((**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة وأشد اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة**)) رواه الشيخان.

١٢- عن ابن عمرو رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: ((**رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة فأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة ومهيعة هي الجحفة**)). (قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى قال بعض العلماء هذه معجزة له ﷺ لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا عن أن يدفعوا الطاعون عن بلد من البلاد بل عن قرية من القرى وقد امتنع الطاعون من المدينة بدعائه ﷺ هذه المدد المتطاولة).

١٣- عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال يوم بدر: ((**هذا جبريل آخذ رأس فرسه عليه أداة الحرب**)) رواه البخاري.

١٤- عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: ((**إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لى ساعة من نهار**)) رواه البخاري ومسلم.

١٥- عن عمر رضى الله عنه أنه قال: يا رسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال ﷺ: ((**كانت لغة إسماعيل دُرست فجاء بها جبريل عليه السلام فحفظنيها**)) رواه أبو نعيم وغيره.

١٦- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله ألا تدعو على المشركين قال: ((**إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً**)) رواه مسلم وأخرجه البخاري.

١٧- عن حذيفة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: ((**أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي**)) (رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان وروى مثله الإمام أحمد عن أبي ذر مرفوعا).

١٨- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ما خلق الله وما ذرأ نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ وما حلف الله بحياة أحد قط إلا بحياة محمد ﷺ " فقال لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ". رواه أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر.

١٩- عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير))** رواه مسلم.

٢٠- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون))** رواه مسلم.

٢١- عن ابن عباس رضى الله عنهما إن النبى ﷺ أتاه ملك فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة.

٢٢- عن حذيفة وأبي هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **((أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق))** رواه مسلم.

٢٣- عن ابن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم: **((فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم))** وقول عيسى: **((إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم))** فرفع يديه وقال: **((أمتي أمتي))** ثم بكى فقال الله: **((يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك))** رواه البخاري.

٢٤- عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((أنا أكثر الأنبياء تابعاً))** رواه مسلم.

٢٥- عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((أعطيت ثلاث**

خصال أعطيت صلاة في الصفوف وأعطيت السلام وهو تحية أهل الجنة وأعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم إلا أن يكون الله أعطاها هارون فإن موسى كان يدعو ويؤمن هارون)) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده.

٢٦- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : ((أُتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق جاءني به جبريل عليه قطيفة من سندس)) رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه وأبو نعيم.

٢٧- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((أعطيت أمتي شيئاً لم يعطه أحد من الأمم أن يقولوا عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون)) رواه الطبراني.

٢٨- وأخرج عبد الرزاق وابن جرير في تفسيرهما عن سعيد بن جبير قال لم يعط أحد الاسترجاع غير هذه الأمة ألا تسمعون إلى قول يعقوب: يا أسفا على يوسف".

٢٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((أعطيت أمتي في رمضان خمس خصال لم تعطهن أمة كانت قبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا وتصفد مردة الشياطين فلا يصلون فيه إلى ما كانوا يصلون إليه ويزين الله جنته في كل يوم فيقول يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة ويصيروا إليك ويغفر لهم في آخر ليلة من رمضان)) فقالوا يا رسول الله هي ليلة القدر قال: ((لا ولكن العامل إنما يوفى أجره عند انقضاء أجله)).

٣٠- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((أُمرت بعيد الأضحى جعله الله لهذه الأمة)) رواه الحاكم وصححه.

٣١- عن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر)) رواه مسلم.

٣٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يزال هذا

الدين ظاهراً ما عجّل الناس الفطر وأخروا السحور إن اليهود والنصارى لا يؤخرون)) (رواه أبو داود وابن ماجه).

٣٣- عن أبي قتادة رضى الله عنه أن النبى ﷺ سُئِلَ عن صوم يوم عاشوراء فقال: ((**يكفر السنة الماضية**)) وسُئل عن صوم يوم عرفة فقال: ((**يكفر السنة الماضية والباقية**)) (رواه مسلم).

٣٤- عن أنس رضى الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبى النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾(البقرة: ٢٢٢). فقال رسول الله ﷺ: ((**اصنعوا كل شيء إلا النكاح))** فقال اليهود ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه (رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه).

٣٥- عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: ((**لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله**)) (رواه الإمام أحمد وأبو يعلى).

٣٦- عن عمرو بن قيس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**إن الله أدرك بي الأجل المرحوم واختارني اختياراً فنحن الآخرون السابقون يوم القيامة وإني قائل قولاً غير فخر: إبراهيم خليل الله وموسى صفي الله وأنا حبيب الله ومعي لواء الحمد يوم القيامة وإن الله وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاث لا يعمهم بسنة ولا يستأصلهم عدو ولا يجمعهم على ضلالة**)) (رواه الدارمى وابن عساكر) والسَّنة أي القحط والجدب.

٣٧- عن عائشة رضى الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرني: ((**أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء وأن الله جعله رحمة للمؤمنين ليس في أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد**)) (رواه البخاري).

٣٨- عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أيما مسلم شهد له أربعة بخير إلا أدخله الله الجنة**)) فقلنا وثلاثة قال: ((**وثلاثة**)) قلنا

واثنان قال: ((واثنان)) ثم لم نسأله عن الواحد.

٣٩- عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العتمة (العشاء) ليلة حتى ظن الظان أن قد صلى ثم خرج فقال: ((اعتموا بهذه الصلاة فإنكم فضلتم بها على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم)) (رواه أبو داود والبيهقي).

٤٠- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((إن الله تجاوز لى عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به)) (رواه البخاري ومسلم).

٤١- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)) (رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم وابن ماجه).

٤٢- عن حذيفة رضى الله عنه قال: سجد رسول الله ﷺ يوماً فلم يرفع حتى ظننا أن نفسه قد قبضت فيها فلما رفع قال: ((إن ربي استشارني في أمتي ماذا يفعل بهم فقلت ما شئت يا رب خلقك وعبادك فاستشارني الثانية فقلت له ذلك فاستشارني الثالثة فقلت له ذلك فقال إني لن أخذلك في أمتك وبشرني أن أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ثم أرسل إلى ادعُ تُجب وسل تعطهْ وأعطاني أن غُفِرَ لى ما تقدم من ذنبي وما تأخر. وأنا أمشي حياً صحيحاً وشرح لى صدري وأنه أعطاني الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضي وأنه أعطاني القوة والنصر والرعب يسعى بين يدي شهرا وأنه أعطاني أني أول الأنبياء دخولاً الجنة وطيب لأمتي الغنيمة وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج فلم أجد شكراً إلا هذه السجدة)) (رواه الإمام أحمد وأبو بكر الشافعي وأبو نعيم وابن عساكر).

٤٣- عن أبي العالية قال: قال رجل يا رسول الله لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل فقال النبى ﷺ: ((ما أعطاكم الله خير كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فإن

كفرّها كانت له خزياً في الدنيا وإن لم يكفرها كانت له خزياً في الآخرة وقد أعطاكم الله خيراً من ذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾(النساء: ١١٠). والصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن)) رواه ابن جرير.

* * *

الباب الخامس

في مكارم أخلاقه ﷺ

لقد جاء المصطفى ﷺ من أكرم دوحة وتعهده المولى عز وجل في طفولته وشبابه إلى أن اختاره ليكون بشيرا ونذيرا ، فرباه أحسن تربية ، وأدبه أحسن تأديب.

وكان القرآن الكريم منهل أخلاقه، ورغم أنه كان في قمة الأخلاق إلا أنه كان ﷺ مشغوفا بالاستزادة حتى إنه كان يقول في دعائه: ((**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت**)). وقد ناط مكارم الأخلاق برسالته فقال: ((**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)) وتقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: "كان خلقه القرآن ".

وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، وكان أحسن الناس خُلقا وكان عليه الصلاة والسلام أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وكان ﷺ إذا خلا بنسائه ألين الناس وأكرم الناس ضحاكا بساما ، وإذا دخل على أهله قال هل عندكم طعام فإذا قيل لا قال إني صائم. وكان ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر.

وكان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة أقبل عليهم بوجهه فقال هل فيكم جنازة أتبعها فإن قالوا لا قال من رأى منكم رؤيا يقصها علينا. وكان ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض بها صوته.

وكان عليه الصلاة والسلام إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائبا دعا له وإن كان شاهدا زاره وإن كان مريضا عاده.

وكان ﷺ إذا كره شيئا رؤى ذلك في وجهه وكان ﷺ إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه لم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده، وكان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال.

وكان عليه الصلاة والسلام رحيما وكان لا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له إن كان عنده.

وكان عليه الصلاة والسلام لا يُسأل شيئا إلا أعطاه أو سكت.

وكان ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم.

وكان عليه الصلاة والسلام يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم.

وكان ﷺ يُقبل بوجهه وحديثه على شر القوم يتألفه بذلك.

وكان ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة.

وكان لا يأنف، ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته.

وكان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها وكان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة.

وكان عليه الصلاة والسلام إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل ما بال فلان يقول.. ولكن ما بال أقوام يقولون كذا وكذا.

وكان ﷺ إذا جاءه ما يسره خر ساجدا شاكرا، وإذا رأى ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكان ﷺ لا يفتأ يحض المسلمين على التحلي بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال وينفرهم من الرذائل، وفي هذا أحاديث كثيرة منه :

١- ((**إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا**)).

٢- ((**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم بالليل الظامىء بالهواجر**)).

٣- ((**من سعادة المرء حسن الخلق**)).

٤- ((**أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق**)).

٥- ((**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم. فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق**)).

٦- وسئل ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: ((**خلق حسن**)).

٧- وقيل له ﷺ أي المؤمنين أفضل إيمانا؟ قال: ((**أحسنهم خلقا**)).

٨- جاء رجل فوقف بين يدي رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: ((**حسن الخلق**))، فأتاه من قبل يمينه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: ((**حسن الخلق**)). ثم أتاه من قبل شماله فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: ((**حسن الخلق**)). ثم أتاه من ورائه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فالتفت إليه وقال: ((**أما تفقه؟ هو ألا تغضب**)).

٩- وقال ﷺ: ((**سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**)).

١٠- وقال عليه الصلاة والسلام: ((**الشوم سوء الخلق**)).

١١- وبلغ من كلفه بمكارم الأخلاق أنه أطلق من السبي بنت حاتم الطائي مكافأة لكرم أخلاق أبيها، فإنها جاءت إلى النبى ﷺ في سبايا طيئ فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإني بنت سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العانى، ويشبع الجائع، ويطعم الطعام، ولم يرد طالب حاجة أنا ابنة حاتم الطائي.

فقال ﷺ: ((**يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا، لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وإن الله يحب مكارم الأخلاق**)).

فقام أبو بُردة بن نيَّار فقال: يا رسول الله آلله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال الرسول ﷺ: ((**والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الخلق**)).

* * *

الباب السادس

في فضائل المصطفى ﷺ

اعلم أيها الأخ الكريم أن فضائل المصطفى ﷺ لا تعد ولا تحصى، وإليك بعضا من الأحاديث النبوية التي تتضمن جانبا من هذه الفضائل.

١- عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وما تفرق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً)) (رواه البيهقي في دلائل النبوة).

٢- عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضى الله عنهما قال: قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال يا جابر: ((إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السماوات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله)) (رواه عبد الرزاق).

٣-   عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: ((**إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب أن محمدا خاتم النبيين**)) (رواه مسلم).

٤-   عن العرباض بن سارية رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته**)) (رواه البغوى في شرح السنة).

٥-   عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لى فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال لأنك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلىّ وإذ سألتني بحقه قد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك**)) (رواه البيهقى في الدلائل والحاكم).

٦-   عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه**)) (رواه البخاري).

٧-   عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**)) (رواه مسلم).

٨-   عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن النبى ﷺ عن جبريل عليه السلام قال: " قلّبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد" (رواه أبو نعيم والطبراني).

٩-   عن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال: هبط جبريل على النبى ﷺ فقال: " إن ربك يقول إن كنت اتخذت إبراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقاً أكرم علىَّ منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي

ولولاك ما خلقت الدنيا" (رواه ابن عساكر).

١٠- عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: ((**إن لى أسماءً أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي**)) (رواه البخاري ومسلم).

١١- عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**أتاني جبريل فقال إن ربي وربك يقول أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت الله أعلم قال إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي**)) (رواه الطبراني وصححه ابن حبان قال في المواهب قال الإمام الشافعي رضى الله عنه إنَّ معنى قول الله تعالى ورفعنا لك ذِكرك أي لا أذكَرُ إلا ذكرتَ معي (**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله**).

١٢- عن أبي ذر الغفاري رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبيٌّ حتى استيقنت فقال: ((**يا أبا ذر أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع أحدهما إلى الأرض وكان الآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو؟ قال نعم قال فزِنه برجل فوزنت به فوزنته ثم قال زنه بعشرة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال زنه بألف فوزنت بهم فرجحتهم كأني أنظر إليهم ينتشرون عليّ من خفة الميزان قال فقال أحدهما لصاحبة لو وزنته بأمته لرجحها**)) رواه الدارمى.

١٣- عن عبد الرحمن بن جبلة الكلبي رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أنا النبى الأمي الصادق الذكي الويل كل الويل لمن كذبني وتولى عني وقاتلني والخير لمن آواني ونصرني وآمن بي وصدق قولي وجاهد معي**)) رواه ابن سعد.

١٤- عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن** بالذي أُرسلتُ به **إلا كان من أصحاب النار**)) رواه مسلم.

١٥- عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أوحى الله تعالى إلى موسى نبي بني إسرائيل أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار قال يا رب**

ومن أحمد قال ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السماوات والأرض إن الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وأمته قال ومن أمته؟ قال الحمادون يحمدون الله صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم صائمون بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله قال اجعلني نبي تلك الأمة قال نبيها منها قال اجعلني من أمة ذلك النبى قال استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال)) رواه أبو نعيم.

١٦- عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن عمر أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب وقال: ((لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعني)) رواه الإمام أحمد وغيره.

١٧- عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((بعثت بالحنيفية السمحة ومن خالف سنتي فليس مني)) رواه الخطيب البغدادي.

١٨- عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) رواه البخاري ومسلم.

١٩- عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة)) رواه البخاري ومسلم.

٢٠- عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا محمد النبى الأمي لا نبي بعدي أوتيت جوامع الكلم وخواتمه)) رواه الإمام أحمد بسند حسن.

٢١- عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أُوتيتُ بمقاليد الدنيا على فرس أبلق جاءني به جبريل وعليه قطيفة من سندس)). رواه الإمام أحمد وابن حبان والضياء المقدسي برجال الصحيح.

٢٢- عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: ((**إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال**)) (رواه البغوى).

٢٣- عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أدبني ربي فأحسن تأديبي**)) رواه ابن السمعاني.

٢٤- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إنما أنا رحمة مهداة**)) رواه الحاكم وغيره وهو كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

٢٥- عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: تلا رسول الله: ((**رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم**)) وقوله: ((**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**)) فرفع يديه وقال: ((**اللهم أمتي أمتي**)) وبكى فقال الله عز وجل: ((**يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيه**)) فأتاه جبريل فسأله فأخبره بما قال وهو أعلم فقال الله تعالى: ((**يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**)) رواه مسلم.

٢٦- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً**)) رواه مسلم.

٢٧- عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشراً ثم اسألوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة**)) رواه مسلم.

٢٨- عن أنس رضى الله عنه: " أن النبى ﷺ أُتى بالبراق ليلة أسرى به فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركب أحد أكرم على الله منه فارفض عرقاً " رواه القاضى عياض في الشفاء وغيره.

٢٩- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**نحن الآخرون**

السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتو الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم يعني الجمعة اختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد)) رواه البخاري ومسلم.

٣٠- عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي (رواه الحاكم والبيهقي)

٣١- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون قال بعضهم إن الله اتخذ إبراهيم خليلا، وقال آخر موسى كلمه الله تكليما، وقال آخر عيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: ((قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر)) رواه الترمذي وغيره.

٣٢- عن عمرو بن قيس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة وإني قائلٌ قولاً غير فخر: إبراهيم خليل الله وموسى صفي الله وأنا حبيب الله ومعي لواء الحمد يوم القيامة وإن الله وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاث لا يعمهم بسَنة ولا يستأصلهم عدو ولا يجمعهم على ضلالة)) ﷺ رواه الدارمي.

٣٣- عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

((أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا نصتوا وأنا مستشفعهم إذا حُبسوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف عليّ ألف خادم كأنهم بيض

مكنون أو لؤلؤ منثور)) رواه الترمذي والبيض المكنون اللؤلؤ المستور.

عن أبي بن كعب رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **((إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر))** رواه الترمذي.

٣٤- عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر))** رواه الدارمي.

٣٥- عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **((أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حلةً من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري))** رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

٣٦- عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((إنّي فرطٌ لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف أن تنافسوا فيها))** رواه البخاري ومسلم.

٣٧- عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **((حوضي مسيرة شهر وزواياه سواءٌ ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبداً))** رواه البخاري ومسلم.

٣٨- عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه مسك أذفر))** رواه البخاري.

٣٩- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **((إذا أراد الله أن يقضي بين خلقه نادى منادٍ أين محمدٌ وأمته؟ فأقوم وتتبعني أمتي غرّاً محجلين من أثر الطهور))** قال رسول الله ﷺ: **((فنحن الآخرون الأولون وأول من يحاسب وتفرج لنا الأمم عن طريقنا وتقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها))** رواه أبو داود.

٤٠- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **((يضرب**

الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم)) رواه البخاري ومسلم.

٤١- عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة إلى عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة)) رواه أحمد وغيره.

٤٢- عن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إني سألت ربي وشفعت لأمتي فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجداً شكراً لربي ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجداً لربي شكراً ثم رفعت رأسي فسألت ربي فأعطاني الثلث الآخر فخررت ساجدا لربي)) رواه أبو داود.

٤٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم ذلك؟ بجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو الشمس من جماجم الناس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم يعني إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فقال: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح أنت أول الرسل بُعث إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني كنت كذبت ثلاث كذبات

فذكرها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس ألا ترى ما نحن فيه اشفع لنا إلى ربك فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ اشفع لنا إلى ربك فقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً ﷺ فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ألا ترى ما نحن فيه اشفع لنا إلى ربك فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً إلى ربي ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك مَنْ لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفسي بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَرَ أو كما بين مكة وبُصرى)) رواه الشيخان.

* * *

الباب السابع

الفرق بين فضائل الأنبياء وفضائل الرسول ﷺ

الفرق بين ما أوتي إبراهيم ومحمد من ربهما :

فإن قيل: فإن إبراهيم عليه السلام خص بالخلة، قلنا قد اتخذ الله محمداً خليلاً وحبيباً والحبيب ألطف من الخليل. فإن قيل: فإن إبراهيم حجب عن نمرود بحجب ثلاثة قلنا قد كان كذلك وحجب محمد ﷺ عمن أراد قتله بخمسة حجب، قال الله تعالى في أمره: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾(يس: ٩).، ثم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً ﴾(الإسراء: ٤٥).، ثم قال تعالى: ﴿ فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾(يس: ٨). فهذه خمسة حجب.

فإن قيل: إن إبراهيم عليه السلام قصم نمرود ببرهان نبوته فبهته قال الله تعالى: ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾(البقرة: ٢٥٨). فمحمد ﷺ أتاه المكذب بالبعث أُبيّ بن خلف بعَظْمٍ بالٍ يفركه وقال: ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾(يس: ٧٨). فأنزل الله عز وجل البرهان الساطع فقال:﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(يس: ٧٩). الآية فانصرف مبهوتاً ببرهان نبوته.

فإن قيل: إن إبراهيم عليه السلام كسر أصنام قومه غضباً لله قيل: محمد ﷺ كسر ثلاثمائة وستين صنماً نصبت حول الكعبة بإشارته باليمين فتساقطن.

الفرق بين ما أوتي محمد وموسى من ربهما :

فإن قيل: إن موسى عليه السلام جعل الله عصاه ثعباناً، قلنا: فقد أوتي محمد ﷺ نظيرها وأعجب منها خوار الجذع اليابس وحنينه وهذا أبلغ في الأعجوبة وأيضاً إجابة الأشجار له واجتماعهن لدعوته ﷺ لما دعاهن ورجوعهن إلى أمكنتهن بعد أن أمرهن.

فإن قلت: إن موسى عليه السلام كان في التيه يضرب بعصاه الحجر

فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً قلنا كان لمحمد ﷺ مثله وأعجب منه فإن نبع الماء من الحجر مشهور في المعلوم والمتعارف.

وأعجب من ذلك نبع الماء من بين اللحم والعظم والدم وكان يتفجر من بين أصابعه في مخضب ينبع من بين أصابعه الماء فيشربون ويستقون ماء جارياً عذباً روى العدد الكثير من الناس والخيل والإبل ووقع غير ذلك ما في معناه من نبع الماء له ﷺ.

فإن قيل: إن موسى عليه السلام انفلق له البحر فجازه بأصحابه لما ضربه بعصاه قلنا قد أوتي نظيره بعض أمته من بعده لأنه لم يحوج إلى اجتياز بحر وهو العلاء بن الحضرمي لما كان بالبحرين واضطر إلى عبور البحر فعبر هو وأصحابه مشياً على الماء ولم يبل لهم ثوباً.

فإن قيل: إن موسى عليه السلام أتى قومه بالعذاب الجراد والطوفان والضفادع والدم على ما أخبر الله تعالى به، قلنا قد أرسل على قريش في عهد النبى ﷺ الدخان آية بينة ونقمة بالغة قال الله تعالى: ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾(الدخان: ١٠، ١١). ودعا على قريش فابتلوا بالسنين فقال ﷺ: ((**اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف**)).

فإن قيل: إن موسى عليه السلام أُنزل عليه وعلى قومه المن والسلوى وظلل عليهم الغمام وأن المن والسلوى رزق رزقهم الله كفوا السعي فيه والاكتساب، قلنا أُعطى محمد ﷺ وأمته ما هو أعظم منه مما كان محظوراً على من تقدم من الأنبياء والأمم فأحل الله عز وجل له ولأمته الغنائم ولم تحل لأحد قبله.

وأعطى من أصحابه حين أصابتهم المجاعة في السرية التي بعثوا فيها فقذف لهم البحر عن دابة حوت فأكلوا منه وأتدموا شهراً مع أنه ﷺ كان يشبع النفر الكثير من الطعام اليسير واللبن القليل حتى صدروا عنه شباعاً ورواء.

وروى بسنده إلى جابر رضى الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب وأميرنا يومئذ أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط (ورق الشجر) فسمي ذلك الجيش جيش الخبط قال: فألقى لنا

البحر ونحن بالساحل دابة تسمى العنبر فأكلنا منه شهراً وأتدمنا به وادهنا بودكه حتى ثابت أجسامنا قال فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنصبه فنظر أطول رجل وأعظم جمل في الجيش فأمر أن يركب الجمل وأن يمر تحته ففعل فمر تحته فأتينا النبى ﷺ فأخبرناه فقال: هل معكم منه شيء؟ قلنا: نعم فأتيناه منه فأكل.

فإن قيل: قد أعطى موسى العصا فكان ثعباناً يتلقف ما صنعت السحرة واستغاث فرعون بموسى رهبة وخوفاً منها قلنا: قد كان لمحمد ﷺ أخت هذه الآية بعينها وهي قصة أبي جهل بن هشام لما عاهد الله لأجلسن له بحجر قدر ما أطيق أحمله فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه أقبل مبهوتاً منتقعاً لونه مرهوباً قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت إليه رجالات قريش وقالوا: يا أبا الحكم ما جرى لك قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط فَهَمَّ أن يأكلني فذكر لرسول الله ﷺ قال: ذلك جبرائيل عليه السلام لو دنا مني لأخذه.

الفرق بين ما أوتي محمد وصالح من ربهما :

فإن قيل: قد أخرج الله عز وجل لصالح ناقة جعلها له على قومه حجة وآية لها شرب يوم ولقومه شرب يوم معلوم قلنا قد أعطى الله عز وجل محمدًا ﷺ على قومه حجة مثل ذلك كانت ناقة صالح لم تتكلم ولا ناطقة ولم تشهد له بالنبوة، ومحمد ﷺ شهد له البعير الناد شاكياً إليه ما هم به صاحبه من نحره.

الفرق بين ما أوتي محمد وداود من ربهما :

فإن قيل: فسخر الله عز وجل لداود الجبال والطيور يسبحن معه وألان له الحديد. قلنا قد أعطى محمداً ﷺ مثله من جنسه وزيادة فقد سبح الحصا في يده وفي يد من صدقه رفعة لشأنه وشأن مصدقيه.

وروى بسنده إلى سويد بن يزيد قال: دخلت مسجد رسول الله ﷺ فإذا أبو ذر

جالس فاغتنمت خلوته فجلست إليه فقال أبو ذر: كنت مع رسول الله ﷺ في خلوته فدخلت ذات يوم المسجد فإذا هو فيه فجئت فجلست فبينما أنا جالس إذ جاء أبو بكر رضى الله عنه فقال رسول الله ﷺ: ما جاء بك يا أبا بكر؟ قال: إلى الله وإلى رسوله فجلس عن يمين رسول الله ﷺ ثم جاء عمر فقال: ما جاء بك يا عمر؟ قال: إلى الله وإلى رسوله، فجلس عن شمال رسول الله ﷺ قال ثم جاء عثمان فقال: ما جاء بك يا عثمان؟ فقال: إلى الله وإلى رسوله فأخذ رسول الله ﷺ سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت حنينهن كحنين النحل ثم وضعهن قال: فخرسن ثم أخذهن فدفعهن في يد أبي بكر قال: فسبحن في يده حتى سمعت حنينهن كحنين النحل قال ثم وضعهن فخرسن ثم أخذهن فدفعهن في يد عمر فسبحن في يده حتى سمعت حنينهن كحنين النحل قال ثم وضعهن فخرسن وفي رواية أخرى أنهن سبحن في يد عثمان أيضاً رضى الله عنه.

فإذا قيل: سخرت له الطير قلنا فقد سخرت لرسول الله ﷺ مع الطير البهائم العظيمة– الإبل فما دونها– وما هو أعسر وأصعب من الطير السباع العادية الضارية بتهيبها وتنقاد إلى طاعته كالبعير الشارد الذي انقاد له والذئب الذي نطق بنبوته وبالتصديق بدعوته ورسالته وكذلك الأسد لما مر به سفينة مولى رسول الله ﷺ وهمهم به ودله على الطريق.

وروى بسند عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فدخل رجل غيضة فأخرج منها بيض حُمَّرَة (طائر) فجاءت الحمرة ترفرف على رسول الله ﷺ فقال: أيكم فجع هذه، فقال رجل من القوم: أنا أخذت بيضها فقال: رده رحمة لها.

فإن قيل: لقد لين الله تعالى لداود عليه السلام الحديد حتى سرد منه الدروع السوابغ قلنا قد لينت لمحمد ﷺ الحجارة وصم الصخور فعادت له غاراً استتر بها من المشركين يوم أُحد مال ﷺ برأسه إلى الجبل ليخفي شخصه عنهم فلين الله له الجبل حتى أدخل فيه رأسه وهذا أعجب لأن الحديد تلينه النار ولم نر النار تلين الحجر

وذلك بعد ظاهر باق يراه الناس.

وكذلك في بعض شعاب مكة حجر من جبل أصم استروح ﷺ في صلاته إليه فلان له الحجر حتى أثر فيه بذراعيه وساعديه وذلك مشهور يقصده الحجاج ويزورونه وعادت الصخرة ببيت المقدس ليلة أسرى به كهيئة العجين فربط بها دابته البراق.

الفرق ما بين ما أوتي محمد وسليمان من ربهما :

فإن قيل: فإن سليمان عليه السلام قد أعطى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده قلنا: إن محمداً ﷺ أعطى مفاتيح خزائن الأرض فأباها وردها اختياراً للتقليل والرضا بالقوت واستصغاراً لها بحذافيرها وإيثاراً لمرتبته ورفعته عند الله تعالى.

وروى بسنده عن أبي أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**عرض على ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع ثلاثاً وإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك**)).

وروى بسنده إلى عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((**يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت عبداً نبيّاً أو نبيا ملكاً فنظرت إلى جبرائيل فأشار إلى أن ضع نفسك فقلت: نبياً عبداً**)).

فإن قيل: فإن سليمان عليه السلام سخرت له الرياح فسارت به في بلاد الله وكان غدوها شهراً ورواحها شهراً قلنا أعطى محمد ﷺ أعظم وأكثر منه لأنه سار في ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر وعرج به إلى ملكوت السموات مسيرة ألف سنة في أقل من ثلث ليلة فدخل السموات سماء سماء ورأى عجائبها ووقف على الجنة والنار وعرض عليه أعمال أمته وصلى بالأنبياء وبملائكة السماء وخرق الحجب ودلى له الرفرف الأخضر فتدلى وأوحى إليه رب العالمين ما أوحى وأعطاه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش.

وعهد إليه أن يظهر دينه على الأديان كلها حتى لا يبقى في شرق الأرض وغربها إلا دينه أو يؤدون إليه وإلى أهل دينه الجزية عن صغار وفرض عليه

الصلوات الخمس، ولقى موسى وسأله عن مراجعة ربه في تخفيفه عن أمته هذا كله في ليلة واحدة.

فإن قيل: فإن سليمان عليه السلام كانت تأتيه الجن وأنها كانت تعتاص عليه حتى يصفدها ويقيدها قيل: فإن محمداً ﷺ كانت الجن تأتيه راغبة إليه طائعة له معظمة لشأنه ومصدقة له مؤمنة به متبعة لأمره متضرعة له مستجدين منه ومستمنحين زادهم ومأكلهم فجعل كل روثة يصيبونها تعود علفاً لدوابهم وكل عظم يعود طعاماً لهم.

وصرفت لنبوته أشراف الجن وعظماؤهم التسعة الذين وصفهم الله تعالى فقال: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ ﴾(الأحقاف: ٢٩). ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَى أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾(الجن: ١). إلى قوله: ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً ﴾(الجن: ٧). وأقبلت إليه ﷺ الألوف منهم مبايعين له على الصوم والصلاة والنصح للمسلمين واعتقدوا بأنهم قالوا على الله شططاً فسبحان من سخرها لنبوته ﷺ بعد أن كانت شراراً تزعم أن لله ولداً فلقد شمل مبعثه من الجن والإنس ما لا يحصى هذا أفضل مما أعطى سليمان عليه السلام.

وروى بسنده إلى بلال بن الحارث رضى الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فخرج لحاجته وكان إذا خرج لحاجته أبعد فأتيته بإداوة من ماء فانطلق فسمعت عنده خصومة رجال ولغطاً لم أسمع مثلها فجاء فقال لي: أمعك ماء؟ قلت نعم. قال: اصبب وأخذ مني فتوضأ. فقلت: يا رسول الله سمعت عندك خصومة رجال ولغطاً ما سمعت أحدا من ألسنتهم. قال: اختصم عندي الجن المسلمون والجن المشركون سألوني أن أسكنهم فأسكنت المسلمين الجلس وأسكنت المشركين الغور.

قال عبد الله بن كثير قلت لكثير ما الجلس؟ قال: القرى والجبال والغور ما بين الجبال والبحار قال كثير ما رأينا أحد أصيب بالجلس إلا سلم ولا أصيب بالغور إلا لم يسلم.

فإن قيل سليمان عليه السلام له من التمكين والتسليط على من اعتاص عليه من الجن أن يصفدهم ويقيدهم حتى كانوا في تصرفهم له مطيعين لشأنه متبعين، قلنا: لقد كان محمد ﷺ ولطائفة من أصحابه من التمكين والأسر لهم والقبض عليهم مثل هذا التمكين والتنكيل.

وروى بسنده إلى أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: إن عفريتاً من الجن تفلت عليَّ البارحة ليقطع على صلاتي فأمكنني الله تعالى منه فأخذته وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا فتنظروا إليه كلكم أجمعون فذكرت دعوة أخي سليمان ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾(ص: ٣٥). قال: فرده الله خاسئاً ثم ذكر قصصاً فيها تسخير الجن لبعض الصحابة رضى الله عنهم وأحاديث تتعلق بنصرة الملائكة وطاعتهم له ﷺ.

فإن قيل: إن سليمان عليه السلام كان يفهم كلام الطير والنملة مع تسخير الله له كما ذكر، قلنا قد أعطى محمد ﷺ ذلك وأكثر منه ما تقدم ذكرنا له من كلام البهائم والسباع وحنين الجذع ورغاء البعير وكلام الشجر وتسبيح الحصا والحجر ودعائه إياه واستجابته لأمره وإقرار الذئب بنبوته وتسخير الطير لطاعته وكلام الظبية وشكواها إليه وكلام الضب وإقراره بنبوته.

الفرق بين ما أوتي محمد ويوسف من ربهما :

فإن قيل: فإن يوسف عليه السلام موصوف بالجمال على جميع الأنبياء والمرسلين بل على الخلق أجمعين قلنا إن جمال محمد ﷺ الذي وصفه به أصحابه لا غاية وراءه، إذ وصفوه بالشمس الطالعة والقمر ليلة البدر وأحسن من القمر ووجهه كأنه مذهبة يستنير كاستنارة القمر وكان عرقه ﷺ له رائحة كالمسك الأذفر.

وروى بسنده إلى عمار بن ياسر قال: قلت للرُّبَيِّع بنت معوذ بن عفراء صفي لى رسول الله ﷺ فقالت: يا بني لو رأيته رأيت الشمس الطالعة.

وروى بسنده إلى الحسن بن على رضى الله عنهما قال: قلت لهند بن أبي هالة

صف لى رسول الله ﷺ حتى كأني أنظر إليه قال: نعم كان رسول الله ﷺ حسن الوجه يتلألأ تلألؤ القمر ليلة البدر.

وروى بسنده إلى كعب بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا سره الأمر استنار وجهه كأنه دارة القمر.

وروى بسنده إلى عائشة رضى الله عنها أنها قالت: كان عرق رسول الله ﷺ في وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر وكان أحسن الناس وجهاً وأنورهم لوناً لم يصفه واصف – قال بمعنى صفته – إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر ﷺ.

الفرق بين ما أوتي محمد ويحيى من ربهما:

فإن قيل: إن يحيى عليه السلام أوتي الحكم صبيّاً وكان يبكي من غير ذنب وكان يواصل الصوم قلنا قد أعطى محمد ﷺ أفضل من هذا لأن يحيى عليه السلام لم يكن في عصر الأوثان والأصنام والجاهلية ومحمد ﷺ كان في عصر أوثان وجاهلية فأوتي الفهم والحكم صبيّاً بين عبدة الأوثان وحزب الشيطان فما رغب لهم في صنم قط ولا شهد معهم عيداً ولم يسمع منه قط كذب وكانوا يعدونه صدوقاً أميناً حليماً رءوفاً رحيماً وكان يواصل الأسبوع صوماً فيقول: ((**إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني**)).

وكان ﷺ يبكي حتى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

فإن قيل فقد أثنى الله على يحيى فقال سيداً وحصوراً– والحصور الذي لا يأتي النساء– قلنا إن يحيى كان نبيّاً ولم يكن مبعوثاً إلى قومه وكان منفرداً بمراعاة شأنه.

وكان نبينا ﷺ رسولاً إلى كافة الناس ليقودهم ويحوشهم إلى الله عز وجل قولاً وفعلاً فأظهر الله تعالى به الأحوال المختلفة والمقامات العالية المتفاوتة في تصرفاته ليقتدي كل الخلق بأفعاله وأوصافه فاقتدى به الصديقون في جلالتهم والشهداء في مراتبهم والصالحون في اختلاف أحوالهم ليأخذ كل من العالي والداني

والمتوسط والمكين من فعاله قسطاً وحظاً. إذ النكاح من أعظم حظوظ النفس وأبلغ الشهوات فأمر بالنكاح وحث عليه لما جبل الله عليه النفوس وأباح ذلك لهم ليتحصنوا به من السفاح فشاركوه ﷺ في ظاهره وشملهم الاسم معه وانفرد عن مساواته معهم فقال ﷺ: ((**تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم**)).

فإن غلب عليه وعلى قلبه ما أفرده الحق به من قوله: ((**وجعلت قرة عيني في الصلاة**)) تلطف ﷺ في مرضاته فقال لعائشة: ائذني لي أتعبد في هذه الليلة فقالت: إني لأحب قربك وأحب هواك فقام إلى الصلاة إلى الصباح راكعاً ساجداً وباكياً وربما خرج إلى البقيع فتعبد فيها ويزور أهلها وربما قام ليلة بآية إلى الصباح يتردد فيها كالمناجي: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ** ﴾(المائدة: ١١٨). فكانت نسبته عن أحكام البشرية ودواعي النفس ممحوة عند انشقاق صدره لما حشوه بالإيمان والحكم الذي وزن به أمته فرجح بهم هذا مع ما أنزل الله من السكينة عليه وعلى قلبه ﷺ.

الفرق بين ما أوتي محمد وعيسى من ربهما :

كل فضيلة أوتي عيسى عليه السلام فقد أوتيها نبينا ﷺ وأنها لم ينكرها المتدبر مع ما أطلعه الله عليه خصوصاً من الغيوب التي لم يطلع عليها غيره من الفتن الكائنات التي لم يخبر بها سواه من المرسلين ﷺ.

فإن قيل إن عيسى عليه السلام خص بأن أرسل الروح الأمين إلى أمه فتمثل لها بشراً سوياً وقال: ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً** ﴾ (مريم: ١٩).إلى آخر الآيات ﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ** ﴾(مريم: ٢٩). فنطق في المهد قال:﴿ **إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً** ﴾(مريم: ٣٠).

فكان آية للعالمين ومثلاً في الآخرين ولم يذكر لأحد من الأنبياء شيء مثله فالقول في ذلك أن رسول الله ﷺ أعطى ضروباً من هذه الآيات وأمثالها الدالة على مولده وبشرت به آمنة وما ظهر لها من الآيات عند وضعها.

فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:... فكان من دلالات حمل

النبى ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حُمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو أمان في الدنيا وسراج أهلها، ولم يبق كاهنة من قريش ولا من قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عنها صاحبتها، وانتزع علم الكهنة، ولم يكن سرير ملك من ملوك الدنيا إلا وأصبح منكوساً والملك مخرساً لا ينطق يومه، ومرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك البحار يبشر بعضهم بعضاً به ﷺ.

وفي كل شهر من الشهور نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً، فكانت أمه تحدث عن نفسها وتقول: أتاني آت حين مَرّ بي من حمله ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال: يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين طرا، فإذا ولدته فسميه محمداً واكتمي شأنك.

قال: فكانت تقول: لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ذكر ولا أنثى وإني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه. قالت: فسمعت وجبة شديدة– أي صوتاً شديداً– وأمراً عظيماً فهالني ذلك– وذلك يوم الاثنين– فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كل رعب وكل فزع ووجع كنت أجده، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء– ظننتها لبناً– وكنت عطشى فتناولتها فشربتها، فأضاء مني نور عال، ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن بنات عبد المطلب يحدقن بي– يحطن بي– فبينما أنا أعجب وأقول واغوثاه من أين علمن بي هؤلاء؟ اشتد بي الأمر، وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول، فإذا أنا بديباج أبيض قد مُدّ بين السماء والأرض، وإذا قائل يقول: خذوه عن أعين الناس.

قالت: ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة، وأنا يرشح مني عرق كالجُمان أطيب ريحا من المسك الأذفر، وأنا أقول ياليت عبد المطلب قد دخل عليّ– وعبد المطلب كان عني نائياً – قالت: فرأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتي، مناقيرها من الزمرد، وأجنحتها من اليواقيت فكشف لى عن بصري فأبصرت في ساعتي مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة

أعلام مضروبات علماً في المشرق وعلماً في المغرب وعلماً في ظهر الكعبة.

وأخذني المخاض واشتد بي الأمر جداً فكنت كأني مستندة إلى أركان النساء وكثر على حتى كأن الأيدي معي في البيت وأنا لا أدري شيئاً فولدت محمداً ﷺ، فلما خرج من بطني درت فنظرت إليه فإذا أنا به ساجداً قد رفع إصبعيه كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته فغاب عن وجهي، فسمعت منادياً ينادي يقول: طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار كلها ليعرفوه باسمه ونعته وصورته، ويعلموا أنه سمي فيها الماحي، لا يبقي شيء من الشرك إلا محي به في زمنه.

ثم تجلت عنه في أسرع وقت، فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضاً من اللبن، وتحته حريرة خضراء قد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض، وإذا قائل يقول: قبض محمد على مفاتيح النصر ومفاتيح الذبح ومفاتيح النبوة.

فإن قلت إن عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيراً بإذن الله تعالى. فإن لرسول الله ﷺ نظيره: فإن عكاشة بن محصن انقطع سَيْفه يوم بدر فدفع إليه رسول الله ﷺ جذلاً من حطب وقال: قاتل بهذا، فعاد في يده سيفاً شديد المتن، أبيض الحديدة، طويل القامة، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين. ثم لم يزل يشهد به المشاهد إلى أيام الردة. فالمعنى الذي به أمكن رسول الله ﷺ أن يُصيِّر الخشبة حديداً ويبقى على مر الأيام، هو المعنى الذي خلق به عيسى من الطين كهيئة الطير.

ثم استماع التسبيح والتقديس والتهليل من الحجر الأصم في يده وشهادة الأحجار والأشجار له ﷺ بالنبوة، وأمره للأشجار بالاجتماع والالتزاق والافتراق، كل ذلك جانس إحياء الموتى وطيران المصوَّر من الطين كهيئة الطير.

فإن قيل إن عيسى عليه السلام كان يبرئ الأعمى والأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، قلنا إن قتادة بن النعمان ندرت حدقته— أي برزت وسقطت حدقة العين —

يوم أُحد من طعنة أصيب بها في عينه، فأخذها الرسول ﷺ فردها فكان لا يدري أي عينيه أصيبت وكانت أحسن عينيه وأحدهما.

وروى بسنده إلى حبيب بن فديك قال: إن أباه خرج به إلى النبى ﷺ وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئاً، فسأله ﷺ ما أصابك؟ قال: كنت أمرن جملي- أي أدهن قوائمه – فوقعت رجلي على بعض بيّض حية فأصابت بصري، فنفث النبى ﷺ في عينيه فأبصر. قال: فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وأنه ابن ثمانين سنة وإن عينيه لمبيضتان.

وروى بسنده إلى رفاعة بن رافع رضى الله عنه قال: لما كان يوم بدر رُميت بسهم ففقأت عيني، فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لى فما آذاني منها شيء، وتفل ﷺ في عيني على رضى الله عنه وكرم الله وجهه وهو أرمد فبرئ من ساعته وما اشتكى عينه بعد ذلك.

فإن قيل إن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى بإذن الله تعالى.، فأعجب منه ما رفع الله به شأن محمد ﷺ وجُعلت له آية بينة شهدها الجماعة الكثيرة في إحياء شاة جابر بن عبد الله، وما أحيا الله تعالى لامرأة من الأنصار ابنها على عهد رسول الله ﷺ آية عجيبة لنبي الله ﷺ وساق بسنده الأحاديث الواردة في ذلك بطولها.

فإن قيل عيسى عليه السلام كان يخبر بالغيوب وينبئ بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون، فإن رسول الله ﷺ كان يخبر من ذلك بأعجب لأن عيسى عليه السلام كان يخبر بما يأكلون من وراء جدار في مبيتهم وتصرفهم في مأكلهم، أما سيدنا محمد ﷺ فكان يخبر بما كان مسيرة شهر وأكثر. ومن ذلك إخباره بوفاة النجاشي، وكان يأتيه السائل يسأله فيقول إن شئت أخبرتك عما جئت تسأل عنه. وأشباه ذلك الكثير.

* * *

الباب الثامن

أرسل ﷺ رحمة للعالمين

لقد زين الله تعالى سيدنا محمدا ﷺ بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق، فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب، ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(الأنبياء: ١٠٧). فكانت حياته رحمة ومماته رحمة، كما قال ﷺ: ((**حياتي خير لكم وموتي خير لكم**)). وكما قال عليه الصلاة والسلام ((**إذا أراد الله رحمة بأمة قبض فيها نبيها قبلها فجعله فرطاً وسلفاً**)).

ورحمة للعالمين يعني للجن والإنس، رحمة لعالم الملك والملكوت، وقيل لجميع الخلق، للمؤمن رحمة بالهداية، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب، فرحمته ﷺ رحمة مطلقة تامة كاملة عامة شاملة جامعة محيطة بجميع المقيدات من الرحمة الغيبية والشهادة العلية والعينية والوجودية والشهودية والسابقة واللاحقة وغير ذلك للعالمين، من عالم الأرواح والأجسام، ومن كان رحمة للعالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين، وفي سورة مريم بين قوله تعالى ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾(مريم: ٢١). في حق عيسى عليه السلام، وبين قوله تعالى في حق نبينا ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(الأنبياء: ١٠٧). فرق عظيم، وهو أنه تعالى ذكر في حق عيسى عليه السلام الرحمة مقيدة بحرف من. ومن للتبعيض فهذا كان رحمة لمن آمن به واتبع ما جاء به إلى أن بعث نبينا عليه الصلاة والسلام ثم انقطعت الرحمة من أمة سيدنا عيسى بنسخ دينه أما في حق نبينا عليه الصلاة والسلام فقد ذكر تعالى الرحمة للعالمين، فلهذا لا تنقطع الرحمة عن العالمين أبداً، أما في الدنيا فلا ينسخ دينه، وأما في الآخرة. فالخلق محتاجة إلى شفاعته حتى إبراهيم عليه السلام.

ولقد أخبرنا الله تعالى أن أول ما خلقه الله هو نور سيدنا محمد عليه الصلاة

والسلام، ثم خلق جميع الخلائق من العرش إلى الثرى من بعض نوره فالرسالة إلى الوجود والشهود رحمة لكل موجود إذ الجميع صدر منه فكونه سبب وجود الخلق وسبب رحمة الله على جميع الخلائق فهو رحمة كافية.

واعلم أن كل نبي كان مقدمة للعقوبة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(الإسراء: ١٥). ونبينا عليه الصلاة والسلام كان مقدمة للرحمة لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء: ١٠٧). وأراد الله تعالى أن يكون خاتمة على الرحمة لا على العقوبة بقوله تعالى: ((**سبقت رحمتي غضبي**)). واعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة المحمدية من كون الحضرة الأحدية وجعله رحمة للعالمين وشرف به نوع الإنسان ثم انبجست من الحقيقة المحمدية عيون الأرواح ثم بدا ما بدا في عالم الأجساد والأشباح فهو ﷺ الغاية الجليلة من ترتيب مبادئ الكائنات ويكفي شرفاً وفضلاً أن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق وبعث الأنبياء والرسل ليكونوا مقدمة لظهوره - ﷺ - في عالم الملك والشهادة، فأرواحهم وأجسادهم تابعة لروحه الشريفة وجسمه اللطيف.

ثم اعلم أن حياته عليه الصلاة والسلام رحمة ومماته رحمة كما قال ﷺ: ((**حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، قالوا: هذا خيرنا في حياتك فما خيرنا في مماتك، فقال: تعرض على أعمالكم كل عشية الاثنين والخميس، فما كان من خير حمدت الله تعالى وما كان من شر أستغفرُ الله لكم**)).

واعلم أنه ليس المراد من إرساله رحمة للعالمين هو إرساله ﷺ من حيث ظهور جسمه الشريف الطبيعي فقط، وإن قال به جمهور المفسرين وعامتهم فإنه من هذه الحيثية غير عام الرحمة لجميع العالمين، بل المراد إرساله ﷺ من حيث حقيقته التي هي حقيقة الحقائق ومن حيث روحه الذي هو روح الأرواح فإن حقيقته ﷺ هي الرحمة التي وسعت كل شيء وهذه الرحمة هي أول شئ فَتَقَ ظلمة العدم وأول صادر عن الحق تعالى بلا واسطة وهي الوجود المفاض على أعيان المكونات، ولهذا لما تنزل إلى الوجود الكلي الكوني كان هو صورة القلم المسمى بالعقل الأول ولهذا

ورد عنه ﷺ أنه قال: ((**أول ما خلق الله العقل**))، وورد في الأثر أنه ﷺ قال: ((**أول ما خلق الله القلم**))، وفي حديث جابر– كما سبق إيضاح ذلك– ((**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**)). وبيان ذلك أنه لما تعلقت مشيئة الحق بإيجاد خلقه وكان ذلك من ثوران الميل الحبي حيث يقول الحق عز وجل: ((**كنت كنزاً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني**)) – هذا هو الحديث الإلهي أو القدسي– وهذه المحبة من الحق في إيجاد الخلق كان أول موجود عن هذه المحبة روح سيدنا محمد ﷺ إذ هو الذي وقعت فيه المحبة الكلية من الحق وعنه وعن تلك المحبة تفرع وجود الكون فهو الأصل ﷺ والكون كله فرع عنه فلا يشك في شرف الأصل على فرعه.

لأنه لما كان أول موجود تضمن بحكم محبة الحق جميع ما أراد إبرازه للوجود من الجواهر والأعراض والمنح والمواهب وجميع آثار الكرم والمجد وجميع آثار السطوة والقهر.

فجمع سبحانه وتعالى في تلك الحقيقة المحمدية جميع ما ذكر إجمالاً وتفصيلاً ثم جعله منبعاً وعنصراً لجميع ما يصل إلى الأكوان من جميع ما ذكر جملة وتفصيلاً أزلاً وأبداً.

ومحال بحكم المشيئة الإلهية أن يبرز شيء في الوجود جوهراً أو عرضاً مما دق أو جل خارجاً عن الحقيقة المحمدية.

وإذا تقرر لك ذلك فاعلم أن من أعظم الواجبات على كل مكلف أن يتيقن أن كمالات نبينا ﷺ لا تعد ولا تحصى، ويكفي فخراً أنه أرسل رحمة للعالمين. وأن فضائله الجميلة لا تستقصي، وأن خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط في مخلوق، وأن حقه ﷺ على الكمل فضلاً عن غيرهم أعظم الحقوق.

ومن ثم وجب علينا أن يكون حبنا له ﷺ أحب إلينا من أولادنا وآبائنا ومن الناس أجمعين. وأن نحمد الله عز وجل أن جعلنا الله تعالى من أمة سيدنا محمد ﷺ.

* * *

الباب التاسع

في شفاعته ﷺ يوم القيامة

اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين، بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله جاه وحسن معاملة، فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه، وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة نذكر منها ما يلي:

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾ (الضحى: ٥).

روى عمرو بن العاص: ((أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (إبراهيم: ٣٦)، وقول عيسى عليه السلام: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ** ﴾ (المائدة: ١١٨). ثم رفع يديه وقال: " **أمتي أمتي** " ثم بكى. فقال الله عز وجل: **يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيك؟** فأتاه جبريل فسأله، فأخبره، والله أعلم به، فقال: **يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنَّا سنُرضيك في أمتك ولا نسوءك**)) (رواه مسلم).

وقال أبو هريرة: ((أتى رسول الله ﷺ، فرُفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهش منها نهشةً ثم قال: " أنا سيد المرسلين يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي، وينفُذُهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام، فيأتون آدم فيقولون له أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا. فيقول لهم آدم عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً

عليه السلام فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله، فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإني كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضّلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه.

فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تُعْطَ واشفع تُشَفَّعْ فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال: **والذي نفسي بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمْيَر أو كما بين مكة وبُصرى))** رواه مسلم.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لقد**

أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر لملئ منه وأحلت لى الغنائم آكلها وكان من قبلي يعظمون أكلها كانوا يحرقونها وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت وكان من قبلي يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم والخامسة هي ما هي قيل لي: سل فإن كل نبي قد سأل فأخرت مسألتي إلى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله)) رواه أحمد بإسناد صحيح.

عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إني لقائم أنتظر أمتي تعبر إذ جاء عيسى عليه السلام فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون أو قال: يجتمعون إليك تدعو الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء لعظم ما هم فيه فالخلق ملجمون في العرق فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيتغشاه الموت قال يا عيسى انتظر حتى أرجع إليك قال وذهب نبي الله ﷺ فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل فأوحى الله إلى جبريل عليه السلام أن اذهب إلى محمد فقل له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع قال فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً قال: فما زلت أتردد على ذلك فلا أقوم مقاماً إلا شفعت فيه حتى أعطاني الله من ذلك أن قال: أدخل من أمتك من خلق الله من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً ومات على ذلك)) رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح.

عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أما إنها ليست للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين الملوثين)) رواه الإمام أحمد والطبراني بإسناد جيد وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري.

عن بريدة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة)) رواه الإمام أحمد.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا أراد الله أن

يقضي بين خلقه نادى مناد أين محمد وأمته فاقوم وتتبعني أمتي غرّاً محجلين من أثر الطهور فنحن الآخرون الأولون وأول من يحاسب وتفرج لنا الأمم عن طريقنا وتقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها)) رواه أبو داود الطيالسي عن ابن عباس رضى الله عنهما.

عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أشفع لأمتي حتى ينادي ربي تبارك وتعالى فيقول قد رضيت يا محمد فأقول أي ربي رضيت)) رواه البزار والطبراني بإسناد حسن.

عن أنس وجابر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) رواه أبو داود والبزار والطبراني عن أنس، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي.

* * *

الباب العاشر

في معنى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

لقد خص الله رسوله بالصلاة عليه وملائكته، وأمر المؤمنين بها. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

هذه الآية الشريفة فيها أعظم دليل على أنه ﷺ مهبط الرحمات وأفضل الخلق على الإطلاق.

إذ الصلاة من الله تعالى على نبيه هي رحمته المقرونة بالتعظيم.

والصلاة من الله على غير النبى هي مطلق الرحمة كقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (الأحزاب: ٤٣) فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين المقامين.

والصلاة من الملائكة هي الدعاء للنبي بما يليق به وهي الرحمة المقرونة بالتعظيم.

ومن ثم فقد وسعت رحمة النبى كل شئ تبعاً لرحمة الله فصارت بذلك مهبط الرحمات ومنبع التجليات.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾ (الأحزاب: ٥٦). أي ادعوا له بما يليق به. وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبى هي تشريفهم بذلك حيث اقتدوا بالله في مطلق الصلاة وإظهار تعظيمه ﷺ ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت للمؤمنين. وحق على كل من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه. فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم له من حقوق ﷺ.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المقصود من هذه الآية أن الله عز وجل أخبر عباده بمنزلة نبيه ﷺ عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة يصلون عليه.، ثم أمر أهل العالم السفلي بالصلاة عليه والتسليم.، وما ذلك إلا ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي.

وجاءت الآية الشريفة بصيغة المضارع لدلالة الدوام والاستمرار لتدل على أن الله عز وجل وملائكته يصلون على نبينا ﷺ دائماً أبداً.

واعلم يا أخي أن غاية مطلوب جميع الخلق الأولين والآخرين صلاة واحدة من الله عز وجل وأنّي لهم هذا؟ بل لو قيل للعاقل أيها أحب إليك أن تكون أعمال جميع الخلائق في صحيفتك أو صلاة من الله تعالى عليك لما اختار غير الصلاة من الله تعالى، فما ظنك يا أخي فيمن يصلي عليه ربنا سبحانه هو وجميع ملائكته على الدوام والاستمرار، ولما كان الأمر كذلك أليس يحسن بالمؤمن أن يكثر من الصلاة على نبينا ﷺ وألا يغفل عن ذلك.

واعلم أن هذا التشريف الذي شرف الله تعالى به سيدنا محمد ﷺ بقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ (الأحزاب: ٥٦). هي أتم وأجمع من تشريف آدم عليه السلام بأمر الملائكة له بالسجود لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف وقد أخبر الله تعالى عن نفسه بالصلاة على النبي ﷺ ثم من الملائكة بالصلاة عليه فتشريف يصدر عنه أبلغ من تشريف تختص به الملائكة من غير أن يكون الله معهم في ذلك، فكأنه سبحانه وتعالى قال: إن الله تعالى بجلالته وعظمته وعلو شأنه وارتفاعه وغناه عن خلقه يصلي عليه، وأن ملائكته مع اشتغالهم بذكر الله تعالى ومكانتهم من الله يصلون عليه. فيا أيها المؤمنون أنتم أحق بذلك إذ أنتم محتاجون إليه ﷺ في شفاعته لكم ولما نالكم ببركة رسالته في الدنيا والآخرة، جزاه الله عنا ما هو أهله ﷺ.

وهنا يتبادر إلى ذهننا سؤال وهو إذا صلى الله وملائكته عليه فأي حاجة إلى صلاتنا عليه ﷺ ؟

وإجابة على ذلك أقول وبالله التوفيق:

إن الصلاة عليه ﷺ ليس لحاجة النبي إليها وإلا فلا حاجة له إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه وإنما هو لإظهار تعظيمه ﷺ، كما وأن الله عز وجل أوجب علينا ذكر نفسه سبحانه بأنواع الأذكار المختلفة ولا حاجة له إلى الذكر،

إنما هو لإظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ((من صلى عليَّ مرَّةً صلى الله عليه عشراً)).

واعلم أن المقصود بصلاة الله على نبيه ﷺ وعلى الذين يصلون عليه معناها إفاضة أنواع الكرامات ولطائف النعم عليهم.

وأما صلاتنا عليه وصلاة الملائكة فهو سؤال وابتهال في طلب تلك الكرامة ورغبة في إفاضتها علينا.

فإن سأل سائل: ما الحكمة في أن الله تعالى أمرنا أن نصلي عليه ونحن نقول اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبهذا فإننا نسأل الله تعالى أن يصلي عليه ولا نصلي عليه نحن بأنفسنا؟

وإجابة على ذلك نقول: إن النبى ﷺ طاهر لا عيب فيه ونحن فينا المعايب والنقائص فكيف يُثْني من فيه المعايب والنقائص على من هو طاهر لا عيب فيه. ولهذا فإننا نسأل الله عز وجل أن يصلي على النبى ﷺ لتكون الصلاة من الرب الطاهر على نبي طاهر حيث أن مرتبة العبد تقصر عن ذلك. فالمصلى في الحقيقة هو الله، - ونسبة الصلاة للعبد مجازية بمعنى السؤال.

والحكمة يا أخي في تعليمه ﷺ لأمته أن يقول: " اللهم صل على محمد"، ذلك أنه لما أمرنا الله عز وجل بالصلاة عليه. ولما كنا لا نبلغ القدر الواجب من ذلك أحالنا النبي ﷺ على المولى عز وجل لأنه أعلم بما يليق به ﷺ وهو كقوله لا أحصى ثناء عليك، ذلك أنه لما أمر الله سبحانه بالصلاة على رسول الله ﷺ، وأنه لما كنا لم نبلغ معرفة فضيلة الصلاة على النبى ولم ندرك حقيقة مراد الله عز وجل بالصلاة، لهذا فقد أحَلْنا تلك الصلاة إلى الله سبحانه وتعالى فقلنا اللهم صل أنت يا ألله على نبيك لأنك أعلم بما يليق به، وأعرف بما أردته له ﷺ.

إذنْ عليك أيها الأخ الكريم بالإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والمواظبة عليها، لأن الإكثار من الصلاة من علامة المحبة فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، وصح في الحديث النبوى الشريف أنه لا يكمل إيمان أحدكم حتى أكون

أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

ولك أن تقول: إن الصلاة من الله تعالى صلة ونور ومن الملائكة رفعة ومن الأمة متابعة ومحبة.

واعلموا يا أحباب أنه ليس في القرآن ولا غيره فيما عُلِم صلاةٌ من الله تعالى على غير نبينا ﷺ فهي إذَنْ خصوصية اختصه الله بها دون سائر الأنبياء، فلم تُؤمر أمة من الأمم بالصلاة على نبيها سوى هذه الأمة المحمدية فهي من خصوصياتها.

واعلموا يا أحباب أن الآية الكريمة دلت على أن الله سبحانه يصلي على النبي الأكمل والنور الأول، ولابد لنا أن نزيل عن بالك أيها السامع ما لا يليق ببارئك، فإن الصلاة المعهودة عندك أن تتكلم بلسانك، وتثني على نبيك بقلبك ولسانك معاً وهذه الصفات لا تليق بخالق البريات ولا تكون ممن تنزه عن صفات المخلوقات فإنه سبحانه وتعالى لا شبيه له في ذاته ولا نظير له في صفاته. فإن سمعتَ يا أخي أنه تعالى متكلم فلا تفهم يا أخي أنه على صفة كلامك بجارحة ولسان بل اعلم أن كلامه عز وجل قديم أزلي أبدي لا نهاية لآخره ولا بداية لأوله، وأن كلامه عز وجل ليس بصوت ولا بحرف بل قوله وكلامه من صفاته فواجب قِدَمِهِ كذاته. وكذلك كل صفة من صفاته من علمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وصفاته، فكلها أزلية سرمدية أبدية. فهو عز وجل العالِمُ الخبير المدبر القديم الذي ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

أما قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (الأحزاب: ٥٦).
فهي تشير إذا دققنا النظر إلى المولى عز وجل نادى أهل الإيمان ولم يناد غيرهم كالكفار وغيرهم لانحطاط منزلتهم فهم ليسوا أهلاً للخطاب، ولا محلاً لمناجاة رب الأرباب.

وفي الآية الكريمة نجد أن المولى عز وجل ذكر اسم الجلالة ولم يذكر غيره من أسمائه الحسنى فلم يقل إن الرب يصلي ولا غير ذلك من الأسماء وذلك — والله أعلم — لأن اسم الجلالة هو الاسم الجامع لجميع الأسماء والصفات لأنك إذا قلت الله فقد حققت أنه إله واحد فردٌ صمد كريم جواد عظيم رءوف رحيم إلى غير

ذلك من أسمائه عز وجل. فلو ذكر اسم معين من أسمائه تعالى يقتضي الرحمة والتعظيم لحبيبه المصطفى ﷺ لتوهمنا أن الرحمة والتعظيم والصلاة مقصورة على ذلك الاسم، ولم يُشعر العبد بغيره من الأسماء الحسنى.، وهذا بخلاف ما إذا ذُكِر اسم الجلالة "الله" فإنه يقتضي أن تكون الصلاة من جهة ذاته وأسمائه وصفاته عز وجل وأنه ﷺ رحمه ربه وأن صلاته عز وجل هي من جهة أسمائه كلها وأن كل اسم من أسمائه اقتضى الرحمة والتعظيم لحبيبه، وهذا أبلغ وأكمل في إظهار مقام الصلاة على المصطفى ﷺ. فكأنه عز وجل يقول: الرب يصلي على نبيه، الرحمن يصلي على نبيه، الملك يصلي على نبيه، الكريم يصلي على أعز مخلوقاته، العظيم يصلي على سيد أهل أرضه وسمواته. وهكذا جميع أسماء الله الحسنى ما عُلم منها وما لا يعلم تصلي على الرسول ﷺ. فجمع الحق عز وجل ذلك كله في اسم الجلالة إيجازاً واختصاراً وتعظيماً وتكريماً لحبيبه المصطفى ﷺ.

أما عن إضافة الصلاة إلى الله وملائكته دون السلام وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام معاً.

فنجيب عن ذلك بأنه يحتمل أن يُقال إن السلام له معنيان أحدهما التحية والانقياد فأمِرَ به المؤمنون لصحتها منهم، أما الله عز وجل وملائكته فلا يجوز منهم الانقياد، ولذلك لم يُضف السلام إليهم – أما المعنى الآخر للسلام فهو: ارضوا بما يأمركم به الرسول ﷺ رضاءً تاماً.

واختلف البعض في معنى السلام، فقيل: السلام هو اسم من أسماء الله تعالى. ومعناه لا خلوْتَ يا الله من الخيرات والبركات وسلمت من المكاره والآفات والخلل والفساد.

ويحتمل أن يكون بمعنى السلامة أي يُسَلِّمُكَ الله من المذام والنقائص. فإذا قلت اللهم سلم على محمد فإنما تريد به اللهم اكتب لمحمد في دعوته وأمته وذِكرِهِ السلامة من كل نقص فتزداد دعوته للإيمان– أي تزداد هذه الدعوة على مرور الأيام عُلواً، وتزداد أمته تكاثراً وذكره ارتفاعاً.

كما يحتمل أن يكون السلام بمعنى المسألة للمصطفى ﷺ والانقياد له كما قال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾(النساء: ٦٥).

صلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

* * *

الباب الحادي عشر

فضل الصلاة والسلام على النبى ﷺ

اعلم أيها الأخ الكريم أن فضل الصلاة والسلام على النبى ﷺ لا تعد ولا تحصى. ويكفي فخراً أن الله عز وجل يصلي هو وملائكته على من يصلي على النبى ﷺ. وقد أشار الرسول إلى فضل الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة، نذكر – فيما يلي – جانباً منها:

١- عن ابن مسعود الأنصاري البدري واسمه عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصليَ عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ: ((**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم**)) رواه مسلم وغيره.

٢- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((**أكثروا الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الأغر فإن صلاتكم تعرض علي**)) أخرجه الطبراني في الأوسط.

٣- عن أوس بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني بليت، قال: إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**)) رواه الإمام أحمد وغيره، وقال الحاكم صحيح الإسناد على شرط البخاري.

٤- عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ((**إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط مرة ويحبو مرة ويتعلق مرة فجاءته صلاته عليّ فأخذت بيده فأقامته على الصراط حتى**

جاوزه)) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير وأبو موسى المديني وقال حديث حسن جداً.

٥- عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً**)) رواه مسلم وغيره.

٦- عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول: ((**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإن من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله تعالى لى الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله تعالى وأرجو أن أكون هو فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة**)) انظر الحديث رقم ٦١١ في فتح الباري.

قال ابن حجر المكي في الدر المنضود في الصلاة على صاحب المقام المحمود ﷺ الذي اختصره من القول البديع أن معنى حلت وجبت كما صرح في روايات صحيحة ومعنى وجبت أنها ثابتة لابد منها بالوعد الصادق وفيها بشرى عظيمة لقائل ذلك أنه يموت على الإسلام إذ لا تجب الشفاعة إلا لمن هو كذلك.

٧- عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: ((**صلوا عليَّ صلى الله عليكم**)) أخرجه ابن عدي في الكامل.

٨- عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :((**من صلى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة**)) رواه الطبراني.

٩- عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**من صلى على كنت شفيعه يوم القيامة**)) رواه أبو حفص بن شاهين.

١٠- عن على رضى الله عنه أنه قال: لولا أن أُنسى ذكر الله عز وجل ما تقربت إلى الله تعالى إلا بالصلاة على النبى ﷺ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**قال جبريل يا محمد إن الله عز وجل يقول من صلى عليك عشر مرات استوجب الأمان من سخطي**)) رواه ابن مخلد.

١١- عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**زينوا مجالسكم بالصلاة على فإن صلاتكم على نور لكم يوم القيامة**)) أخرجه الديلمي.

١٢- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((**من قرأ القرآن وحمد الرب وصلى على النبى ﷺ واستغفر ربه فقد طلب الخير من مظانه**)) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

١٣- عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((**من صلى على واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات**)) أخرجه النسائي وابن حبان في صحيحه، ورواه ابن أبي عاصم عن البراء بن عازب رضى الله عنه بزيادة وكانت له عدل عشر رقاب، ورواه ابن أبي عاصم وغيره عن أبي بردة بن نيار رضى الله عنه بزيادة وكتب له بها عشر حسنات.

١٤- عن أنس رضى الله عنه أيضاً قال قال رسول الله ﷺ: ((**من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ومن صلى على عشراً صلى الله عليه مائة ومن صلى على مائة كتب الله بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء**)) رواه الطبراني.

١٥- عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((**من صلى على في كل يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين منها لآخرته وثلاثين منها لدنياه**)) أخرجه ابن منده وحسنه الحافظ أبو موسى المديني.

١٦- عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: " **من صلى على النبي ﷺ واحدة صلى الله تعالى عليه وملائكته بها سبعين صلاة** " رواه الإمام أحمد بإسناد حسن وحكمه الرفع إذ لا مجال للاجتهاد فيه.

١٧- عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: ((**ما من عبد صلى عليَّ صلاة إلا عرج بها ملك حتى يجئ بها وجه الرحمن عز وجل فيقول ربنا تبارك وتعالى اذهبوا بها إلى قبر عبدي تستغفر لقائلها وتقر بها عينه**)) رواه الديلمي في مسند الفردوس وغيره.

١٨- عن أبي طلحة الأنصاري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى تُرى في وجهه فقال: ((**إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال: إن الله عز وجل**

يقول: أما يرضيك يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً)) رواه الحاكم وصححه.

١٩- عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((**صلوا على فإن الصلاة على كفارة لكم**)).رواه أبو القاسم التيمي في ترغيبه وسنده صحيح.

٢٠- عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**من صلى على صلاة كتب الله له قيراطاً والقيراط مثل أحد**)) أخرجه عبد الرزاق.

٢١- عن أُبي بن كعب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: ((**يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه** قال أبي فقلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال: **ما شئت**. قلت: الربع. قال: **ما شئت وإن زدت فهو خير لك**. قلت: فالنصف. قال: **ما شئت وإن زدت فهو خير لك**. قلت: فالثلثين. قال: **ما شئت وإن زدت فهو خير لك**. قلت: أجعل لك صلاتي كلها. قال: **إذن تُكفى همك ويغفر لك ذنبك**)) رواه الترمذي وقال حديث حسن والحاكم وقال صحيح الإسناد.

٢٢- عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((**إن الله أعطى ملكاً من الملائكة أسماء الخلائق فهو قائم على قبري حتى تقوم الساعة فليس أحد من أمتي يصلي على صلاة إلا قال يا أحمد إن فلان ابن فلان باسمه واسم أبيه يصلي عليك كذا وكذا وضمن لى الرب أنه من صلى على صلاة صلى الله عليه عشراً وإن زاد زاده الله**)) رواه ابن أبي عاصم.

٢٣- عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((**أكثروا من الصلاة على فإن الله وكلّ بي ملكاً عند قبري فإذا صلى على رجل من أمتي قال لى ذلك الملك يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك**)) أخرجه الديلمي.

٢٤- عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام**)) رواه الحاكم وغيره وقال صحيح الإسناد.

٢٥- عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((**من صلى على**

بلغتني صلاته وصليت عليه وكُتِبَ له سوى ذلك عشر حسنات)) رواه الطبراني في الأوسط.

٢٦- عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون: ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد ﷺ ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول تبارك وتعالى غشوهم رحمتي فيقولون يا رب فيهم فلان الخطاء إنما اغتبقهم اغتباقاً فيقول تبارك وتعالى غشوهم رحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم**)) رواه البزار وسنده حسن.

٢٧- عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((**من صلى على مرة واحدة فتقبلت محا الله عنه ذنوب ثمانين سنة**)) رواه أبو الشيخ وأبو سعيد في شرف المصطفى.

٢٨- عن أبي ذر رضى الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ أن أصلي في السفر والحضر يعني صلاة الضحى وأن لا أنام إلا على وتر وبالصلاة على النبى ﷺ" أخرجه ابن مخلد.

٢٩- عن جابر رضى الله عنه ((أن النبى ﷺ رقي المنبر فلما رقي الدرجة الأولى قال: **آمين**. ثم رقي الثانية. فقال: **آمين**. ثم رقي الثالثة. فقال: **آمين**. فقالوا: **يا رسول الله سمعناك تقول آمين ثلاث مرات** فقال **لما رقيت في الدرجة الأولى جاءني جبريل** فقال: **شقى عبد أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له**. فقلت: آمين. ثم قال: **شقى عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة** فقلت: آمين. ثم قال: **شقى عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين**)) رواه البخاري في الأدب المفرد وغيره وهو حديث حسن.

٣٠- عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من ذكرت عنده فخطئ الصلاة على خطئ طريق الجنة**)) أخرجه الطبراني والطبري.

٣١- عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**لا يجلس قوم مجلساً لا يصلون فيه على رسول الله ﷺ إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب**)) رواه البيهقي وغيره قال السخاوي حديث حسن صحيح.

٣٢- عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((**ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله عز وجل وصلاة على النبى ﷺ إلا قاموا عن أنتن جيفة**)) رواه البيهقي وغيره وقال الحافظ السخاوي صحيح على شرط مسلم.

٣٣- عن الحسن بن على رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: ((**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على**)) رواه الإمام أحمد وغيره.

٣٤- عن عائشة رضى الله عنها ((أنها كانت تخيط شيئاً في وقت السحر فضلت الإبرة وطفيء السراج فدخل عليها النبى ﷺ فأضاء البيت بضوئه ووجدت الإبرة فقالت: ما أضوأ وجهك يا رسول الله. قال: **ويل لمن لا يراني يوم القيامة**. قالت: ومن لا يراك. قال: **البخيل**. قالت: ومن البخيل قال: **الذي لا يصلي عليّ إذا سمع باسمي**)) أخرجه أبو سعيد النيسابوري في شرف المصطفى.

٣٥- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((**إنّ لله سيارة من الملائكة إذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض اقعدوا فإذا دعا القوم أمّنُوا على دعائهم فإذا صلوا على النبى ﷺ صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء يرجعون مغفوراً لهم**)) رواه أبو القاسم التيمي في ترغيبه.

٣٦- عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ: ((**إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم عليَّ صلاة في الدنيا من صلى على في يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكاً يدخله في قبري كما تدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلى على باسمه ونسبه إلى عشيرته فأثبته عندي في صحيفة بيضاء**)) رواه البيهقي في كتاب حياة الأنبياء في قبورهم.

٣٧- عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: ((**إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة**)) أخرجه الترمذي وحسنه.

٣٨- عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: ((**من سره أن يلقي الله راضياً فليكثر الصلاة على**)) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس.

٣٩- عن قتادة مرسلاً قال قال رسول الله ﷺ: ((**من الجفاء أن أُذكر عند رجل فلا يصلي عليَّ** ﷺ)) أخرجه عبد الرزاق ورواته ثقات.

٤٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني**)) أخرجه الطبراني وغيره.

٤١- عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: ((**من صلى عليّ صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى على فليكثر عبد أو ليقل**)) رواه الضياء المقدسي.

❖ ❖ ❖

الباب الثاني عشر

من صيغ الصلوات المأثورة عن النبى ﷺ

١- ((اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد)) رواه مالك وأبو داود والنسائي.

٢- ((اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)) رواه البخاري.

٣- ((اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد)) رواه البخاري.

٤- ((اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وآل إبراهيم)) رواه البخاري.

٥- ((اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)) رواه الإمام أحمد.

٦- ((اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد)) رواه أبو داود.

٧- ((اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداءً وأعطه الوسيلة والمقام الذي وعدته وأجزه عنا ما هو أهله، وأجزه عنا أفضل ما جَزَيْتَ نبيّاً عن أمته وصل على جميع إخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين)) رواه ابن أبي عاصم في بعض تصانيفه مرفوعاً.

٨- ((اللهم صل على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة) رواه الإمام أحمد.

٩- عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: عن النبى ﷺ أنه قال: ((**من قال جزى الله عنا محمداً ﷺ بما هو أهله. أتعب سبعين ملكاً ألف صباح**)) رواه أبو نعيم.

١٠- عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ما من مسلم يقف عشية عرفة بالموقف فيستقبل القبلة بوجهه ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شىء قدير. مائة مرة– ثم يقرأ (قل هو الله أحد) مائة مرة– ثم يقول: اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم. مائة مرة إلا قال الله تعالى: يا ملائكتي ما جزاء عبدي هذا، سبحني وهللني وكبرني وعظمني وعرفني وأثنى على وصلى على نبيي، اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت له وشفعته في نفسه، ولو سألني عبدي هذا لشفعته في أهل الموقف**)) رواه البيهقي.

* * *

الباب الثالث عشر

في وجوب محبته ﷺ

لقد وردت محبة رسول الله ﷺ في القرآن العظيم والسنة فقال تعالى لنبيه ﷺ آمراً له أن يقول لنا: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤).– فكفى بهذا حضّا وتنبيهاً ودلالة وحُجَّة على إلزام محبته ووجوب فرضها.

وأما الأخبار: فعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**)). وفي رواية: ((**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين**)). وفي رواية: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه**)).

وعن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال، حُبُّ نبييكم وحُبُّ أهل بيته وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه**))، وعن أبي ذر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: ((**أشد أمتي لى حباً قوم يكونون بعدي يود أحدهم أنه فقد أهله وماله وأنه رآني**)).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**مَنْ أشد لى حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**)).

أما **أقوال المشايخ في المحبة** فقد قال سفيان: المحبة اتباع الرسول ﷺ كأنه التفت إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١).

وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب، وقال آخر: إيثار المحبوب، وقال بعضهم: المحبة الشوق إلى المحبوب، وقيل: المحبة مواطأة القلب لمراد الرب فيحب ما أحب ويكره ما كره.

واعلـم يـا أخـي أن محبـة رسـول الله ﷺ هـي المنزلـة الـتي يتنـافس فيهـا المتنافسون، وإليها يشخص العاملون، وعليها يتفانى المحبون، وبروح نسيمها يتروح العابدون، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، وهي النور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، وهي روح الإيمان والأعمال والأحوال والمقامات، وإذا كان المرء يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة، وسيرة حميدة، فكيف بهذا النبى الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الأخلاق الكريمة، المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم، فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة وأسبغ علينا نعمه ظاهرة فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لأنفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين، بل لو كان في منبت كل شعرة منا محبة تامة له – صلوات الله وسلامه عليه – لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا، وقد روى أنس رضى الله عنه أنه ﷺ قال: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**)) فهذا هو شرط صحة الإيمان لأنه حمل المحبة على معنى التعظيم والإجلال.

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه للنبي ﷺ - ((يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبى ﷺ: **لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك،** فقال له عمر، فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي، فقال النبى ﷺ **الآن يا عمر**)).

ومن علامات الحب لرسول الله ﷺ: أن يَعرض الإنسان على نفسه أنه لو خُيِّر بين فقد غرض من أغراضه وفقد رؤية النبى ﷺ فإن كان فقدها أشد عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالمحبة لرسول الله ﷺ، ومن لا فلا.

وأهل المحبة متفاوتون في درجة الحب، فمنهم من أخذ من مرتبة الحب بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقاً في الشهوات محجوباً بالغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبى ﷺ اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا

تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبر رسول الله ﷺ، ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر، لما وقر في قلوبهم من محبته ﷺ، غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات".

وقد روى إسحق: أن امرأة من الأنصار قُتِلَ أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ. فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ، قالوا: خيراً هو بحمد الله كما تحبين، فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل- أي صغيرة".

وقال الإمام البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾(النساء: ٦٩). أنها أنزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه، أتاه ذات يوم وقد تغير لونه يُعْرف الحزن في وجهه، فقال له رسول الله ﷺ: ما غيّر لونك، فقال: يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة، فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين وإني إن دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لم أرك أبداً. فنزلت هذه الآية.

وبالجملة فلا حياة للقلب إلا بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، ولا عيش إلا عيش الذين قرت أعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم إليه واطمأنت قلوبهم به واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته، ففي القلب طاقة لا يسدها إلا محبة الله ورسوله، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات.

ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي إليه بطريق توصله إليه ويخرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة، فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة، فينجذب إليها بكليته ويزهد في التعلقات الفانية ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارساً على قلبه فلا يسامحه بَخَطْرةٍ يكرهها الله تعالى ولا بِخَطْرَةٍ فضول لا تنفعه، فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والإنابة إليه فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديثه نفسه على إرادة ربه

وطلبه والشوق إليه فإذا صدق في ذلك رُزِق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله أمامه أستاذاً ومعلماً وشيخاً وقدوةً، كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه، فيطالع سيرته ﷺ، ومبادئ أموره، وكيفية نزول الوحي عليه، ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه إلى غير ذلك مما منحه الله تعالى حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه.

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار**)).

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: ((متى الساعة يا رسول الله؟ قال: **ما أعددت لها؟** قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله. قال: **أنت مع من أحببت**)).

وعن صفوان بن قدامة قال: ((هاجرت إلى النبى ﷺ فأتيته فقلت: يا رسول الله ناولني يدك أبايعك فناولني يده، فقلت: يا رسول الله إني أحبك. قال: **المرء مع من أحب**)).

وعن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين فقال: ((**من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة**)).

وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: " ما كان أحب إلى من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له حتى لو قيل لى صِفْهُ ما استطعت أن أصفه ". وعن عبدة بنت معدان قالت: "ما كان خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول: هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم فَعَجّلْ ربي قبضي إليك حتى يغلبه النوم".

ورُوِىَ أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خَدَرَت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك يزول عنك. فصاح: يا محمداه. فانتشرت.

ولما احتضر بلال رضى الله عنه، نادت امرأته: واحزناه. فقال: واطرباه غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه.

وقال أبو طالب المكي رضى الله عنه في كتابه (قوت القلوب) قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ** ﴾ (آل عمران: ٨١). وقال عز وجل: ﴿ **مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ (النساء: ٨٠) وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** ﴾ (الفتح: ١٠).. فعرض علينا أن نشهد أن محمداً رسول الله خاتم الأنبياء، لا نبي بعده، والقرآن الكريم خاتم الكتب لا كتاب بعده ومُصَدّق لما سلفه من الكتب، وأن شريعته ناسخة للشرائع قاضية عليها وكتابه شاهد على الكتب وحاكم عليها وأنه هو الذي بشر به عيسى عليه السلام، وهو الذي أخبر به موسى أمته، وهو المذكور في التوراة والإنجيل وسائر كتب الله عز وجل المنزلة، وهو الذي أخذ الله الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به وينصروه لو أدركوه فأقروا بذلك وشهد الله تعالى على شهادتهم، وهو الذي أخذت الأنبياء شهادة أممهم على الإيمان به وأمرتهم بتصديقه وأخبرتهم بظهوره، وأن موسى وعيسى عليهما السلام لو أدركاه لزمهما الدخول في شريعته وأن بقية بني إسرائيل من اليهود والنصارى كفرت بالله لجحودهم رسالته، وأن الإيمان بكتابه مفترض عليهم مأمورون به في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم، وأن طاعته ومحبته فريضة واجبة على الكافة كطاعة الله تعالى واتباع أمره واجتناب نهيه مفترض على الأمة إيجاباً أوجبه الله تعالى له وفرضاً افترضه على خلقه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ (آل عمران: ٣١).

وقال رسول الله ﷺ: ((**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين**))، وقال ﷺ: ((**لو أدركني موسى وعيسى ما وسعهما إلا اتباعي**)) اللهم حققنا بذلك كله.

ومن علامات محبة الرسول ﷺ إيثار سنته ونصرته بالمال والنفس والقول.

واتباعه ظاهراً وباطناً، فمن اتباع ظاهره أداء الفرائض واجتناب المحارم والتخلق بأخلاقه والتأدب بشمائله وآدابه والافتقار لآثاره والتحسس عن أخباره، والزهد في الدنيا والإعراض عن أهل الغفلة والهوى والتفاخر، والإقبال على أعمال الآخرة والتقرب من أهلها والحب للفقراء والتحبب إليهم وتقريبهم وكثرة مجالستهم، والسير والسلوك في منازل السائرين إلى الله أهل القرب مثل الخوف والرضا والشكر والحياء والتسليم والتوكل والشوق والمحبة، وإفراغ القلب لله تعالى والاستغراق في ذكر الله، فمن تحقق بذلك فله نصيب موفور في محبة المصطفى ﷺ أعني قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ (آل عمران: ٣١).

وبالجملة: أصل المحبة الميل القلبي إلى ما يوافق المحب، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقاً، وقد يكون لإحسانه إليه، ودفعه المضار والمكاره عنه، وهذه المعاني كلها موجودة في النبي ﷺ لما جمع من جمال الظاهر والباطن وأنواع الفضائل وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعم والإبعاد من الجحيم.

والسر في تسميته ﷺ بالحبيب ما ورد في حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم، فقال بعضهم عجباً إن الله تعالى اتخذ من خلقه إبراهيم خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى، كلمه الله تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله تعالى، فخرج عليهم فسلم وقال ﷺ : ((**سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وهو كذلك، وموسى كلمه الله تكليماً وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك، وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة ولا فخر فيفتح الله لى فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين من أمتي، وأنا**

أكرم الأولين والآخرين ولا فخر)).

وهذا الحديث الشريف جامع مصرح بكماله ﷺ وأفضليته على كل الكملاء والفضلاء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وسأنبئك عن سر تخصيصه ﷺ باسم الحبيب لتعلم أن المقام الحبي هو أعلى المقامات الكمالية وذلك أنه ورد في الأثر عن النبي ﷺ أنه قال حاكياً عن الله تعالى: ((**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت خلقاً وتعرفت إليهم فبي عرفوني)).**

فكان التوجه الحبي أول صادر من الجناب الإلهي في إيجاد المخلوقات، فالحب لبقية مقامات الكمال أصل وهي- أعني المقامات- له كالفروع، ولأجل أن المقام الأول الأصلي وهو الحب كان مخصوصاً بالموجود الأول الأصلي فجميع الحقائق الإلهية إنما ظهرت بواسطة الحب إذ لولا ذلك لما وجد الخلق، ولولا الخلق لما عرفت الأسماء والصفات.

والخلق إنما ظهروا بواسطة الروح المحمدي فلولا الحقيقة المحمدية لم يكن خلق ولولا الخلق لم تظهر صفات الحق لأحد.

فالحب هو الواسطة الأولى لوجود الموجودات، ومحمد ﷺ هو الواسطة الأولى لظهور الموجودات، فعُلم بذلك أن محمداً ﷺ هو الذي كان مقصوداً بالتوجه الحبي للمعرفة بالكنز المخفي، وأن جميع ما سواه كانوا عطفاً عليه، فهو الأصل في مقصود الحب الإلهي، وغيره كالفرع له، فمن أجل ذلك خصه الله تعالى باسم الحبيب دون غيره، وإنما أحب الله تعالى أمته الذين اتبعوه لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ (آل عمران: ٣١).. وهذه خصوصية من الله تعالى لأمة سيدنا محمد ﷺ دون غيرهم من سائر الأمم فإن الله تعالى أنكر على من ادعى من الأمم الماضية أنهم أحباء الله وأثبت المحبة لأتباع محمد ﷺ ومن ثم اختصت أمته بمحبة الله تعالى دون غيرهم.

واعلم أن مقام المحبة أعلى المقامات والأحوال وهو الساري فيها وكل مقام أو حال قبلها فلها يراد، وكل مقام أو حال بعدها فمنها يستفاد، لأنه مقام أصل

الوجود وسيده، ومبدأ العالم وممده هو سيدنا محمد ﷺ الذي اتخذه الله تعالى حبيباً كما اتخذ غيره خليلاً فمن حقيقة هذا السيد تفرعت الحقائق كلها علواً وسفلاً، فأعطى الله تعالى أعلى المقامات، وهو المحبة لأصل الموجودات وهو سيدنا محمد ﷺ.

واعلم أن سيدنا محمد عَبْدٌ بالأصالة لم يرفع رأسه قط إلى السيادة مراعاة لما تقتضيه ذاته من العبودية الذاتية الحاصلة من التعين والتقيد وحفظاً للأدب مع الحضرة الإلهية بل لم يزل ساجداً لحضرته متذللاً لربه تعالى. واقفاً في مقام عبوديته ورتبة انفصاليته حتى أوجد الله تعالى من روحه الأرواح ومظاهرها جميعاً لأنه ﷺ قال: أول ما خلق الله تعالى نوري الذي سماه عقلاً بقوله أول ما خلق الله تعالى العقل، فأعطاه رتبة الفاعلية بأن جعله خليفة، فالروح المحمدي هو المظهر الرحماني الذي تعم رحمته على العالمين كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

يقول المصطفى ﷺ: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**)) والمراد بالحب هنا ليس الحب الطبيعي التابع لهوى النفس، فإن محبة الإنسان لنفسه من حيث الطبع أشد من محبة غيره وكذا محبة ولده ووالده أشد من محبة غيرهما وهذا الحب ليس بداخل تحت اختيار الشخص بل خارج عن حد الاستطاعة فلا مؤاخذة به لقوله تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، بل المراد الحب العقلي الاختياري الذي هو إيثار ما يقتضي العقل رجحانه وإن كان على خلاف الطبع، ألا ترى أن المريض يكره الدواء المر بطبعه ومع ذلك يميل إليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضى عقله لما علم أو ظن أن صلاحه فيه.

وكذلك المؤمن إذا علم أن الرسول ﷺ لا يأمر ولا ينهي إلا بما فيه صلاح دينه ودنياه وآخرته وعقباه، متيقن أنه عليه الصلاة والسلام أشفق الناس عليه وألطفهم إليه وحينئذ يرجح جانب أمره بمقتضى عقله على أمر غيره، وهذا أول درجات الإيمان وأما كماله فهو أن يصير طبعه تابعاً لعقله في حبه عليه الصلاة والسلام.

فمن جعل نفسه تابعا للرسول ﷺ في أقواله وأفعاله تلذذ بالاقتداء به، ولا يستلذ

بذلك إلا إذا أحبه الحب التام، فإن المحب لا يخالف محبوبه فيترك مراده لمراده.

والمحبة ثلاثة أقسام: محبة جلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس.، ولا يخفي أن المعاني الثلاثة كلها موجودة في رسول الله ﷺ لما جمع الظاهر والباطن وكمال أنواع الفضائل وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايتهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعيم، ولا شك أن الثلاثة فيه أكمل مما في الولد والوالد، ويكفيك قوله تعالى: ﴿ النبى أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٦). فمن هو أولى بك من نفسك فكيف لا ينبغي أن يكون أحب إليك منها؟! قال سهل رضى الله عنه: " من لم ير ولاية رسول الله ﷺ في جميع أحواله ويرى نفسه في ملكه عليه الصلاة والسلام لا يذوق حلاوة سنته"، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ((**مِنْ أشد أمتي لى حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**)).

قال أبو العباس المرسي رضى الله عنه: " الأنبياء عليهم السلام خلقوا من الرحمة ونبينا عليه الصلاة والسلام هو عين الرحمة وإذا كان عين الرحمة فهو أصل الرحمات وينبوعها ولا رحمة خارجة عنه وكل مرحوم مسهوم قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

فهو ﷺ مظهر تجلى أسماء وصفات الحق عز وجل. فمقامه عليه الصلاة والسلام في العرفان لا يوازيه مقام.

* * *

الباب الرابع عشر

علامات محبته ﷺ

لمحبة رسول الله ﷺ علامات منها :

١- الاقتداء برسول الله ﷺ :

واستعمال سنته، وسلوك طريقته، والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف على ما حده لنا من شريعته. قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ (آل عمران: ٣١). فجعل الله تعالى متابعة الرسول ﷺ أي محبة العبد لربه، وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول ﷺ هو محبة الله تعالى إياه وبحسب هذا الإتباع تحل المحبة والمحبوبية معاً ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشأن أن تحب الله فقط بل الشأن أن يحبك الله ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ﷺ ظاهراً وباطناً وصدقته خبراً وأطعته أمراً وأجبته دعوة وآثرته طوعاً وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق بمحبته وعن طاعة غيره بطاعته وإن لم تكن كذلك فلا تتمن فلست على شيء، وتأمل قوله تعالى:﴿ **فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ (آل عمران: ٣١).

أي الشأن في أن الله يحبكم لا في أنكم تحبونه، وهذا لا يُنال إلا باتباع الحبيب عليه الصلاة والسلام.

فعليك باتباع مرضاة الله والتمسك بسنن رسول الله ﷺ، فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه، وأسرعت الجوارح إلى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الإيمان بالقلب، فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها، بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه وسروراً له وقرة عين في حقه ونعيماً لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في أوراد العبادة كلفة. فعن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: ((**يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي: يا بني وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة**))، وعن ابن عطاء

قال: من ألزم نفسه آداب السنة نوّر الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره ونواهيه وأفعاله وأخلاقه ومجانبة البدعة، فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام بدعواه علماً لدنيا أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وإنما يعرف كون العلم لدُنيا رحمانياً بموافقته لما جاء به الرسول ﷺ عن ربه تعالى والعلم اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبى الكريم عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم وبه يحصل الفهم في الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه كما قال على بن أبي طالب رضى الله عنه وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس فقال: " لا إلا فهما يؤتيه الله عبداً في كتابه " فهذا هو العلم اللدني الحقيقي، فاتباع هذا النبى الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين.

٢- **ومن علامات محبته ﷺ:** أن يرضى مُدَّعيها بما شرعه الله تعالى حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى. قال الله تعالى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾(النساء: ٦٥). فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجاً من قضائه ولم يسلم له.

على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حَكَّمَ الله ورسوله ﷺ على نفسه قولاً وفعلاً وأخذا وتركا وحبّاً، وبُغضاً، ثم إنه سبحانه حكم بنفي الإيمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه حتى أقسم على ذلك.

فقال عز وجل: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾(النساء: ٦٥). ففي ذلك تأكيد بالقسم، وفي ذلك إظهار لعنايته برسوله ﷺ إذ جعل حكمه حكمه، وقضاءه قضاءه. فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لأمره، ولم يقبل منهم الإيمان بألوهيته تعالى حتى يذعنوا لأحكام رسوله ﷺ لأنه كما وصفه ربه: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾(النجم: ٣، ٤). فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال

تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾(الفتح: ١٠). وأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾(الفتح: ١٠). في الآية إشارة أخرى إلى تعظيم قدره وتفخيم أمره ﷺ وهي قوله تعالى وربك فأضاف نفسه إليه كما قال في الآية الأخرى: ﴿ كهيعص ۞ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ (مريم: ١، ٢). فأضاف الحق سبحانه نفسه إلى محمد ﷺ، وأضاف زكريا إليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت الرتبتين.

ثم إنه تعالى لم يكتف بالتحكم بالظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم في أحكامه ﷺ سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها وإنما تضيق النفوس لفقدان الأنوار ووجود الأغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق من نفوسهم في أحكامه ﷺ سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها وإنما تضيق النفوس لفقدان الأنوار ووجود الأغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك إذ نور الإيمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة له في نقضه وإبرامه. وقال سهل بن عبد الله: من لم ير ولاية رسول الله ﷺ في جميع أحواله، ويرى نفسه في ملكه لم يذق سنته لأنه ﷺ قال: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه**)).

ومن علامات محبته ﷺ:

٣- **كثرة ذكره ﷺ. قال رسول الله ﷺ:** ((**من أحب شيئاً أكثر من ذكره**)). إذن فعلامة المحبين كثرة ذكر المحبوب على الدوام لا ينقطعون ولا يفترون، فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلاً ولا يبغون عنه حولاً. وقال بعضهم علامة المحبة ذكر المحبوب على عدد الأنفاس.

والمراد بذكره الصلاة عليه ﷺ، فقد أجمعت الأمة استناداً لكتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله ﷺ وأقوال العلماء وأخبار أولياء الله الصالحين على أن الصلاة على سيدنا محمد ﷺ هي من أفضل الطاعات وأنفع العبادات ففوائدها وفضائلها لا تعد ولا

تحصى. ونذكر فيما يلي فضائل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ:

١- أنها سبب لإلقاء الله سبحانه وتعالى الثناء الحسن للمصلى عليه ﷺ بين أهل السماء والأرض لأن المصلى طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه والجزاء من جنس العمل فلابد أن يحصل للمصلى نوع من ذلك.

٢- ومنها أنها سبب للبركة في ذات المصلى وعمله وعمره وأسباب مصالحه لأن المصلى داع ربه أن يبارك عليه وعلى آله وهذا الدعاء مستجاب والجزاء من جنسه.

٣- ومنها أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وأخطاره وأخطار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه ولا شيء ألذ لعين المحب من رؤية محبوبه ولا أقر لقلبه من ذكره واستحضار محاسنه، فإذا قوى هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه ويكون زيادة ذلك ونقصه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه ولذا كانت كثرة ذكر الشيء موجبة لدوام محبته ونسيانه سبب لزوال محبته أو ضعفها والمقصود أن دوام الذكر سبب لدوام المحبة، فالذكر للقلب كالماء للزرع، وكالماء للسمك لا حياة له إلا به.

٤- ومنها أن الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبته للعبد فإنها إذا كانت سبباً لزيادة محبة المصلى عليه فكذلك هي سبب لمحبته هو للمصلي عليه ﷺ.

٥- ومنها أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه فإنه كلما أكثر الصلاة عليه ﷺ استولت محبته على قلبه فلا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره ولا شك في شيء مما جاء به بل يصير ما جاء به مكتوباً مسطوراً في قلبه ولا يزال يقرأه على تعاقب أحواله ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة ومعرفة ازدادت صلاته عليه ﷺ، ولهذا تجد صلاة أهل العلم العارفين بسنته

وهديه المتبعين له عليه الصلاة والسلام خلاف صلاة العوام عليه الذين حظهم منها إزعاج أعضائهم بها ورفعهم أصواتهم، وأما أتباعه والعارفون بسنته العالمون بما جاء به فصلاتهم عليه نوع آخر، فكلما ازدادوا فيما جاء به معزة ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطلوبة له من الله وهكذا ذكر الله سبحانه وتعالى كلما كان العبد به أعرف وله أطوع وإليه أحب كان ذكره غير ذكر الغافلين اللاهين. وهذا الأمر إنما يُعرف بالخُبْرِ لا بالخَبَر، وفرق بين من يذكر صفات محبوبه الذي قد ملك حبه جميع قلبه ويثنى عليه بها ويمجده بها وبين من يذكره إما إشارة وإما لفظاً لا يدري ما معناه لا يطابق فيه قلبه لسانه.

٦- ومنها أنها سبب لعرض اسم المصلي، على المصطفى ﷺ، لقوله إن صلاتكم معروضة عليّ، وقوله ﷺ: ((**إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام**))، وكفى بالعبد شرفاً ونبلاً أن يذكر اسمه بالخير بين يدي رسول الله ﷺ.

٧- ومنها أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي ﷺ وفيه رأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط مرة ويحبو مرة فجاءته صلاته عليّ فأقامته على الصراط حتى جاز. رواه الطبراني والحاكم والترمذي والديلمي.

٨- ومنها أن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقه وشكراً له على نعمته التي أنعم الله بها علينا مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علماً ولا قدراً ولكن الله سبحانه وتعالى بكرمه يرضى من عباده باليسير من شكره وأداء حقه.

٩- ومنها أن الصلاة عليه ﷺ من العبد هي دعاء، ودعاء العبد وسؤاله من ربه نوعان أحدهما سؤاله حوائجه ومهماته في الليل والنهار فهذا دعاء وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه، والثاني سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه ويزيد في تشريفه وتكريمه وإيثاره ذكره ورفعه ولا ريب أن الله تعالى يحب ذلك ورسوله فمن آثر ذلك على طلب حوائجه ومحابه وكان هذا المطلوب من أحب الأمور إليه وآثرها عنده فقد آثر ما

يحبه الله ورسوله على ما يحبه هو فقد آثر الله محابه على سواه والجزاء من جنس العمل فمن آثر الله على غيره آثره الله على غيره ولو لم يكن من فوائد الصلاة عليه ﷺ إلا هذا المطلوب وحده لكفى المؤمن.

١٠- وفضائل الصلاة على النبى ﷺ أكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيها إلا قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (الأحزاب: ٥٦). وقوله ﷺ: ((من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرا)) لكان في ذلك كفاية. وهذا يدل على عظيم فضل الصلاة على النبى ﷺ وأن العبد إذا صلى على النبى ﷺ مرة واحدة صلى الله عليه عشراً. فأي ربح أعظم من هذا الربح، وأي تجارة أربح من هذه التجارة، فالصلاة من الله رحمة ومن رَحِمَهُ الله رحمة واحدة فهو خير له من الدنيا وما فيها فما بالك بعشر رحمات كم يدفع الله بها من البلايا والمحن ويستجلب ببركتها من لطائف المنن فمن فاته كثرة الصلاة والصيام فليكثر من الصلاة على النبى ﷺ فإنه من صلى على النبى ﷺ مرة صلى الله عليه عشرا فلو فعل الإنسان جميع الطاعات طوال عمره ثم صلى الله عليه مرة واحدة لرجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عمله جميع عمره من جميع الطاعات لأنك على حسب وسعك والله يصلي عليك أي يرحمك على حسب ربوبيته، فعطية القوم على قدر أقدارهم. هذا إذا كانت صلاة واحدة فكيف إذا صلى عليك عشرا بكل صلاة فما أحسن عيش من أطاع الله بذكره والصلاة على رسوله ﷺ.

١١- ومنها أن الصلاة على النبى ﷺ بها يحصل الاجتماع به ﷺ مناماً ويقظة وحسبك أن العلماء اتفقوا على أن جميع الأعمال منها المقبول والمردود إلا الصلاة على النبى ﷺ فإنها مقطوع بقبولها إكراماً له ﷺ. فهي تنور القلوب وتوصل من غير شيخ إلى علام القلوب.

١٢- ومنها أنه لا وسيلة عند الله أعظم نفعاً وأرجى في استجلاب رضا الرب عن العبد في حق العامة أكبر من الصلاة على النبى ﷺ وخاصة وأن الله عز

وجل يقول للنبي ﷺ من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه وهذا الوعد الصادق لا يخلف وهو لا من حيثية العبد بل من حيثية شدة العناية منه سبحانه وتعالى بنبيه ﷺ وقيامه عنه بالمكافأة لمن صلى عليه ﷺ لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء وهو معنى قبول الصلاة من العبد.

١٣- ومنها أن الصلاة عليه ﷺ هي من أهم المهمات لمن يريد القرب من رب الأرباب، ووجه أهمية الصلاة على النبي ﷺ لمن يريد القرب من مولاه من وجوه: منها ما فيها من التوسل إلى الله تعالى بحبيبه ومصطفاه وقد قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة: ٣٥). ولا وسيلة إليه تعالى أقرب ولا أعظم من رسوله الأكرم ﷺ ومنها أن الله تعالى أمرنا بها وحضنا عليها تشريفاً له ﷺ وتكريماً وتفضيلاً وتعظيماً ووعد من استعملها حسن المآب والفوز بجزيل الثواب فهي أنجح الأعمال وأرجح الأقوال وأزكى الأحوال وأحظى القربات وأعم البركات وتجاب الدعوات ويرتقي إلى أعلى الدرجات ويجبر صدع القلوب ويعفو عن عظيم الذنوب. ومنها أنه ﷺ محبوب الله عز وجل، عظيم القَدْرِ عنده وقد صلى هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والتسليم عليه والاقتداء بصلاته تعالى وصلاة ملائكته، ومنها ما ورد في فضلها والوعد عليها من جزيل الأجر وعظيم الذكر وفوز مستعملها برضا الله تعالى وقضاء حوائج آخرته ودنياه. ومنها ما فيها من شكر الواسطة في نعم الله علينا المأمورين بشكرها فما من نعمة لله علينا سابقة ولاحقة من نعمتي الإيجاد والإمداد في الدنيا والآخرة إلا وهو ﷺ السبب في وصولها إلينا وإجرائها علينا فنعمه ﷺ تابعة لنعم الله تعالى ونعم الله لا يحصرها عدد كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾(ابراهيم: ٣٤)، فوجب علينا حُبُّه ﷺ، ووجب علينا في شكر النعمة أن لا نفتر عن الصلاة عليه ﷺ مع دخول كل نَفَسٍ وخروجه لما فيها من القيام برسم العبودية يعني امتثال أمره تعالى.

ومنها ما جرب من تأثيرها والنفع بها في التنوير ورفع الهمة حتى قيل إنها تكفي عن الشيخ في الطريق وتقوم مقامه.

ومن فوائد الصلاة والسلام على النبى ﷺ أنه يرد السلام على المسلم عليه فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((**ما من أحد يُسَلِّم على إلا رد الله روحي حتى أرد عليه السلام**)) ذلك أن النبى ﷺ حي في قبره بذاته الشريفة التي كان عليها في دار الدنيا مع أن روحه الشريفة دائمة في حضرة القدس أبد الآبدين، ومعنى حياته في قبره أن الروح تمد الجسد في القبر بنورها من الحضرة القدسية.

فهذا معنى الحياة في القبر وكذلك حياة العارفين.

ومعنى رد روحه ﷺ حتى يرد على المسلم السلام مع أنه حيٌ في قبره بلا شك إقبال خاص والتفات روحاني يحصل من الحضرة النبوية لذلك المسلم وهذا الإقبال يكون عاماً شاملاً حتى لو كان المسلمون في كل لمحة أكثر من أي عدد تتخيله لوسعهم ذلك الإقبال النبوى والالتفات الروحاني، ولقد أحسن من سئل كيف يرد النبى ﷺ على من يسلم عليه من مشارق الأرض ومغاربها في آن واحد فأنشد قول أبي الطيب :

كالشمس في وسط السماء ونورها　　　يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً

ولا ريب أن حاله ﷺ في البرزخ أفضل وأكمل من حال الملائكة هذا وسيدنا عزرائيل عليه الصلاة والسلام يقبض مائة ألف روح في آن واحد ولا يشغله قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة الله تعالى مقبل على التسبيح والتقديس.

ومن فوائد الصلاة على النبى ﷺ أنها تغني عن الشيخ وتكون سبباً للوصول كما وقع لسيدي إبراهيم المتبولي رضى الله عنه فإنه طلب أن يكون تلميذاً لبعض الشيوخ غير أن ذلك الشيخ امتنع. فلجأ سيدي إبراهيم المتبولي لوالدته ماذا يفعل بعد إعراض الشيخ عنه، فأمرته أمه بالصلاة على رسول الله ﷺ، فصار يراه كثيراً في المنام فيخبر أمه بذلك فتقول يا ولدي إنما الرجل من يجتمع بالرسول ﷺ في اليقظة، فلما صار يجتمع به في اليقظة ويشاوره في أموره قالت له الآن قد شرعت في مقام الرجولية فلم يكن له شيخ إلا رسول الله ﷺ.

ومن فوائد الصلاة على النبى ﷺ أنها تجلو القلب من الظلمة وتكثر الرزق وأن من أكثر منها حرم جسده على النار، فقد حكى ابن الملقن أن امرأة جاءت إلى الحسن البصري رضى الله عنه، قالت يا شيخ توفيت لى ابنة وأريد أن أراها في المنام فقال لها: صلي ركعتين واقرئي في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة ألهاكم مرة وذلك بعد صلاة العشاء ثم اضطجعي وصلي على النبى ﷺ إلى أن تنامي ففعلت فرأتها في العقوبة وعليها قميص من قطران والغل في عنقها ويديها والقيد في رجليها وهي مسلسلة بسلاسل من نار فانتبهت وجاءت إليه وأخبرته فاغتم عليها وقال تصدقي عنها لعل الله أن يعفوَ عنها ثم في تلك الليلة رأى في المنام كأنه في روضة من رياض الجنة ورأى سريراً منصوباً وعليه جارية جميلة وعلى رأسها تاج من النور فقالت له: يا شيخ أتعرفني فقال لا فقالت أنا ابنة تلك المرأة التي أمرتها بالصلاة والصدقة. فقال لها بغير هذا وصفت لى حالك. فقالت: كنت كما قالت فقال بماذا بلغت هذه المنزلة؟ فقالت كنا سبعين ألف نفس في العقوبة كما وصفت لك والدتي فعبر واحد من الصالحين على قبورنا وصلى على النبى مرة واحدة وجعل ثوابها لنا فأعتقنا الله تعالى من العقوبة ببركته وكان نصيبي ما قد شاهدته.

ومن فوائد الصلاة على النبى محبة المصطفى ﷺ للمصلي على رسول الله ﷺ، بل زيادة المحبة المذكورة اللازمة لها ازدياد الشوق مع استحضار المحاسن النبوية في القلب بحيث يمثل خياله، واعلم أنه يتأكد على المصلى على النبى ﷺ أن يتصور وقت الصلاة عليه صورته الكريمة في مرآة قلبه كأنه بين يديه سائلاً من الله الصلاة والسلام عليه لأنه إذا واظب المصلى على ذلك تدوم عليه سطوع أنواره الكريمة المحمدية حتى تنطبع صورة المصطفى ﷺ في النفس انطباعاً ثابتاً متأصلاً.

ومن فوائد كثرة الصلاة على النبى ﷺ أنها تكون سبباً في وصول المصلى إلى الرسول ﷺ وفي هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: ((**أكثركم عليّ صلاة أقربكم مني يوم القيامة**)).

وذلك أن المصلى عليه ﷺ صلاة كثيرة لابد وأن يتعلق به خاطره، فيتعشق

قلبه بالصورة الروحانية تعشقاً يوجب المحبة ودوام الذكر له بالصلاة عليه ﷺ فلأجل ذلك يقرب إليه ويكون عنده ومعه.

وعليك أن تكون في حال ذكرك له كأنك بين يديه في حياته متأدباً بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء فإنه يراك ويسمعك لأنه متصف ببعض صفات الله تعالى والله جليس من ذكره فللنبي ﷺ نصيب وافر من هذه الصفة، فكن إذ ذاك متأدباً جامع الهمة لتصل إليه صلاتك عليه وأنت حاضر بقلبك لديه فإن لجمع الهمة أثراً، واستح أن تذكره أو تصلي عليه ﷺ وأنت مشغول بغيره فتكون صلاتك جسماً بلا روح لأن كل عمل يعمله العبد من أعمال البر إذا كان منوطاً بحضور القلب كانت صورة ذلك العمل حية، وإذا كان منوطاً بالغفلة وشغل الخاطر بالغير كانت صورته ميتة لا روح لها .

هذا وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: ((**إن الداعي إذا دعا لأخيه المؤمن تقول له الملائكة ولك بمثل**)). ولا خلاف أن دعاء الملائكة مقبول لأنهم معصومون فيصلي الله على المصلى فترجع صلاة المصلى على نفسه ولهذا ورد في الحديث عنه ﷺ: ((**من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه أي على المصلى عشرا**)). ولهذا يحصل للمصلي حقيقة القرب فيحشر معه، فإذا كان هذا نتيجة الصلاة باللسان فما تكون نتيجة الصلاة بالقلب والروح والسر، وليس الصلاة إلا القرب والاجتماع والإقبال، فإذا حصل هذا الأمر من الروح والسر هل يكون إلا معه عند الله لأن نتيجة العمل الظاهر وهو الصلاة عليه ﷺ أقرب بالمكان وهو الجنة ونتيجة العمل الباطن وهو التعلق والإقبال ودوام استحضار صورته ﷺ ومعناه القرب بالمكانة وهو عند الله في مقعد صدق حيث لا أين ولا كيف؟!

ويحكي لنا العارف بالله حسن السمرقندي عن أبيه قال: وقف رجل في الحرم وكان كثير الصلاة على النبى ﷺ حيث كان بين الحرم وعرفة ومنى فقلت له أيها الرجل إن لكل مقام مقالاً فما بالك لا تشتغل بالدعاء ولا بالتطوع بالصلاة سوى أنك تصلي على النبى ﷺ، فقال إني خرجت من خراسان حاجّاً إلى هذا البيت، وكان

والدي معي فلما بلغنا الكوفة اعتل والدي وقويت به العلة فمات فلما مات غطيت وجهه بإزاري ثم غبت عنه ساعة وجئت فكشفت وجهه لأراه فإذا صورته كصورة الحمار، فلما رأيته على هذه الصورة عظم غمي وتشوشت بسببه وحزنت حزناً شديداً وقلت في نفسي كيف أظهر للناس هذا الحال الذي صار والدي فيه فقعدت عنده مهموماً فأخذتني سنة من النوم فنمت فبينما أنا نائم إذ رأيت في منامي كأن رجلاً دخل علينا وجاء إلى والدي وكشف عن وجهه فنظر إليه ثم غطاه وقال لي ما هذا الهم العظيم الذي أنت فيه فقلت وكيف لا أغتم وقد صار والدي بهذه المحنة فقال أبشر إن الله عز وجل أزال عن والدك هذه المحنة قال ثم كشف الغطاء عن وجهه فإذا هو كالقمر فقلت للرجل بالله من أنت فقد كان قدومك مباركاً. قال أنا المصطفى ﷺ، فلما قال ذلك فرحت فرحاً عظيماً وأخذت بطرف ردائه ﷺ فلففته على يدي وقلت بحق الله يا سيدي يا رسول الله إلا أخبرتني بالقصة فقال إن والدك آكل الربا وإن من حكم الله عز وجل أن من أكل الربا يحول الله صورته عند الموت كصورة الحمار إما في الدنيا وإما في الآخرة، ولكن كان من عادة والدك أن يصلي عليّ في كل ليلة قبل أن يضطجع على فراشه مائة مرة فلما عرضت له هذه المحنة من أكل الربا جاءني الملك الذي يعرض عليّ أعمال أمتي فأخبرني بحال والدك فسألت الله تعالى فشفعني فيه. فاستيقظت فكشفت عن وجه والدي فإذا هو كالقمر ليلة البدر فحمدت الله تعالى وشكرته وجهزت والدي ودفنته وجلست عند قبره ساعة فبينما أنا بين النائم واليقظان إذا أنا بهاتف يقول لي أتعرف هذه الوضاءة التي حفت والدك ما كان سببها قلت لا قال كان سببها الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فآليت على نفسي أني لا أترك الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ على أي حالة كنت؟ وفي أي مكان كنت؟ ويحكى عن الشبلي رضي الله عنه قال: مات رجل من جيراني فرأيته في المنام فقلت له ما فعل الله بك؟ قال: يا شبلي مرت بي أهوال عظيمة وذلك أنه ارتج عليَّ عند السؤال فقلت في نفسي من أين أتى عليّ؟ ألم أمت على الإسلام؟ فنوديت هذه عقوبة إهمالك لسانك في الدنيا. فلما هم بي الملكان

حال بيني وبينهما رجل جميل الشخص طيب الرائحة فذكرني حجتي فقلت من أنت يرحمك الله، فقال أنا شخص خلقت من صلاتك على النبي ﷺ وأمرت أن أنصرك في كل كرب.

٤- **ومن علامات محبته ﷺ:**

تعظيمه عند ذكره وإظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه، فكل من أحب شيئاً خضع له، كما كان كثير من الصحابة بعده إذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة له وشوقاً إليه وتهيباً وتوقيراً.

واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه أمور لازمة كما كانت حال حياته وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه.

قال القاضي عياض في كتابه الشفا: لقد ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين، مالكاً، في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله أدب قوماً فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النبى وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الحجرات: ٢). ومدح قوماً فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحجرات: ٣) وذم قوماً فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحجرات: ٤). وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول الله ﷺ، فقال ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به.

٥- **ومن علامات محبته ﷺ:**

كثرة الشوق إلى لقاء المصطفى ﷺ، ولقد كانت الصحابة رضي الله عنهم اذا اشتد بهم الشوق وأزعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله ﷺ واستشفوا

بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر إليه والتبرك به ﷺ.

وكما سبق القول عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله ﷺ ما غير لونك؟ فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين، وإني إن دخلت الجنة أكون في منزلة أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ﴾(النساء: ٦٩). وقيل نزلت هذه الآية في عبد الله بن زيد الأنصاري أنه أتى النبي ﷺ فقال والله يا رسول الله لأنت أحب إلى من نفسي ومالي وولدي وأهلي ولولا أني آتيك فأراك لرأيت أن أموت وبكى الأنصاري فقال له رسول الله ﷺ ما أبكاك؟ قال بكيت أن ذكرت أنك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونكون نحن إن دخلنا الجنة دونك فلم يحر النبي ﷺ بمعنى أي لم يرجع إليه بقول. فأنزل الله الآية، وذكر مقاتل أن عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة (بستان) له فأتاه ابنه فأخبره أن النبي ﷺ قد توفى فقال اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد أحداً فكف بصره، وعن عبدة بنت خالد بن معدان وهو من التابعين قالت ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبض روحي حتى يغلبه النوم. ولما احتضر بلال نادته امرأته واحزناه قال: واطرباه غدا ألقى الأحبة محمداً وحزبه.

٦- ومن علامات محبته تسييد اسمه ﷺ:

اعلم يا بني أن حكم لفظ السيادة عند ذكر اسمه الشريف وهو واجب على كل مسلم محب لرسول الله ﷺ لأن ذلك من رفعة ذكره وتعظيم قدره. وقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يُعلوا من قدره ويوقروا شأنه ولا ينادوه باسمه الشريف المجرد من

التكريم والتبجيل قال الله تعالى: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً ﴾(النور: ٦٣).

قال البيضاوي في تفسيره: " لا تجعلوا دعاء الرسول أي نداءه بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير واستفيد من الآية أنه لا يجوز نداء النبي ﷺ بغير ما يفيد التعظيم لا في حياته ولا بعد وفاته فبهذا يعلم أن من استخف بجنابه ﷺ فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة " وقال المرغني في تاج التفاسير لا تجعلوا أيها المنادون دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً فتقولوا يا محمد بل قولوا يا رسول الله ويا نبيَّ الله بأدب وخفض الصوت والخضوع وهكذا بعد وفاته ولا يقول العبد قال محمد. ولكن يقول قال رسول الله ﷺ أو نبي الله أو سيدنا ومولانا محمد ﷺ بتأدب عند ذكر اسمه الشريف وقال ابن جرير عن قتادة في هذه الآية الشريفة أن الله أمرهم أن يوقروه ويشرفوه وقال السيوطي في الإكليل في استنباط التنزيل عند ذكر هذه الآية الكريمة تحريم ندائه باسمه بل يقال يا رسول الله يا نبي الله والظاهر استمرار ذلك بعد وفاته وجاء في فتح الباري في شرح صحيح البخاري أنه ﷺ وإن كان ذا أسماء وكنى لكن لا ينبغي أن ينادى بشيء من تلك الأسماء فيحرم نداؤه بها لقوله تعالى: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً ﴾(النور: ٦٣). مثل يا محمد ويا أحمد ويؤيده قول الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم كانوا يقولون يا أحمد يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل إعظاماً لنبيه ﷺ فقالوا: يا نبي الله يا رسول الله. وقد اتفق أئمة الإسلام وفقهاء المذاهب ومضوا على تحريم ندائه ﷺ باسم أخذاً من هذه الآية الشريفة ولقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير لذلك المعنى قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧). فهذا الثناء بالفلاح من الله تعالى للذين يقدرونه أي يعظمونه ويبجلونه بكل ما يرفع قدره ويعبر عن شرف مكانته العالية وإن ذكر اسمه الشريف مجرداً من لفظ السيادة لا يتفق مع التعظيم اللائق بجنابه الكريم وقال الله

تعالى أيضاً: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ (الفتح: ٩). وقوله تعزروه من التعزير والتقدير أدباً وتخلقاً بأخلاق القرآن حيث ناداه الله بقوله: " يا أيها النبي" و" يا أيها الرسول" ولم يوجه له النداء باسمه صلوات الله وسلامه عليه ويبين أنه سبحانه رفع ذكره بين العالمين قال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (الشرح: ٤). ورفعة الذكر تكون بألفاظ التعظيم وألقاب التكريم ومنها السيادة التى جرى العرف بها بين الناس وبذلك نكون مأمورين بها عند ذكره ومنهيين عن ضدها وهو ذكر الاسم الشريف مجرداً عنها لأنه بدونها غير مرفوع.

وإن ذكر السيادة يجب من باب سد الذرائع حتى لا يتوصل به الملاحدة إلى إهانته وقد حض الإمام الشافعي رضى الله عنه على كراهة قول المرء قال الرسول بالألف واللام وأن الأولى والمستحب والمرغوب هو أن يقال قال رسول الله ﷺ بالإضافة التي هي غاية التشريف ونهاية الفخر والتعظيم لأن في اللفظ المقطوع عند هذه الإضافة إيهاماً للنقص لاحتمال أن يراد به أنه رسول غير رسول الله تعالى (فيتوصل بالملاحدة والزنادقة إلى ذكره بغير الرسالة ويوهمون أنهم يقصدون رسول الله تعالى والواقع أنهم يقصدون غير ذلك) فسداً لهذه الذريعة بعدم ذكر الإضافة المشرفة كما رأى الإمام الشافعي ذلك وإن ذكر اسمه الشريف صلوات الله وسلامه عليه مجرداً عن السيادة هو اليوم في عرفنا مثل ذلك بل أشد ولذلك نرى المستشرقين وممن لا خلاق لهم هم الذين يذكرون الاسم الشريف مجرداً وعلى ذلك فلا يجوز ذكره عليه الصلاة والسلام من غير السيادة خوفاً من التشبه بالكفار واتباعهم في أهوائهم لأنهم يذكرون النبى ﷺ باسمه مجرداً على سبيل الاستهانة به قال الله تعالى: ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(التوبة: ٦٩)..

وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلّى قال: كنت أصلي بالمسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ثم أتيته فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال عليه الصلاة والسلام ألم يقل الله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾(الأنفال: ٢٤). فإذا كانت إجابته مفروضة علينا ونحن بين يدي الله تعالى

وما ذلك إلا مراعاة للأدب معه ﷺ ومراعاة حرمته فذكره بالسيادة مطلوب من باب أولى وقد قال بعض المفسرين عند قوله تعالى وقولوا للناس حسناً المراد بالناس رسول الله ﷺ والمراد بالحسنى الحسن قرن به ومن الحق الذي يقوله للناس سيدي ومولاي أي ثبت من الآيات الكريمة مطلوبية قول ذلك لرسول الله ﷺ بطريق الأولى وأما ما يتوهم به الذين لم يتذوقوا قطرة من صافي شراب محبته صلوات الله وسلامه عليه على عدم إطلاق السيادة له ﷺ فهو الحديث الشريف " السيد الله " وقد أجاب عنه العارف بالله ابن عجيبة في حاشيته على الجامع الصغير بأن الحديث يبين أن الله هو الذي يحق له السيادة المطلقة إذ الخلق كلهم عبيده وأن رسول الله ﷺ قاله لما خوطب بما يخاطب به رؤساء القبائل من قولهم أنت سيدنا ومولانا وكانوا قريبي عهد بالإسلام وأراد الرسول ﷺ أن يمكن العقيدة في نفوسهم بأن الخضوع التام للمالك الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى وقد نقل عن الإمام مالك رضى الله عنه امتناع إطلاق السيد على الله إلا إذا أريد بيان هذا المعنى الذي قصده ﷺ ومما لا شك فيه أن هذه الشبهة ليس فيها أي احتمال للاستدلال على عدم إطلاق السيادة لأن الله تعالى مدح سيدنا يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٣٩) . فإذا أثبت لسيدنا يحيى كان لرسول الله ﷺ من باب أولى وكنا مأمورين بطريق الإشارة الواضحة بل إن القرآن الكريم عبر عن لفظ السيادة في غير ذلك قال تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ (يوسف: ٢٥). وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ (الأحزاب: ٦٧). وكذلك لفظ المولى قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً﴾ (الدخان: ٤١). وكذلك توافرت السنة النبوية الشريفة في هذا المضمار وجاءت الأحاديث الكثيرة التي تطلق لفظ السيد على غير الله تعالى قال رسول الله ﷺ: ((**كل بني آدم سيد والرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها**)) قال الذهبي "رواته ثقات" وكذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال: ((**وليقل المملوك سيدي وسيدتي**)) وفي رواية أبي داود أيضاً ((**سيدي ومولاي**)) فإذا كان هذا بالنسبة للعبد مع سيده ألا يكون لرسول الله ﷺ وصدق الله العظيم ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى

﴿الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(الحج: ٤٦). وقد جاء في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ: ((أن الله يقول للعبد يوم القيامة ألم أكرمك وأسودك)) أي أجعلك سيداً. فبهذا الامتنان من الله تعالى بنعمة السيادة يدلنا على أنها شرف للإنسانية بصفة عامة وبأفضل خلق الله ﷺ بصفة خاصة حيث إنه أفضل وأشرف خلق الله. وبذلك يتجلى لنا أن من يقول إن السيادة المطلقة لا تطلق إلا على الله سبحانه وتعالى فقط فلا يُعتد بقوله لأنه مخالف لمنهج القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة وكذلك أيضاً ما يظنه بعض الناس حديثاً نبويّاً وهو قولهم: "لا تسيدوني في الصلاة" فهو لا يصح نسبته لرسول الله ﷺ لأنه لحن فاحشٌ وخطأ لغوي لا يجوز نسبته لأفصح من نطق بالضاد صلوات الله عليه وسلامه لأن الفعل سَيَدَ لم يرد في لغة العرب وإنما سَوَد ولذلك أدرك بعض الناس هذا المعنى فقالوا إن الحديث بلفظ لا تسودوني في الصلاة ولكن هذا أيضاً باطل أشد البطلان وكذب وافتراء على رسول الله ﷺ وقد أورده كثير من المحدثين في الموضوعات التي وضعت كذباً على رسول الله ﷺ وسئل عنه الإمام جلال الدين السيوطي فأجاب بأنه لم يرد وأنه باطل كما نص على ذلك في الحاوي للسيوطي وقال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة أنه لا أصل له وكذلك الإمام جلال الدين المحلى والشمس الرملي وابن حجر الهيثمي وبعض فقهاء الشافعية والمالكية ونص عليه القارئ في موضوعاته على بطلانه وكذلك قولهم لا تعظموني في المسجد بأنه باطل أيضاً وقد جاء في كتاب كشف الخفى للحافظ العجلوني ما نصه قال في المقاصد لا أصل له.

واعلم يا بني أن الأدب معه ﷺ مقدم على امتثال الأوامر كما فعل سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما جاء رسول الله ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه يؤم الناس فأمره مكانه فلم يمتثل ثم سأله بعد الفراغ من الصلاة بعد ذلك فأبدى له أنه إنما فعل ذلك تأدباً معه ﷺ قائلاً ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ ذلك، كذلك التزم سيدنا على بن أبي طالب الأدب دون امتثال الأمر حين كتب الكتاب

للمصالحة في الحديبية وكان فيه لفظ رسول الله ﷺ فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله ﷺ: ((**إني رسول الله وإن كذبتموني امحه**)) انظر السيرة النبوية لابن هشام. أي لفظ رسول الله فقال سيدنا على والله لا أمحوه ومحاه النبى ﷺ بيده الشريفة ولم ينكر على سيدنا على بن أبي طالب حسن أدبه وقال العلماء المحققون بل هذا هو الأدب المستحب فكذلك زيادة لفظ السيد عند ذكر أسمائه ﷺ من الأدب المستحب ومن التزام الأدب أيضاً أن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه أخَّر الطواف لما دخل مكة في قضية صلح الحديبية مع علمه بوجوبه على من دخلها أدباً معه ﷺ حتى لا يطوف قبله وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ ذلك وبذلك تكون هذه الشبهة وهي لا أساس لها من الصحة وعلى فرض احتمال ورودها فإنه يجب التزام الأدب عند ذكر سيدنا ومولانا محمد ﷺ وقد جاء في صحيح البخاري قوله صلوات الله عليه وسلامه: ((**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**)) قال ابن عطاء الله سمعت شيخنا أبا العباس يقول أي لا أفتخر بالسيادة وإنما الفخر بالعبودية لله تعالى التي من أجلها خلق الإنسان قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ** ﴾(الذاريات آية: ٥٦) والسيد هو الذي يسود قومه أي يتقدم عليهم بما فيه من خصال الكمال والشرف التام وقيل هو الكامل الذي يحتاج إليه غيره وقال ابن عباس رضى الله عنهما: السيد الكريم على ربه عز وجل وقال قتادة السيد الذي لا يغلبه غضبه وفي رواية للإمام أحمد وابن ماجه والترمذي قوله عليه الصلاة والسلام: ((**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**)) وفي رواية أخرى: ((**أنا سيد الناس يوم القيامة**)) للإمام أحمد والبخاري ومسلم وذلك شامل لسيدنا آدم عليه السلام لقوله ﷺ: ((**آدم فمن دونه من الأنبياء يوم القيامة تحت لوائي**)) بل هناك رواية صريحة في ذلك المعنى وهو قوله ﷺ: ((**أنا سيد العالمين**)) وفي رواية أبي نعيم في الدلائل قول سيدنا ومولانا محمد ﷺ:

((**أنا سيد المؤمنين إذا بُعثوا**)) ومما رواه الخطيب قوله ﷺ: ((**أنا إمام المسلمين وسيد المتقين**)) فهذه الأحاديث الصحيحة التي بلغت حد التواتر وأنه ﷺ سيد ولد آدم وسيد المؤمنين وسيد العالمين تدل دلالة لا لبس فيها على أن لفظ السيادة واجب على كل مسلم محب لرسول الله ﷺ وأن هناك حديثاً صريحاً في طلب لفظ السيادة من المؤمنين رواه الحاكم في المستدرك بسند صحيح فعن جابر بن عبد الله قال: صعد رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((**من أنا**)) قلنا رسول الله ﷺ قال: ((**نعم ولكن من أنا**)) فقلنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف قال: ((**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**)) فهذا الحديث الشريف يوضح لنا أن رسول الله ﷺ كان يحب من أصحابه أن يجيبوه بلفظ السيادة الذي يبين فضله على سائر العالمين من المرسلين وغيرهم فرسول الله ﷺ هو سيدنا بنص الأحاديث الصحيحة المقطوع بها وكذلك الصحابة الأجلاء وآل بيته الكرام الأطهار هم سادتنا فقد روى البخاري: أن رسول الله ﷺ قال للسيدة فاطمة رضي الله عنها: ((**يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنات أو سيدة نساء هذه الأمة**)) وفي رواية لابن سعد في الطبقات: " ((**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين**)) فيجب علينا أن نذكر سيدتنا ومولاتنا فاطمة بلفظ السيادة عند ذكرها دائماً وكذلك سيدنا ومولانا الحسن فقد روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال عندما رأى السيد الحسن قال: ((**إن ابني هذا سيد**)) وأيضاً سيدنا ومولانا الحسين فقد أخرج الترمذي بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: ((**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**)) وكذلك ورد في حق سيدنا ومولانا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسيدنا ومولانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما رواه ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: ((**أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين**)) بل إن رسول الله ﷺ علم الصحابة ذلك المعنى بوضوح فقد روى البخاري ومسلم عن

أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن بني قريظة لما نزلوا على حكم سعد بن معاذ أرسل إليه رسول الله ﷺ فجاء على حمار فقال رسول الله ﷺ: ((**قوموا إلى سيدكم أو إلى خيركم**)) فهل بعد هذا البيان النبوى الكريم حجة لمن لا يطلق لفظ السيادة على سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ومع أن النبى ﷺ نهى أصحابه عن القيام له وكره ذلك ولكنه أمر بالقيام لسعد رضى الله عنه فيجب أن ندرك ذلك المعنى الذي أراده رسول الله ﷺ ونبه أصحابه له ووصف به سعد بن معاذ وأن الأدب الإسلامي الكريم يدعو المؤمن للأدب مع والده وأستاذه بأن لا ينادي الابن أباه ومعلمه باسمه فقد ذكر الإمام النووي في كتابه الأذكار في باب نهي الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادي أباه ومعلمه وشيخه باسمه ما رواه ابن السني أن رسول الله ﷺ: ((**رأى رجلاً ومعه غلام فقال يا غلام من هذا؟ قال أبي. قال فلا تمشي أمامه ولا تسبه ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه**)) فإذا كانت هذه أخلاق الإسلام في معاملة الوالدين وأصحاب الفضل والعلم فكيف تكون المعاملة مع أحب الخلق إلى الله تعالى وهو الأب الحقيقي للمؤمنين؟ قال الله تعالى: ﴿ **النبى أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾(الأحزاب: ٦). وقال ابن عباس رضى الله عنهما: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم" ولذلك يظهر لكل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن ذكر رسول الله ﷺ باسمه مجرداً ينافي التعظيم المطلوب لجنابه العالي ومقامه الرفيع وأن ما يقوله بعض الناس بأنه لم يرد عن الصحابة ذكر لفظ السيادة لرسول الله ﷺ فهو ناشئ عن جهل مطبق، وقصور محقق، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن سهل بن حنيف: يقول مررنا بسيل فدخلت فاغتسلت منه فخرجت محموماً فنُمِى ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: ((**مروا أبا ثابت فليتعوذ**)) قلت يا سيدي والرقى الصالحة قال: ((**لا رقية إلا في نفس أو حمة أو لدغة**)). فهذا الحديث الشريف أشد صراحة في قول سهل بن حنيف لسيدنا ومولانا محمد ﷺ يا سيدي وقد رواه النسائي أيضاً بسند قوي. وكذلك ما قاله

ابن مسعود رضى الله عنه: " إذا صليتم على النبى ﷺ فأحسنوا الصلاة فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين " وكان الصحابة ينادون بعضهم بعضاً بهذا اللفظ الذي يشعر بالتكريم والإجلال. روى الحاكم في المستدرك بسند صحيح: " أن أبا هريرة رضى الله عنه لما رد السلام على سيدنا ومولانا الحسن بن على رضى الله عنهما قال وعليك السلام يا سيدي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إنه سيد " وما قاله الفاروق رضى الله عنه: " أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا أي سيدنا ومولانا بلالا رضى الله عنهم " وكتب السيرة النبوية مليئة بهذا المعنى فمن أعماه التعصب الممقوت واتباع الآراء الضالة فلا نلتفت إليه ولا نعيره أي اهتمام لأنه محروم من محبته ﷺ فهذه الدلائل الساطعة والبراهين الدامغة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لا تدع مجالاً للشك في إطلاق السيادة لرسول الله ﷺ بل وللمؤمنين غير الفاسقين فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد وأبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**لا تقولوا للمنافقين سيد فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم**)) عز وجل وأن النهي عن قوله للمنافقين دليل على جوازه للمؤمنين وأن السيادة مراتبها بحسب تفاضل الأعمال والمنزلة عند الله تعالى فقد روى الحاكم بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: ((**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر أمره فقتله ونهاه فقتله**)) فهذه السيادة لسيدنا حمزة رضى الله عنه بالنسبة للشهداء وهكذا تجد كل سيادة مقيدة بعمل معين ولكن السيادة الكاملة التامة لا تكون إلا لسيد الخلائق جميعاً ورحمة الكائنات كلها صلوات الله وسلامه عليه صلاة دائمة تكون لك رضاء يا رب ولحقه أداءً وأعطه يا رب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد اللهم اجعل في المصطفين محبته وفي العالمين درجته وفي المقربين ذكره وأجزه اللهم عنا ما هو أهله وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وإخوانه من النبيين والمرسلين والصالحين وعلينا

وعلى جميع من حج بيت الله الحرام أو اعتمره معهم يا رب العالمين في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

٧- **ومن علامات محبة الرسول ﷺ حب آل بيته الكرام وعدم بغضهم**

وقد نص القرآن الكريم على ذلك فقال عز وجل: ﴿ **قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ (الشورى: ٢٣).

وقد أوصانا المصطفى ﷺ بمحبة أهل بيته في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة والتي جاءت متضمنة فضل أهل البيت وفيما يلي جانب من هذه الأحاديث:

١- عن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية: ﴿ **قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾(الشورى: ٢٣). قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال: ((**على وفاطمة وولداهما**)) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم والطبراني في المعجم الكبير.

٢- عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً** ﴾ (الشورى: ٢٣). قال المودة لآل محمد. اخرجه ابن أبي حاتم.

٣- أخرج أحمد والترمذي وصححه النسائي والحاكم عن المطلب بن ربيعة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمانٌ حتى يحبكم لله ولقرابتي**)).

٤- أخرج مسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**أُذَكِّرُكُم الله في أهل بيتي**)).

٥- أخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما**)).

٦- أخرج الترمذي وحسنه والطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: ((**أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي**)).

٧- أخرج الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً أن يثبت قلوبكم وأن يعلم جاهلكم ويهدي ضالكم وسألته أن يجعلكم جُوَدَاءَ رُحَمَاءَ فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار**)).

٨- أخرج الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((**بغض بني هاشم والأنصار كفر وبغض العرب نفاق**)).

٩- أخرج ابن عدي في الكامل عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من أبغَضنَا أهْلَ البيت فهو منافق**)).

١٠- أخرج ابن حبان في صحيحه والحاكم عن أبي سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل إلا أدخله الله النار**)).

١١- أخرج الطبراني عن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه قال لمعاوية بن خديج يا معاوية بن خديج إياك وبغضنا فإن رسول الله ﷺ قال: ((**لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد إلا ذيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار**)).

١٢- أخرج ابن عدي والبيهقي في شعب الإيمان عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من لم يعرف حق عترتي والأنصار فهو لإحدى ثلاث إما منافق وإما لزانية وإما لغير طهر**)) يعني حملته أمه على غير طهر.

١٣- أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ: ((**اخلفوني في أهل بيتي**)).

١٤- أخرج الطبراني في الأوسط عن الحسن بن على رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((**الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمل عمله إلا بمعرفة حقنا**)).

١٥- أخرج الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال

خطبنا رسول الله ﷺ فسمعته وهو يقول: ((**أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً**)).

١٦- أخرج بن أبي شيبة والحاكم والترمذي في نوادر الأصول وأبو يعلى والطبراني عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي**)).

١٧- آخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له**)).

١٨- أخرج البخاري في تاريخه عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لكل شيء أساس وأساس الإسلام حب أصحاب رسول الله وحب أهل بيته**)).

١٩- أخرج الحاكم عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لكل بني أم عصبة ينتمون إليهم إلا بني فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم**)).

٢٠- أخرج الطبراني في الأوسط عن جابر رضى الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول للناس حين تزوج بنت على رضى الله عنه ألا تهنئوني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببي ونسبي**)).

٢١- أخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ﴾ (الضحى: ٥). قال: مِنْ رِضَا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

٢٢- أخرج البزار وأبو يعلى والعقيلي والطبراني وابن شاهين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار**)).

٢٣- أخرج الترمذي وحسنه عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي**)).

٢٤- أخرج الخطيب في تاريخه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((شفاعتي لمن أحب أهل بيتي)).**

٢٥- أخرج الطبراني عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **((أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي)).**

٢٦- أخرج الطبراني عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه قال: خطبنا رسول الله ﷺ بالجحفة فقال: **((ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: فإني سائلكم عن اثنين عن القرآن وعترتي)).**

٢٧- أخرج الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **((لا تزول قَدَمَا عبد حتى يُسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه وعن محبتنا أهل البيت)).**

٢٨- أخرج الديلمي عن علي رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((أول من يرد عليَّ الحوض أهل بيتي)).**

٢٩- أخرج الديلمي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((أدبوا أولادكم على ثلاث حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه)).**

٣٠- أخرج الديلمي عن علي رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي وأصحابي)).**

٣١- أخرج الديلمي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذُرِيَّتي والقاضي لهم الحوائج والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه)).**

٣٢- أخرج الديلمي عن أبي سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي)).**

٨- ومن علامات محبة رسول الله ﷺ الاحتفال بمولد المصطفى ﷺ:

الذي انصدع له إيوان كسرى، وسقطت له شرفاته كما خمدت له نار

الفرس ولها ألف عام لم تخمد وغيض ماء نهر ساوة، كما رُميت الشياطين المسترقون السمع بالشهب. وقد تكلم الكثير عن مولد البشير فيما بين مؤيد ومعارض. أما المؤيدون فقد عبروا عن تأييدهم بفرحتهم بألوان مختلفة. كما دافع عنهم الشيوخ.

ونوضح فيما يلي آراء جانب من المؤيدين للاحتفال بمولد رسول الله ﷺ:

قال الإمام أبو شامة شيخ النووي: ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مشعر بمحبة النبى ﷺ وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله تعالى على ما من به من إيجاد رسول الله ﷺ الذي أرسله رحمة للعالمين، وقال السخاوي إن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا يزال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم، وقال القسطلاني ولا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم ومما جرب من خواصه أنه أمان من ذلك العام وبشرى عاجله بنيل البغية والمرام فرحم الله عبداً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً.

وقال الحافظ السيوطي في رسالة سماها حسن المقصد في عمل المولد قال فيها: قد وقع السؤال عن عمل المولد النبوى في شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشرع وهل هو محمود أو مذموم وهل يثاب فاعله؟

أولاً الجواب عندي أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبى ﷺ وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط فيأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبى ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار

بمولده الشريف ﷺ.

وقد سئل شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولد فأجاب رضى الله عنه بما نصه: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن اقتصر في عمله على المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا، قال وقد ظهر لى تخريجها على أصل ثابت وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبى ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى فقال ﷺ: ((**نحن أولى بموسى منكم**)) فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما مَنّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة. والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وأي نعمة أعظم من بروز هذا النبي– نبي الرحمة– في ذلك اليوم وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى أي يوم من السنة وفيه ما فيه فهذا ما تعلق بأصل عمله وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهد المحرك للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان من ذلك مباحاً بحيث يتعين للسرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به وأما ما كان حراماً أو مكروهاً فيمنع.

قال السيوطي قلت وقد ظهر لى تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقى عن أنس أن النبى ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبى ﷺ إظهاراً للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشريع لأمته كما كان يصلي على نفسه لذلك يستحب لنا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام

الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات قال ثم رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين ابن الجزري قال في كتابه المسمى عرف التعريف بالمولد الشريف ما نصه رئي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك، فقال: في النار إلا أنه خفف عني كل ليلة اثنين وإن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبإرضاعها له فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل فيه القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ به فما حال المسلم الموحد من أمة النبي ﷺ بنشره مولده وبذل ما تصل إليه قدرته في محبته ﷺ لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم. فإن قيل ما الحكمة في كونه عليه الصلاة والسلام خص مولده الشريف بشهر ربيع ويوم الاثنين؟ ولم يكن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن؟ وفيه ليلة القدر؟ ولا في الأشهر الحرم؟ ولا في ليلة النصف من شعبان؟ ولا في يوم الجمعة وليلتها؟ فالجواب من أربعة أوجه الأول ما ورد في الحديث من أن الله خلق الشجر يوم الاثنين وفي ذلك تنبيه عظيم وهو أن خلق الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التي يمتد بها بنو آدم ويحيون وتطيب بها نفوسهم يوم الاثنين. الثاني أن في لفظة ربيع إشارة وتفاؤلاً حسناً بالنسبة إلى اشتقاقه وقد قال أبو عبد الرحمن الصقلي لكل إنسان من اسمه نصيب. الثالث أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها وشريعته أعدل الشرائع وأسمحها. الرابع أن الحكيم سبحانه أراد أن يشرف به الزمان الذي ولد فيه فلو ولد في الأوقات المتقدم ذكرها لكان قد يتوهم أنه يتشرف بها والله تعالى أعلم. انتهى كلام السيوطي في رسالته. وقوله سئل شيخ الإسلام الحافظ أبو الفضل ابن حجر إلخ قلت سبقه إلى نحوه الحافظ ابن رجب في كتاب لطائف المعارف وعبارته: وفي قول النبي ﷺ لما سئل عن صيام يوم الاثنين: **((ذلك يوم ولدت فيه وأنزلت عليّ فيه النبوة))** أخرجه مسلم من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.إشارة إلى استحباب صيام الأيام التي تجدد فيها نعم الله تعالى على عباده فإن أعظم نعم الله على هذه الأمة إظهار محمد ﷺ لهم وبعثته وإرساله إليهم كما قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ (آل

عمران: ١٦٤). فإن النعمة على الأمة بإرساله ﷺ أعظم من النعمة بإيجاد السماء والأرض والشمس والقمر والرياح والليل والنهار وإنزال المطر وإخراج النبات وغير ذلك. فإن هذه النعم كلها قد عمت خلقاً من بني آدم كفروا بالله وبرسله وبلقائه فبدلوا نعمة الله كفراً وأما النعمة بإرسال محمد ﷺ فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده وكان قبوله سبب سعادتهم في دنياهم وآخرتهم فصيام يوم تجددت فيه النعم من الله على عباده حسن جميل وهو من باب مقابلة النعم في أوقات تجددها بالشكر ونظير هذا صيام يوم عاشوراء حيث نجى الله فيه نوحاً من الغرق ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده وأغرقهم في اليم فصامه نوح وموسى عليهما السلام شكراً فصامه رسول الله ﷺ متابعة لأنبياء الله وقال لليهود نحن أحق بموسى منكم وصامه وأمر بصيامه ﷺ.

* * *

الباب الخامس عشر

في ثمرات محبته ﷺ

١- أن يحشر المحب مع من أحب:

اعلم يا بني أن لمحبة رسول الله ﷺ ثمرات منها أن يحشر المحب مع رسول الله ﷺ لقوله ﷺ: ((**من أحب قوماً حشره الله في زمرتهم**)) وعن أنس رضى الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ قال: ((**وما أعددت لها**)) قال: لا شئ إلا أني أحب الله ورسوله، قال: ((**أنت مع من أحببت**)). قال أنس فما فرحنا بشئ فرحنا بقول النبى ﷺ: أنت مع من أحببت، قال أنس فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم فقال رسول الله ﷺ: ((**المرء مع من أحب**)).

وعن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم قال أنت يا أبا ذر مع من أحببت قال فإني أحب الله ورسوله. قال فإنك مع من أحببت. قال: أعادها أبو ذر فأعادها رسول الله ﷺ. وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**العبد مع من أحب وله ما اكتسب**)). فمن أحب رسول الله ﷺ كان معه في درجته لا من كل وجه ومعنى محبته امتثال أوامره.

وقال المناوى في شرحه الكبير على الجامع الصغير عند قوله ﷺ: المرء مع من أحب، طبعاً وعقلاً وجزاءً ومحلاً، فكل مهتم بشيء فهو منجذب إليه وإلى أهله بطبعه شاء أم أبى وكل امرئ يصبو إلى مناسبه رضى أم سخط فالنفوس العلوية تنجذب بذواتها وهممها وعملها إلى أعلى، والنفوس الدنية تنجذب بذواتها إلى أسفل ومن أراد أن يعلم هل هو مع الرفيق الأعلى أو الأسفل فلينظر أين هو ومع من هو في هذا العالم فإن الروح إذا فارقت البدن تكون مع الرفيق الذي كانت تنجذب إليه في الدنيا.

وقيل المراد هنا من أحب قوماً بإخلاص فهو في زمرتهم وإن لم يعمل عملهم

لثبوت التقارب مع قلوبهم ، قال أنس ما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث وفي ضمنه حث على حب الأخيار رجاء اللحاق بهم في دار القرار والخلاص من النار.

٢- **ومن ثمرات المحبة أن يكون المحب مع رسول الله ﷺ في الجنة :**

لقوله ﷺ: ((**من أحبني كان معي في الجنة**)). وعن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين فقال: ((**من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في الجنة**)). وعن أنس رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: ((**يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لى يا بني وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحبني ومن أحبنى كان معي في الجنة**)).

وقال الشهاب الخفاجي: وليس المراد بكونه معه أنه مساو له في منزلته وعلو مرتبته وإنما المراد أنه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين وإن كانت مراتبهم متفاوتة.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**من أحب قوماً حشره الله في زمرتهم ، فمن أحب أولياء الرحمن فهو معهم في الجنان ومن أحب حزب الشيطان فهو معهم في النيران**)).

وفيه بشارة عظيمة لمن أحب الصوفية أو تشبه بهم يكون معهم في الجنة وله ما اكتسب.

٣- **ومن ثمرات محبته : الوصول إلى معية الرسول ﷺ :**

اعلم أيها الأخ الكريم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبى ﷺ، ثم اختلفوا في تعين الواجب ، فعند مالك تجب الصلاة والسلام في العمر مرة ، وعند الشافعي تجب في التشهد الأخير من كل فرض ، وعند غيرهما تجب في كل مجلس مرة ، وقيل تجب عند ذكره ، وقيل يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد، وبالجملة فالصلاة على النبى ﷺ أمرها عظيم وفضلها جسيم، وهي من أفضل الطاعات وأجل القربات حتى قال بعض العارفين إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأنه الشيخ والسند فيها هو المصطفي ﷺ لأنها تعرض عليه ويصلى على المصلى بخلاف غيرها من الأذكار إذ لابد فيها من الشيخ العارف المربي وإلا دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها.

والصلاة على النبى ﷺ تتأكد في حق السالك في ابتداء أمره على سبيل المداومة ليلاً ونهاراً وذلك عون له على سلوكه في الطريق وطلب القرب من رب الأرباب دون غيرها من الأذكار فإن ذلك فتح لباب الهداية إلى الله تعالى فإنه ﷺ هو واسطة بيننا وبينه تعالى والدليل لنا عليه ، والمعرف لنا به عز وجل والتعلق بالواسطة متقدم على التعلق بالمتوسط إليه فإن الواسطة هو السبب في الدخول على الملك العظيم ووسيلة إلى منازل القرب فهو ﷺ الواسطة بين الخلق والحق ، واعلم أن مَدَد جميع الخلائق من الأنبياء والأولياء منه ﷺ، وأن جميع أعمالهم تعرض عليه ﷺ وله ﷺ في كل أجر فإنه السبب في ذلك فالصلاة عليه من أعظم العون للتقرب إلى الله تعالى ورسوله وبها يكتسب النور ولا تزول الظلمة إلا بالنور ومعنى الظلمة ما يتعلق بهذه النفس من الأدناس وما بالقلب من الصدأ ، فإذا تطهرت النفس من الدنس والقلب من الصدأ زالت العلل المانعة للخير وذلك كله ببركته ﷺ، والإكثار من الصلاة عليه ﷺ يثمر تمكن محبته من القلب. ولما علمنا أنه لا يتوصل لاكتساب اتباع أفعاله وأخلاقه ﷺ إلا بعد شدة الاعتناء به ولا يتوصل لشدة الاعتناء به إلا بالمبالغة في حبه ولا يتوصل للمبالغة في حبه إلا بكثرة الصلاة عليه ﷺ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره فلذلك بدأ السالك بالصلاة عليه ﷺ فإن لها في تنوير الباطن وتزكية النفس عجائب يجدها السالك ذوقاً فضلاً عما تضمنته من الأسرار والفوائد التى يعجز عنها الحصر والاستقصاء، فحسب السالك إخلاص القصد في التوجه إلى الله تعالى بالصلاة على نبيه ﷺ حتى يجنى ثمراتها وتلوح له بركاتها ، وما هي في جميع منازل الطريق إلا مصباح يهتدى به، ونور يستضاء به ، فمن عمر قلبه بالصلاة عليه ﷺ اطلع بأنوارها على أسرار حقائق التوحيد.

وبكثرة الصلاة على النبى ﷺ تنطبع صورته الكريمة في النفس انطباعاً ثانياً متأصلاً وذلك أن المداومة على الصلاة والسلام عليه ﷺ بإخلاص القلب وتحصيل الشروط والآداب وتدبر المعنى حتى يتمكن حبه من الباطن تمكناً صادقاً خالصاً متصلاً بين نفس المصلى ونفس النبى ﷺ ويؤلف بينهما في محل

القرب والصفاء بحيث يتمكن حبه من النفس فالمرء مع من أحب والحب يوجب الاتباع للمحبوب.

والذي يجب على المريد قبل لقاء الشيخ أن يلازم الذكر والصلاة على النبى ﷺ بشدة حضور القلب في تأمل المعاني حسب الطاقة مع اعتقاده أنه جالس بين يديه ﷺ مع دوام الإعراض عن كل ما يقدر عليه من هوى النفس وأغراضها والسعي في كل ما يحببه إلى الله تعالى من نوافل الخيرات وهي معروفة في الأوقات كوقت الضحى وقبل الظهر وبعده وقبل العصر وبعد المغرب وبعد العشاء وبعد النهوض من النوم وفي آخر الليل وليقلل من ذلك ويجعل اهتمامه بالذكر والصلاة على النبى ﷺ أكثر من النوافل فإن الذكر والصلاة على النبى ﷺ مفتاح أبواب الخير مع العزلة في وقت الذكر وتقليل الغذاء والماء واستعمال شيء من الصيام والصمت إلى غير ذلك مما هو مسطور عند أهل الطريق.

فعليك يا أخي بالاستغراق في كثرة الصلاة على النبى ﷺ بالتأدب والحضور واستحضار القلب ومشاهداً أنه جالس بين يديه ﷺ وليداوم على ذلك فإن من داوم على ذلك وكان اهتمامه بالوصول إلى الله تعالى اهتمام الظمآن بالماء أخذ الله بيده وجذبه إليه إما أن يُقَيِّض له شيخاً كاملاً واصلاً يأخذ بيده وإما أن يقيض له نبيه ﷺ ليربيه وإما أن يفتح له باب الوصول ورفع الحجب بسبب ملازمته للصلاة على حبيبه ﷺ فإنه أعظم الوسائل إلى الله تعالى في الوصول إليه، وما لازمها أحد قط في طلب الوصول إلى الله تعالى فخاب.

فعلينا أن نكثر من الصلاة على النبى ﷺ حتى يجالسنا يقظة ونصحبه مثل الصحابة ونسأله عن أمور ديننا وعن الأحاديث التى ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله ﷺ فيها. وما لم يقع لنا ذلك فلسنا من المكثرين للصلاة عليه ﷺ.

واعلم يا أخي أن طريق الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النبى ﷺ من أقرب الطرق. ، وكن على يقين أن صحبة النبى ﷺ البرزخية تحتاج إلى صفاء عظيم حتي يصلح العبد لمجالسته ﷺ، وإن من كان له سريرة سيئة

يستحى من ظهورها في الدنيا والآخرة لا يصلح له صحبة مع رسول الله ﷺ ولو كان على عبادة الثقلين كما لا تنفع صحبة المنافقين ومثل ذلك تلاوة الكفار للقرآن لا ينتفعون بها لعدم إيمانهم بأحكامه.

هذا وقد قيل على لسان بعض العارفين أن من كان شأنه كثرة الصلاة على النبى ﷺ يحصل له الشرف الأكبر بكونه ﷺ يحضره عند سكرات الموت وهناك يهنأ برؤية ما أعد الله له من الحور العين والقصور والولدان وكثرة الأزواج والتهنئة بالسلام عليه من العزيز الغفار كما قال عز وجل: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٣٢)..

واعلم أن لكل شئ علامة ، وعلامة إدراك العبد مشاهدة النبى ﷺ في اليقظة أن يشتغل الفكر بهذا النبى الشريف اشتغالاً دائماً بحيث لا يغيب عن الفكر ولا تصرفه عنه الصوارف ولا الشواغل فتراه يأكل وفكره مع النبي ﷺ ويشرب وهو كذلك وينام وهو كذلك، وهنا نتساءل هل يكون هذا بحيلة وكسب من العبد؟ فأقول: لا، إذ لو كان بحيلة وكسب من العبد لوقعت له الغفلة عنه إذا جاء صارف أو عرض شاغل ولكنه أمر من الله يَحْمِلُ العبد عليه ويستعمله فيه ولا يحس العبد من نفسه اختياراً فيه حتي لو كلف العبد دفعه ما استطاع ولهذا كانت لا تدفعه الشواغل والصوارف، فباطن العبد مع النبى ﷺ وظاهره مع الناس يتكلم معهم بلا قصد ويأكل بلا قصد ويأتي بجميع ما يشاهد في ظاهره بلا قصد لأن العبرة بالقلب وهو مع غيرهم فإذا دام العبد على هذا الشأن مدة رزقه الله مشاهدة نبيه الكريم ورسوله العظيم في اليقظة ، ومدة الفكر تختلف فمنهم من تكون له شهراً، ومنهم من تكون له أقل ومنهم من تكون له أكثر.

ومشاهدة النبى ﷺ أمرها جسيم وخطبها عظيم فلولا أن الله تعالى يُقوّي العبد ما أطاقها ، ومع هذه السطوة العظيمة فإن في تلك المشاهدة الشريفة من اللذة ما لا يكيف ولا يحصى حتى أنها عند أهلها أفضل من دخول الجنة وذلك لأن من دخل الجنة لا يرزق جميع ما فيها من النعم بل كل واحد له نعيم خاص به بخلاف

مُشاهدة النبى ﷺ فإنه إذا حصلت له المشاهدة المذكورة سُقِيَت ذاته بجميع نعم أهل الجنة فيجد لذة كل لون وحلاوة كل نوع كما يجد أهل الجنة في الجنة وذلك قليل في حق من خلقت الجنة من نوره ﷺ.

فمن فاز من أمته برؤيته ﷺ في المنام لابد أن يراه في اليقظة ولو قُبَيْلَ الموت إن شاء الله تعالى، على أن جمهور العلماء الصلحاء من السلف والخلف اجتمعوا به ﷺ حقيقة يقظة وسألوه عن أشياء فأجابهم عنها فظهر الأمر كما قال ﷺ سواء بسواء وقد ثبت أن أرواح المؤمنين المأذونة تسرح وتمرح في الجنة والسموات وتأتى إلى أفنية قبورها لزيارة أجسادهم أحياناً وتدنو من سماء الدنيا تجاه قبورها وأن المؤمن يعرف زائره والمسَلِّمَ عليه ويرد عليه متى تمكن وأَذِنَ له ولم يكن مشغولاً عنه، وإن تلك المعرفة تزداد من عشية يوم الجمعة وتستمر الزيادة إلى صبيحة يوم السبت وإن الأولياء والأصفياء أَزْيَد حالاً من عامة المؤمنين في ذلك وإن العلماء العاملين والشهداء والصحابة والآل والقرابة أقوى منهم في ذلك، وإن الأنبياء يسيرون في الكون بأشباحهم وأرواحهم ويحجون ويعتمرون متى أذن الله لهم في ذلك كما كانوا أحياء وإن النبى ﷺ ملأ العوالم العلوية والسفلية لأنه أفضل عباد الله ، فإن قيل قد ورد في صحيح الأخبار أن الله وكل ملكاً بقبر النبى ﷺ يبلغه الصلاة والسلام من المصلى والمسلم عليه فلو كان موجوداً في كل مكان لما احتاج الأمر إلى الملك فالجواب إن القبر الشريف له مزية على باقي الأماكن بوجوده ﷺ فيه بصفة مخصوصة زيادة على وجوده في غيره من الأمكنة فهو بمنزلة كرسي المملكة ومحل الخدمة وقد جعل الله وظيفة أداء خدمة التبليغ لذلك الملك وعلي سبيل الاحترام والتوقير له ﷺ ومن هذا القبيل عرض الملائكة أعمال أمته عليه ﷺ بكرة وعشية فإن ذلك ليس لخفائها عليه بل لإقامة أداء الخدمة أيضاً ألا ترى أن الله عز وجل مع إحاطة علمه بالكليات الصادرة عن عباده نصب كراماً كاتبين وسفرة بررة حافظين إلى غير ذلك، وأما الاجتماع بحضرة النبى ﷺ يقظة في كل زمان ومكان لا يكون إلا لمن فاز من الله بخصوصيات المواهب وحاز في

الدين أسنى المناصب وأعلى المراتب وعمل عملاً يصلح أن يكون وسيلة إلى ذلك كما وقع للعارف بالله تعالى الشيخ نور الدين الشونى بسبب ملازمته للصلاة والسلام على النبى ﷺ بالغدو والآصال والعشي والإبكار وآناء الليل وأطراف النهار بحيث اتخذ ذلك ورداً وجعله حزباً وكان لا يُسَلِّك إلا بها لا بعذبة وسجادة ولا تلقين ، ومن الأدلة على ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النبى إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً** ﴾(الأحزاب: ٤٥) والمشاهد لابد أن يكون حاضراً للمشهود عليه وناظراً للمشهود إليه، فعلم أنه ﷺ مِلْء كل العوالم وحاضراً في كل مكان ، ومن الأدلة أن الأنبياء يسيرون في الكون فقد كان النبى ﷺ يطوف بالبيت حينا فسلم على شيء في الهواء فسئل عن ذلك فقال رأيت أخى عيسى ابن مريم يطوف بالبيت فسلم على وسلمت عليه.

وبالجملة والتفصيل فهو ﷺ موجود بين أظهرنا حسّاً ومعنى وجسماً وروحاً وسّراً وبرهاناً.

٤- ومن ثمرات محبته : رؤية النبى ﷺ يقظة ومناماً :

سئل ابن حجر في خاتمة الفتاوى الحديثية: هل يمكن رؤية النبى ﷺ في اليقظة فأجاب بقوله أنكر ذلك جماعة وجوّزه آخرون وهو الحق فقد أخبر بذلك من لا يُتهم من الصالحين بل استدل بحديث البخاري: ((**من رآني في المنام فسيرانى في اليقظة**)) آي بعيني رأسه وقيل بعينى قلبه، واحتمال أن المراد به يوم القيامة بعيد لأن الحديث الشريف جاء بلفظ اليقظة على أنه لا فائدة في التقييد حينئذ لأن أمته كلهم يرونه يوم القيامة سواء من رآه في المنام ومن لم يره في المنام. وأكثر ما يقع ذلك للعامة قبل الموت عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده وأما غيرهم فيحصل لهم ذلك قبل ذلك بقلة أو بكثرة بحسب تأهلهم وتعلقهم بالسنة إذ الإخلال بالسنة مانع كبير.

وعن أبي العربي أن أكثر ما تقع رؤيته ﷺ بالقلب ثم بالبصر لكنها به ليست كالرؤية المتعارفة وإنما هي جمعية حالية وحالة برزخية وأمر وجداني فلا يدرك

حقيقية إلا من باشره، ويحتمل أن المراد الرؤية المتعارفة بأن يرى ذاته في العالم أو تنكشف الحجب له بينه وبين النبى ﷺ وهو في قبره فينظره حيّاً فيه رؤية حقيقته إذ لا استحالة في ذلك لكن الغالب أن الرؤية إنما هي لمثاله لا لذاته ، وعليه يحمل قول الإمام الغزالي ليس المراد أنه يرى جسمه وبدنه بل مثالاً له صار ذلك آلة يتأدى به المعنى الذي في نفسه والآلة إما حقيقية وإما خيالية ، والنفس غير الخيال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفي ﷺ ولا هو شخصه بل هو مثال له على التحقيق.

ومن ذلك من يرى الله تعالى في المنام فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهى تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره ويكون ذلك المثال حقّاً في كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي رأيت الله في المنام لا يعنى أنه رأى ذات الله كما يقول في حق غيره. ولا يُمتنع رؤية ذات النبى ﷺ بروحه وجسده لأنه ﷺ وسائر الأنبياء ردت إليهم أرواحهم بعد ما قبضوا وأذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوى والسفلى ولا مانع من أن يراه كثيرون في وقت واحد لأنه كالشمس، وإذا كان القطب يملأ الكون فما بالك بالنبي ﷺ، ولا يلزم من ذلك أن الرائي صحابي لأن شرط الصحبة الرؤية في عالم الملك ، أما تلك فهي رؤيته وهو في عالم الملكوت وهي لا تفيد صحبة وإلا لثبتت لجميع أمته لأنهم عرضوا عليه في ذلك العالم فرآه ورأوه كما جاءت به الأحاديث.

وقال صدر الدين القونوى في شرحه لحديث المصطفي ﷺ: ((**من رآني في المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بي**)) قال: إن الرؤيا الصحيحة للنبي ﷺ هي أن يراه الرائي بصورة شبيهة بصورته الثابتة حليتها– أي وضعها– بالنقل الصحيح وإلي ذلك الإشارة في بعض الروايات: " من رآني في المنام فقد رآني " حتى أنه إن رآه أحد في صورة مخالفة لصورته التي كان عليها في الحس لم يكن رآه عليه الصلاة والسلام مثل أن يراه طويلاً أو قصيراً جداً أو يراه أشقر أو شيخاً أو شديد السمرة ونحو ذلك، وحصول الجزم في نفس الرائي أنه رأى النبى عليه الصلاة والسلام ليس بحجة بل ذلك المرئي هو صورة الشرع بالنسبة إلى اعتقاد الرائي أو حاله أو بالنسبة

إلى صفته أو حكم من أحكام الإسلام أو بالنسبة إلى الموضع الذي رأى فيه ذلك الرائي تلك الصورة التي ظن أنها صورة النبى ﷺ، فمن ثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الأنبياء والأولياء اجتمع بهم متى شاء يقظة ومناماً ولقد كان الشيخ الأكبر محيى ابن العربي رضى الله عنه متمكناً من الاجتماع بروح من شاء من الأنبياء والأولياء وسائر الماضين على ثلاثة أوجه: إن شاء استنزل روحانيته في هذا العلم وأدركه متجسداً في صورة مثالية شبيهة بصورته الحسية العنصرية التي كانت له في حياته الدنيوية لا يقل أو ينخرم منها شيء، وإن شاء أحضره في نومه، وإن شاء انسلخ من هيكله واجتمع به حيث تعينت مرتبة نفسه إذ ذاك من العالم العلوي وهذا الحال هو من آية صحة الإرث النبوى وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا** ﴾(الزخرف: ٤٥). فلو لم يكن النبى ﷺ متمكناً من الاجتماع بهم لم يكن لهذا الخطاب فائدة. وقال الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن العربي: رأيت جميع الرسل والأنبياء كلهم مشاهدة عين وكلمت منهم هوداً أخا عاد دون الجماعة ورأيت المؤمنين كلهم مشاهدة عين من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة أظهرهم الحق لى في صعيد واحد في زمانين مختلفين وصاحبت من الرسل إبراهيم الخليل وقرأت عليه القرآن وعيسى تبت على يديه، وموسى أعطاني علم الكشف والإيضاح وعلم تقلب الليل والنهار فلما حصل عندي زال الليل وبقي النهار في اليوم كله فلم تغرب لى شمس ولا طلعت فكان هذا الكشف لى إعلاناً من الله لاحظ لى في الشقاء في الآخرة ، وعاشرت من الرسل سيدنا محمدًا ﷺ وإبراهيم وموسى وعيسى وهود وداود وما بقي فرؤية لا صحبة. (والله أعلم).

وقال الشيخ جلال الدين السيوطى رضى الله عنه في كتابه " تنوير الحلَك " في إمكان رؤية النبى ﷺ قد كثر السؤال عن رؤية أرباب الأحوال للنبي ﷺ في اليقظة وإن طائفة من أهل العصر ممن لا قدم لهم في العلم بالغوا في إنكار ذلك وادعوا أنه مستحيل فألفت هذه الكراسة في ذلك ، ونبدأ بالحديث الصحيح الوارد في ذلك قال رسول الله ﷺ: ((**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل**

الشيطان بي)).

قال العلماء في قوله فسيراني في اليقظة فقيل معناه فسيرانى في يوم القيامة وتعقب بأنه لا فائدة في التخصيص لأن كل أمته سيرونه يوم القيامة من رآه منهم ومن لم يره وقيل المراد من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذ غائباً عنه فيكون مبشراً له لأنه لابد أن يراه في اليقظة قبل موته، وقال قوم هو على ظاهره فمن رآه في النوم فلابد أن يراه في اليقظة بعينى رأسه وقيل بعين قلبه ، وقد رأى النبى ﷺ ليلة المعراج، جماعة من الأنبياء، وأخبر، وخبره صدق، وأن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه وأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.

فقد روي عن النبى ﷺ أنه ليلة الإسراء رأى أخاه موسي يصلي في قبره ، وجاء إلى بيت المقدس فرآه أيضاً، وصلى موسى خلفه أسوة بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً ، ثم فارقه وصعد إلى السماء الرابعة فوجده فيها، وكذلك آدم وعيسى ويحيى ويوسف وإدريس وهارون وإبراهيم صلى بهم في بيت المقدس ووجدهم في السموات وهم جميعاً دونه في الفضل فهو أولى منهم بكونه موجوداً في كل مكان ومقيماً في قبره ﷺ، فقد ترقي ليلة الإسراء إلى ما لا وصول إليه لملك مقرب ولا نبي مرسل. ومن الأدلة النقلية على ذلك ما رواه البخاري وغيره من أن الملكين يقولان للمقبور ما تقول في هذا الرجل – وهذا اسم إشارة للقريب – أى للنبي ﷺ واسم الإشارة لا يشار به إلا للحاضر ، ولما كان ﷺ روح العوالم العلوية والسفلية وجب ألا يخلو جزء منها من جسده الشريف وروحه الزكية.

حكى السيوطى وغيره عن كثير من الأولياء أنهم كانوا يجتمعون به ﷺ يقظة ومناما فالحجاب من قبلنا بسبب مساوئنا لا من قِبَله ﷺ، ولهذا تجد العبد متى فارق نفسه ولو بالنوم وأغمض عينيه يراه ﷺ إذا شاء الله له ذلك، ومتى قتل العبد نفسه بقمعها وأماتها بردعها لم يبق بينه وبينه ﷺ حجاب لا مناماً ولا يقظة.

ومن البراهين على ذلك أن الأبدال من هذه الأمة إنما سمي الواحد منهم بدلاً لأنه يسافر ويترك مكانه بدلاً عنه على صورته وقد اتفق للعارف بالله تعالى

قضيب البان رضى الله عنه أنه أُدّعي عليه بترك الصلاة فسأله القاضي ماذا تقول فانقسم منه سبع صور كل منها لا يشك شاك أنه قضيب البان فقالت صورة من تلك الصور للقاضي والمدعين انظروا على أي صورة تدّعون بترك الصلاة. وقد نقل الخاني في كتابه الحدائق الوردية أن الإمام الرباني مجدد الألف الثاني أحمد الفاروقي النقشبندى دعاه للإفطار في شهر رمضان عشرة من مريديه فأجابهم جميعاً. فلما كان وقت الغروب حضر عند كل واحد من العشرة في آن واحد وأفطر عندهم كلهم. فإذا كان هذا لكل واحد من الأبدال أفلا يظهر لرسول الله ﷺ ألف ألف مثال.

ومن البراهين العقلية على جواز ذلك أنه يجوز أن يجعل الله تعالى العوالم العلوية والسفلية بين يدي رسول الله ﷺ كجعله الدنيا بين يدي عزرائيل فقد سئل كيف تقبض روح رجلين حضر أجلهما معاً أحدهما في أقصى المشرق والآخر في أقصى المغرب فقال إن الله جعل الدنيا بين يدي كالقصعة بين يدي الآكل أتناول منها ما شئت ، ومن البراهين على ذلك أيضاً أن أمر البرزخ لا يقاس على غيره ألا ترى للملكي السؤال مع تناهي عظمهما من أضيق اللحود ومن أين يأتيان ومن أين يذهبان وكيف يسألان ميتين أو أموات في وقت واحد ، منهم من هو في أقصى المشرق ومنهم من هو في أقصى المغرب، وكيف يخرق بإصبعه في جانب اللحد طاقة تنفذ إلى الجنة وطاقة إلى النار مع أن الجنة عند سدرة المنتهي ، ومن ثم فلا مانع من أن يعطي الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ مثل الذي أعطاه للملكي السؤال وملك الموت وفوق ذلك إذ هما دون النبى لأنهما إنما يسألان عنه وقد تحصّل من هذه المقالات والأجوبة والأسئلة أنه ﷺ بجسده الشريف وروحه الزكية لا يخلو منه ﷺ زمان ولا مكان ولا عصر ولا أوان. (والله تعالى أعلى وأعلم).

الباب السادس عشر

وصف حلية رسول الله ﷺ

أجمع الحكماء على أن رسول الله ﷺ كان أكمل خلق الله صورة وأعدلهم نشأة لأنه هو الوجود الأول الذي هو في غاية الاعتدال كمالاً وجمالاً وسناءً، ولهذا كان كل من قارب هذه الخلقة الشريفة في الاعتدال كان أكمل من غيره بقدر ما أوجد الله فيه من الصفات المعتدلة الخلقة الدالة على شرف الذات صورة ومعنى.

ونورد فيما يلي وصفاً لحلية رسول الله ﷺ:

حسن وجهه ﷺ:

أما وجهه الشريف فصح عن البراء رضى الله عنه أنه ﷺ كان أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً، وعن أبي هريرة رضى الله عنه: ما رأيت شيئاً أحسن منه ﷺ كأن الشمس تجرى في وجهه ﷺ، وعن البراء رضى الله عنه أنه قيل له أكان وجه رسول الله ﷺ كالسيف؟ قال لا بل كالقمر أي لم يكن كالسيف في الطول ولا في اللمعان بل كالقمر في التدوير وفوق لمعان السيف.

وصح عن جابر بن سمرة رضى الله عنه لم يكن كالسيف بل كالشمس والقمر وكان مستديراً فنبه بهذا أنه جمع بين الحسن والإشراق والملاحة والاستدارة وجاء عن على رضى الله تعالى عنه لم يكن بالمكلثم أي شديد استدارة الوجه بل فيه تدوير قليل وهو أحلى عند العرب وهو معنى قول أبي هريرة كان أسيل الخدين أي فيهما طول وسلامة من ارتفاع الوجه ومده وتشبيه غير واحد لوجهه ﷺ بشقة القمر أي عند التفاته وقيل احترازاً عما في القمر من السواد ويرده تشبيه أبي بكر رضى الله تعالى عنه وغيره له بدارة القمر.

وفي النهاية أنه ﷺ كان إذا سر صار وجهه كالمرآة فيرى خيال الجدر فيه وفي رواية يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وإنما كان الأكثر تشبيهه بالقمر دون الشمس لأن من شاهده ينظره كمال النظر ويستأنس به ولا يتأذى منه بخلاف

الشمس في الكل ولذا كان من أسمائه ﷺ البدر ومن ثم قال الخارجون لملاقاته حين مرجعه من تبوك:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ثم هذه التشبيهات جرت على عادة العرب وإلا فلا محدث يعادل صفاته ﷺ الخَلقية والخُلقية.

حدة بصر النبي ﷺ:

وأما بصره ﷺ فيكفيك فيه ﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى** ﴾(النجم: ١٧). وصح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء. وصح أنه كان في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه – أي رؤية إدراك كهي بالبصر– إذ الرؤية الواقعة على وجه الكرامة لا تتوقف عليه ولا على شعاع ولا على مقابلة عند أهل السنة. وما قيل كان له عينان بين كتفيه كسم الخياط يرى بهما ولا يحجبهما الثياب لم يثبت ما يدل عليه والأصل عدمه كما زعم أن صورهم كانت تنطبع في قلبه أو أنها رؤية قلب أو أن المراد بها العلم بوحي أو إلهام.

وحديث ((**إني لا أعلم ما وراء جداري**)) لم يعرف له سند وإنما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بلا إسناد وبفرض وروده فهذا غير ما نحن فيه لأن المنفي علم الغيب بما وراء الجدار حيث لم يعلم به بوحي أو إلهام ومن ثم قال لما ضلت ناقته وقال بعض المنافقين هو يزعم علم الغيب والله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا احتبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما أخبر ﷺ، وبفرض التعارض فما مر في حالة الصلاة وهذا خارجها. وجاء أنه كان إذا التفت التفت جميعاً أي لا يسارق النظر ولا يلوى عنقه يمنة ولا يسرة كالطائش الخفيف وأن جلّ نظره النظر بلحاظه ﷺ وهو جانب العين الذي يلي الصدغ وأنه ﷺ عظيم العينين. أهدب الأشفار مشرب العينين بحمرة وروى مسلم أشكل العينين

والشكلة الحمرة في بياض العين وهي محمودة والشهلة حمرة في سوادها وفي رواية أدعج العينين أي شديد سوادهما أهدب الأشفار أي طويلهما.

سمع رسول الله ﷺ:

وأما سمعه ﷺ فحسبك فيه خبر الترمذي ((**إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى**)). وفي رواية لأبي نعيم (أو قائم).

شعر رسول الله ﷺ:

وأما شعره ﷺ فصح أنه كان بين شعرين لا رَجل أي بفتح فكسر وهو ما يتكسر قليلاً – ولا سبط ولا مجعد قِطط وكان بين أذنيه وعانقه وأنه رَجل ليس بالسبط ولا الجعد ولا تخالف لأنه فيه رجولة قليلة فالأولى لنفي كثيرها.

وأنه إلى شحمة أذنيه وأنه إلى أسفلها وأنه إلى الكتفين ولا تخالف أيضاً لأنه ربما ترك تقصيره فيطول وربما تداركه فيقصر وكان إذا انفرق انفرق بنفسه وإلا تركه معقوصاً ولعل هذا كان أولاً وإلا فالذي صح أنه كان ﷺ يسدله – أي يرسله – ثم فرق ثم رأيت أن العلماء قالوا إن الفرق سنة لأنه الذي رجع إليه ﷺ.

وكان في عنفقته ﷺ وصدغيه شعرات بيض دون العشرين وإنما لم يكثر فيه مع أنه نور ووقار لرواية (ما شانه الله بالشيب) أي لأن النساء يكرهنه غالباً ومن كره منه ﷺ شيئاً فقد خاب وكفر.

واختلفت الروايات في تغييره ﷺ لشيبه بنحو الحناء ولا مخالفة لأنه ﷺ فعله كثيراً وتركه أكثر ومن ثم كان سنة عندنا وصح أنه ﷺ كان كثير شعر اللحية الكريمة وجاء أنه ﷺ كان يكثر دهن شعر رأسه وتسريح لحيته وكان أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر ولم يرد فيه أنه ﷺ حلق رأسه في غير حج أو عمرة ، ورواية أنه كان يأخذ من عرض لحيته وطولها غريبة بخلاف رواية (واعفوا اللحى) فمن ثم أخذ بها أئمتنا رضى الله عنهم.

وورد أنه ﷺ كان ينظر في المرآة إذا سرح لحيته ، وأنه ﷺ كانت له

مكحلة يكتحل منها بالإثمد في كل عين ثلاثة قبل النوم.

جبين رسول الله ﷺ :

وأما جبينه ﷺ وحاجباه وأنفه ورأسه فقد جاء أنه واضح الجبين مقرون الحاجبين- أي شعرهما متصل- وأنه غير متصلهما ورجحه ابن الأثير وقد يجمع بأنهما كانا كثيرى الشعر كما في رواية (سابغين) كما في الآخرى (دقيقين) كما في أخرى فهما مع كثرة شعرهما فيهما سبوغ إلى آخر العين ودقة في طرفيهما فلكثرة شعرهما يريان من بعيد كأنهما متصلان وليس في الحقيقة كذلك.

وصح أنه ضخم الرأس ضخم الكراديس- أي رؤوس العظام- وجاء أنه ﷺ أقنى الأنف- أي طويله مع دقة أرنبته وحدب في وسطه - وعبر بعضهم بأنه سائل مرتفع وسطه وأنه ﷺ دقيق العرنين- أي أعلي الأنف- وإن من لم يتأمله يحسبه أنه أشم- أي طويل قصبة الأنف.

وصف فمه ﷺ :

أما فمه ﷺ فقد صح أنه واسعه، يفتح الكلام ويختتمه بأشداقه- أي لسعة فمه- والعرب تمدحه وتذم ضده ، وأنه إذا تكلم رؤى كالنور يخرج من ثناياه، وأنه ﷺ مفلج الأسنان أي متفرقها- وفي رواية أنه مفلج الثنيتين- أي أكثر من البقية.

ريق رسول الله ﷺ :

أما ريقه ﷺ فقد صح أنه يوم خيبر تفل في عين على كرم الله وجهه ورضي الله عنه - وكان به رمد- فبرئ منه لوقته ، وأعطاه الراية ففتح الله على يديه. وجاء أنه ﷺ مج في بئر ففاح منه رائحة المسك وأنه ﷺ بزق في أخرى فلم يكن في المدينة أطيب ماء منها ، وأنه ﷺ كان في يوم عاشوراء يبصق في فم رضعائه ورضعاء فاطمة وينهي عن رضاعهم فيجزئهم ريقه إلى الليل. وأنه ﷺ مضغ قطعة لحم وأعطاها لخمس نسوة فمضغنها كل فمتن ولم يوجد لأفواههن ريح خلوف وكان في أفواههن نتن.

فصاحة لسان رسول الله ﷺ :

وأما فصاحة لسانه ﷺ وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه ، فأمر أظهر من أن يذكر وأشهر من أن ينشر ، كيف وقد ارتقى في كل ذلك الغاية التي لم يدركها مخلوق؟ حتى قال بعض ألعلماء إن كلامه معجز كالقرآن.

صوت رسول الله ﷺ :

وأما صوته ﷺ فروى ابن عساكر خبر (ما بعث الله نبيّاً قط إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم ﷺ فبعثه حسن الوجه حسن الصوت) والبيهقي خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في خدورهن وأبو نعيم أنه ﷺ قال للناس يوم الجمعة على المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني تميم فجلس في مكانه، وابن سعد أنه ﷺ خطب بمنى ففتح الله أسماعهم فسمعوه وهم بمنازلهم.

ضحك رسول الله ﷺ :

وأما ضحكه ﷺ فهو أنه سيد للعالمين الأولين والآخرين كما مر مبسوطاً أول الكتاب (ضحكه) أي الذي يظهر به سروره هو (التبسم) كما رواه البخاري عن عائشة رضى الله عنها ما رأيته مستجمعاً قط ضاحكاً – أي مقبلاً على الضحك بكليته– إنما كان يبستم، ولا ينافيه خبر البخاري أيضاً في المواقع أهله في رمضان فضحك حتى بدت نواجذه – وهي بالجيم ، والذال المعجمة الأضراس– وهي لا تكاد تظهر إلا عند المبالغة في الضحك، لأن عائشة رضى الله عنها إنما نفت رؤيتها وذلك لا ينافي وقوع غير التبسم منه.

نعم الذي دل عليه مجموع الأحاديث أن أكثر أوقاته ﷺ هو التبسم، وربما ضحك والمكروه إنما هو الإكثار والإفراط من الضحك، سواء كان معه قهقهة أم لا.

ومن ثم روى البخاري في أدبه وابن ماجه النهي عن كثرته وأنه يميت القلب والفرق أن التبسيم مبادىء الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور مع صوت خفي ، فإن كان فيه يسمع من بعيد فهو القهقهة.

بكاء رسول الله ﷺ:

وأما بكاؤه ﷺ فكان من جنس ضحكه ، لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه حتي تهملان ، ويسمع لصدره أزيز – أي غليان – يبكي رحمة للميت وخوفاً على أمته ، وشفقة من خشية الله تعالى ، وعند سماع القرآن وأحياناً في صلاة الليل وجاء أنه ﷺ حُفظ من التثاؤب بل جاء أن كل نبي كذلك.

وصف يده ﷺ:

وأما يده ﷺ فقد وصفه غير واحد كما في عدة طرق بأنه شثن الكفين – أي غليظ أصابعهما– وبأنه عَبلُ الذراعين رحب الكفين. ووصف أيضاً بأن يده ﷺ ألين من الحرير والديباج ، وأبرد من الثلج ، وأطيب ريحاً من المسك ولا ينافي هذا اللين ما مر آنفاً لأنه جمع له مع لين الجلد غلظ العظام وقوتها وتفسير الأصمعي الشثن بغلظ في خشونة مردود بل نقل ابن خالويه عنه أنه قيل له ورد في صفته ﷺ أنه لين الكفين فأقسم أن لا يفسر شيئاً في الحديث وبتسليمه فهو ﷺ كان ربما حصلت له خشونة في كفيه من جهاد أو عمل في مهنة أهله. وتفسير أبي عبيد له بغلظ الأصابع مع قصرها يرده ما جاء أنه كان سائل الأطراف ، فالتحقيق أن الشثن الغلظ من غير خشونة ولا قصر.

روى الحاكم وغيره أنه ﷺ مسح بيده الشريفة الدم عن وجهه– أي الراوي من الصحابة– وصدره من جرح في وجهه، فكان أثر يده الشريفة غرة سائلة كغرة الفرس. وصح أنه ﷺ مسح رأس لحية أبي زيد الأنصاري ثم قال: (اللهم جمله) فبلغ بضعاً ومائة سنة وما في لحيته بياض ولا في وجهه انقباض. وروى أحمد وغيره أنه مسح رأس عتبة بيده وقال بورك فيك فكان يمسح بمحل يده ﷺ الورم فيذهب.

وصف إبطيه ﷺ:

وأما إبطاه ﷺ فكانا أبيضين كما جاء عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، لكن تعارض الرواية الصحيحة كنت أنظر إلى عفرة إبطيه– والعفرة بياض ليس بالناصع– وقد يجمع بحمل البياض في الأول على البياض غير الناصع.

وذكر بعضهم أنه لا شعر بإبطيه، ورد بأنه لم يثبت بوجه وكان يسيل منهما مثل ريح المسك وكانت له مسربة- وهي خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة- بل في رواية له شعرات من لبته إلى سرته تجرى كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيره.

وصف بطن وظهر رسول الله ﷺ :

وأما بطنه وظهره ﷺ فجاء أنه مفاض البطن- أي واسعه- وقيل مستوى الظهر مع الصدر وإن بطنه ﷺ كالقراطيس المثنى بعضها على بعض، وأنه بعيد ما بين المنكبين- أي عريض الصدر.

قلب رسول الله ﷺ :

أما قلبه ﷺ فهو أول قلب أودع الأسرار الإلهية والمعارف الربانية ، لأنه أول الخلق كما مر، وصورته ﷺ آخر صور الأنبياء ﷺ وعليهم أجمعين فهو أولهم وآخرهم في حيازة أعلى الكمالات الخَلْقية والخُلُقية وما ينبئك بأن قلبه أودع ما لم يودعه غيره. هو تكرر شقه وملؤه إيماناً وحكمة وإخراج حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطاً في مبحث رضاعه ﷺ ومحاسنه الظاهرة التي هي أعلام على الأخلاق الباطنة فكما أن تلك لم يساوه فيها مخلوق فكذلك هذه.

وأما جماعه ﷺ :

فقد صح عن أنس كنا نتحدث أنه ﷺ أعطى قوة ثلاثين رجلاً في الجماع وروى الإسماعيلى أنه أعطي قوة أربعين رجلاً زاد أبو نعيم عن مجاهد كلهم من رجل أهل الجنة والرجل في الجنة يعطى قوة مائة كما صححه الترمذي. وقال غريب وأربعون في مائة بأربعة آلاف ومع ذلك كان ﷺ على جانب عظيم من تقليل الغذاء ليخرق الله له العادة في الأمرين.

ولم يحتلم قط وكذا الأنبياء لأنه من الشيطان، لكن ظاهر قول عائشة رضى الله عنها يصبح صائماً جنباً من جماع غير احتلام أنه يحتلم، وبتسليمه فالأول محمول على ما إذا كان عن رؤية وقاع لأن هذا هو الذي من الشيطان بخلاف مجرد نزول المنى في النوم.

وصف قدم رسول الله ﷺ :

وأما قدمه ﷺ فجاء عن غير واحد أنه شثن القدمين- أي غليظ أصابعهما- وكانت سبابة قدميه أطول من بقية أصابعهما ومن روى ذلك في اليد فقط غلط كما بينه غير واحد وكانت خنصرهما متظاهرة، وكانا لا أخمص لهما- أي ليس في باطنهما كبير انخفاض بحيث يطأ به كله- فهو معتدل الخمص- ومعنى رواية مسح القدمين أن فيهما مع ذلك ليناً وملاسة دون تكسر وتشقق.

وصف قامة رسول الله ﷺ :

وأما طوله ﷺ فكان ربعة لكنه إلى الطول أقرب كما جاءت به الأحاديث الكثيرة وفي حديث ما يفيد أن هذا إن مشي وحده أو مع قصير وإلا طال على من ماشاه وهو ﷺ ينسب إلى الطول بل لو اكتنفه طويلان طالهما فإذا فارقاه نسب إلى الربعة.

وصف مشيته ﷺ :

وأما مشيته ﷺ فقد صح عن على كرم الله وجهه أنه كان إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب. وفي رواية عنه كان إذا مشى تقلع والتقلع والانحدار من الصبب قريب أراد به أنه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه الحالة استعجال ومبادرة بالمشي وهذا هو مراد ألفاظهم بقوله (والمشي) الكائن منه (الهوين) تصغير الهون وهو السكينة والوقار للتعظيم.

وقد مدح الله من يمشون كذلك فقال عز قائلاً: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً**﴾(الفرقان: ٦٣). لا ينافي ذلك رواية الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه" ما رأيت أسرع من مشية رسول الله ﷺ كأن الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث " لأن عجزهم عن لحوقه ليس لأنه كان يجهد نفسه في المشي كما يدل عليه قوله غير مكترث بل لأنه كان يبارك له في مشيه كما يدل عليه قوله كأن الأرض تطوى له فهو مع هون مشيته لا يُلحق، ومعنى رواية ذريع المشي- أي واسع الخطوة.

وقال ابن القيم في رواية كان إذا مشي تقلع – والتقلع الارتفاع من الأرض بجملته – كحال المنحط في الصبب وهي مشية أولي العزم والهمة ، وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضاء ، فكثير من الناس من يمشى دفعة واحدة كأنه خشبة محمولة فهي مذمومة ، كالمشي بالانزعاج كالجمل الأهوج وهذه تدل على قلة عقل صاحبها لاسيما إذا أكثر فيها الالتفات ، وكان ﷺ إذا مشي مع أصحابه قدمهم أمامة وقال خلو ظهري للملائكة وكان إذا مشى في قمر أو شمس لا يظهر له ظل. وسره قوله ﷺ في دعائه: واجعلني نوراً.

لون بشرة رسول الله ﷺ:

وأما لونه ﷺ فقد وصفه جمهور أصحابه بالبياض كما صح عنهم من طرق متعددة ولا ينافيه رواية مشرب بحمرة لأنه مع ذلك يسمى أبيض وذهب بعض المالكية إلى أن من زعم أنه ﷺ كان أسود كفر، وفي رواية يقتل، أي لأن السواد يشعر بالنقص.

طيب عرقه ﷺ:

وأما طيب ريحه ﷺ وعرقه وفضلاته فكان في ذلك الغاية العليا، وإن لم يمس طيباً كما صح عن أنس وغيره، وروى أبو يعلى والطبراني أن رجلاً استعان به ﷺ في تجهيز ابنته فاستدعى ﷺ بقارورة وسلت فيها من عرقه وقال مرها فلتتطيب به فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين، وروى أنه ﷺ كان إذا مر بطريق فمر الناس به فوجدوا رائحته وعرفوا بذلك أنه مر منه.

وجاء من وجه غريب أن ما كان يخرج منه ﷺ تبتلعه الأرض، وأيده الحافظ عبد الغني بأن أحداً من الصحابة لم يذكر أنه رآه بخلاف البول فإنهم كانوا يستشفون به كدمه ﷺ ومن ثم اختار جماعة من أئمتنا رضى الله عنهم طهارة جميع فضلاته ﷺ.

وصف نوم رسول الله ﷺ

ونومه ﷺ (الإغفاء) أي أخف النوم بحيث لا يستغرق، لأن الاستغراق إنما

يتولد عن نوم القلب وغفلته المتولدين عن الشبع المفرط، وهو ﷺ كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان تنام عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه ﷺ، ومن ثم لم ينتقض وضوؤه بالنوم. وسر ذلك كمال حياة قلبه ﷺ ويقظته ودوام شهوده لربه عز وجل، ومن ثم كان ﷺ إذا نام لا يوقظ لأنه لا يُدْرَى ما هو فيه.

ولا ينافيه نومه ﷺ بالوادي عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لأن رؤيتها من وظيفة العين، والقلب إنما يدرك نحو الحدث والألم مما يتعلق به دون العين فهي نائمة والقلب يقظان وكأنه إنما لم يدرك مرور الوقت الطويل فإنه ﷺ نام قبل الفجر إلى أن حميت الشمس لأنه ﷺ كان مستغرقاً في شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه، وإنما لم ينبه على ذلك ليقع التشريع بتلك الأحكام الكثيرة جداً التي استفيدت من تلك الواقعة كسهوه ﷺ في الصلاة.

خُلق رسول الله ﷺ:

وإذ قد انتهى الكلام على شيء من محاسن ذاته ﷺ التي لم يخلق الله تعالى ذاتاً أشرف منها فلنذكر شيئاً مما يتعلق بمحاسن أخلاقه وصفاته التي لم يخلق الله تعالى أشرف منها أيضاً فنقول:

يكفيه مدح الله خُلقه ﷺ:

ولما اجتمع فيه ﷺ من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد ولا يحيط به عد ، أثنى الله تعالى عليه في كتابه العزيز فقال عز من قائل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم: ٤). فوصفه بالعظم وزاد في المدحة بإتيانه بعلى المشعرة بأنه ﷺ استعلى على معالي الأخلاق واستولى عليها فلم يصل إليها مخلوق غيره ووصف بالعظم دون الكرم الغالب في وصفه به لأن كرمه يراد به السماحة والدماثة وخلقه ﷺ غير مقصور على ذلك بل كان عنده غاية الرحمة للمؤمنين كما كان عنده غاية الغلظة والشدة على غيرهم فاعتدل فيه الإنعام والانتقام ولم تكن له همة سوى الله تعالى فعاشر بخلقه وباينهم بقلبه.

كان خلقه القرآن:

ومن ثم ورد بسند فيه ضعف أن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال وفي رواية الموطأ بلاغاً ((**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)) فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه ﷺ. ومن ثَمَّ قالت عائشة رضى الله عنها: " كان خلقه القرآن ". قال السهروردى رحمه الله تعالى ونفع به في عوارفه في قولها ذلك رمز غامض وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الإلهية أن تقول كان متخلقاً بأخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وستراً للحال بلطيف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها انتهى.

وقال بعض العارفين لما كان خلقه ﷺ أعظم خلق بعثه الله تعالى إلى جميع العالمين وعُلِم من كلام عائشة رضى الله عنها أن كمالات خلقه ﷺ لا تتناهى كما أن معاني القرآن لا تتناهى ، وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر. ثم ما انطوى عليه ﷺ من كريم الأخلاق لم يكن باكتساب ورياضة وإنما كان في أصل خلقته بالجود الإلهي والإمداد الرحماني الذي لم تزل تشرق أنواره في قلبه إلى أن وصل لأعظم غاية وأنهى نهاية.

كمال عقله ﷺ:

واعلم أن كمال الخلق إنما ينشأ عن كمال العقل لأنه الذي به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل، والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الإنسان ولكن جوهره البصيرة، والحديث المشهور أول ما خلق الله العقل قال له أقبل... إلخ موضوع.

وعقل نبينا ﷺ في الكمال إلى غاية لم يصل إليها ذو عقل، ومن ثَمَّ روى أبو نعيم وابن عساكر عن وهب أنه وجد في إحدى وتسعين كتاباً أن الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال جميع الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته ﷺ للعرب، الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة والمتباعدة، حتى قاتلوا دونه أهاليهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأحبابهم.

أفعاله ﷺ :

وأما أفعاله ﷺ المرْضية وأحواله الزكية ، فقد امتلأت الصحف بها وشهدت الأكوان بحسنها وكمالها وناهيك من أن أعمال كل العالم الجميلة في ميزانه فإنه الذي أسس طرق الهداية ، وأخرج الخلق من ظلام الشرك إلى نور الإيمان ، وبين لنا الحلال والحرام ، والصلاة والصيام ، وكل خير يوجد بين الأنام ، وأن من سن حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، فله ﷺ أجر جميع الخلق بل الكل في ميزانه ، بل الكل قطرة من بحر نوره لأنه الأصل وهم الفرع ، ويكفى هذا القدر من ذكر جميع أفعاله ومليح أقواله وأحواله التي هي أظهر من الشمس في رابعة النهار ، ويكفيك ما ورد في ورم أقدامه لطول قيامه على أنه مغفور له ، ومن شدّ الحجارة على بطنه ومن شدة الجوع. وقد أوتي مفاتيح خزائن الأرض ، قال له جبريل أمرت أن أجعل لك جبال الأرض ذهباً فأبى واختار الفقر. وصفاته الظاهرة لا تخفى على العباد.

أقواله الفصيحة :

وأما أقواله الفصيحة عن محاسن أحواله فلا تحتاج إلى تطويل حيث قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (الحاقة: ٤٠). قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾(النجم: ٣، ٤). فانظر إلى أي كلمة شئت من حديثه تجد فيها مجامع المحاسن من كل جهة وبكل حقيقة، إذ هداية الخلق مقرونة بأقواله فلم يدع خيراً إلا وقد نبه عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين لأنه قد أحاط بالتنبيه على كل دقيقة وحقيقة، وأضاء بنوره كل طريقة فلم يحتج الكون إلى رشد سواه، فكان خاتم النبيين لأنه أولهم، إذ كان نبيّاً وآدم بين الروح والجسد ﷺ وشرف وكرم آمين.

أما منطق رسول الله ﷺ :

فعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً فقلت لى صف لى منطق رسول الله ﷺ:

قال: "كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحة، طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم منها شيئاً، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء، حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها، فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام" رواه الطبراني والبيهقي.

وهذا حديث جامع في صفة حلية الرسول ﷺ وكمال نشأته الطاهرة الكاملة، وأن كل حلية منها دالة على معنى الكمال فهو أكمل خلق الله صورة وأعدلهم نشأة ﷺ.

* * *

الباب السابع عشر

سبل الاجتماع برسول الله ﷺ

لقد أوردت لك حلية الخلقة الشريفة للمصطفى ﷺ لتتصورها بين عينيك وتلحظها في كل ساعة حتى تصير ممثلة لك لتكون حينئذ في درجة المشاهدين له ﷺ فتفوز بالسعادة الكبرى وتلحق بالصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، فإن لم تستطع ذلك فلا أقل من أن تستحضر هذه الصورة الشريفة بمالها من الكمال عند الصلاة عليه ﷺ.

وعليك أن تعلم أيضاً أن قابليته ﷺ تتميز كلية عن قابلية كل موجود سواه، ذلك أن الفيض الإلهي إنما يكون على قدر القوابل فالشمس تظهر في المرآة بشعاعها حتى لا يكاد الشخص أن يستطيع النظر إلى المرآة وتظهر في بقية الجمادات بغير هذا المظهر ، وكذلك إذا نظرت في المرآة المعتدلة الهيئة ظهر وجهك فيها على ما هو عليه، وإذا نظرت في مرآة مستطيلة ظهر وجهك فيها طويلاً وفي العريضة عريضا وفي الصغيرة صغيراً وفي الكبيرة كبيرا ، فعلم بذلك أن الفيض على قدر القابلية لأن الله تعالى حكيم لا يضع الأشياء إلا في موضعها ، فظهر تجلى أسماء وصفات الحق في المخلوقات على قدر قوابلهم، بل ظهوره في أسمائه وصفاته على حسب ما تفيضه قوابلها ، إذ ليس ظهوره في اسمه المنعم كظهوره في اسمه المنتقم، وليس ظهوره في النعمة كظهوره في النقمة ، فالظاهر واحد والظهور مختلف لاختلاف المظاهر ، وقد علمت — كما سبق القول — أن ظهور تجليات الحق في المظاهر بقدر القوابل وزن قوابل الأشياء تتعلق بمحاتدها التي ظهرت منها ، فالنعمة مخلوقة والنقمة مخلوقة فهما مظهران مخلوقان فمحتد النعمة اسم المنعم، ومحتد النقمة اسم المنتقم وهما اسمان إلهيان فهما مظهران قديمان لأن صفات الله تعالى قائمة بذاته لأن كل شيء في العالم إنما هو أثر أسمائه وصفاته، فكل فرد من أفراد العالم له محتد من أسماء الله تعالى وصفاته، وأعلى هذه المحاتد هي الحقيقة المحمدية ، لهذا نسخ دينه سائر الأديان وبقيت نبوة الأنبياء على حالها ، وما انتسخ إلا

أديانهم، فنسبة القابلية للحقيقة كنسبة البحر ونسبة قوابل الأنبياء والأولياء كالجداول والأنهار ونسبة بقية العوالم كالقطرات من ذلك البحر، وسبب ذلك أن الحقيقة المحمدية هي مجموع العوالم لأن نور النبى ﷺ هو العقل الأول كما سبق القول، وقد علمت أن العالم كله مخلوق من نوره ﷺ، فقابليته أصل لقوابل سائر الموجودات، فهو المستفيض الأول والمفيض الثاني، لأن الفيض الأقدسي الذاتي متوجه إليه بالتوجه الأول ومنه يتوجه إلى بقية المخلوقات بقدر قوابلهم.

ولما كانت قابليته ﷺ كلية وقابلية سائر الأكوان من المرسلين والنبيين والملائكة المقربين وسائر الأولياء والصديقين، وغيرهم من المؤمنين الصالحين، وسائر الأكوان، جزئية، كانت قاصرة بالطبع عن درك شأوه المنيع- أي غايته- عاجزة عن اللحوق بشأنه الرفيع، ولما علمت ذلك الأنبياء والأولياء وضعت الرءوس خضوعاً على باب عزه العالي، وحطت رقابها على أرض الذلة لمجده الشامخ السامي، وذلك معنى أخذ الله تعالى على الأنبياء العهد لتؤمنن به ولتنصرنه قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١). ثم إن جميع الأولياء المقربين مع علو شأنهم إنما يترقون ويعرجون بالاستمساك بحبل عروته الوثقى ﷺ ولهذا قال الجنيد رضى الله عنه أنسد كل باب إلى الله تعالى إلا باب محمد ﷺ فلا طريق إلى الله تعالى إلا من باب الرسول يعني ليس لأحد طريق إلا أن يمشي خلفه ويكون تابعا له ظاهرا وباطنا حتى يصل إلى الله تعالى وإلا فلا يصل، ولولا ذلك لادعت الأولياء النبوة فإن الأولياء من أمة محمد ﷺ نالوا ما نالته الأنبياء في الباطن من الله تعالى ولم ينالوا النبوة لانقطاعها بمحمد ﷺ والحكمة في ذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما نالوا ما نالوا من النبوة وشرَّعوا ما شرَّعوه من الأديان بإذن الله تعالى لعلمه سبحانه وتعالى بأن أديانهم تُنسخ بظهور الدين المحمدي لأنه ﷺ بعدهم ظهورا، والأولياء ظهروا بعد محمد ﷺ فلو حصلت النبوة لأحد منهم

لكان كالناسخ للدين المحمدي وذلك محال فلا سبيل إليه لأن الجزء لا يظهر على الكل بل الظهور للكل على الجزء فدين محمد ﷺ كلي ولهذا كان مبعوثا إلى كافة الخلائق بخلاف غيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأنهم إنما بعثهم الله تعالى إلى أقوام مخصوصة لأن دينهم جزئي ودين كل منوط بمحتده كلي بكلي وجزئي بجزئي، فقوة محمد ﷺ بقوة العالم كله ، فمن وفق الله تعالى له أن يلحق ببحر الحقيقة المحمدية فاز بالسعادة الأبدية الكبرى وحق له أن يقول ما قاله الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه: ما رفع النبى ﷺ قدما إلا وضعت قدمي موضع قدمه إلا قدم النبوة العظمى والمكانة الزلفى والوسيلة الكبرى فإنه مخصوص بها ﷺ.

أما عن كيفية التعلق بجنابه ﷺ والعكوف على بابه فاعلم وفقنا الله وإياك أن الله تعالى لما أحبه جعله شفيعاً لخلقه إليه يوم القيامة، وليس لأحد من الخلق عموم الشفاعة سواه ، وسر ذلك أن الأنبياء لم يبعثوا إلى كافة الخلق وإنما الذي بعث إلى كافة الخلق هو سيدنا محمد ﷺ فهو مقدمهم وراعيهم وكل راع مسئول عن رعيته فأوجب الله تعالى عليه الشفاعة لهم والقيام بمصالحهم دنيا وآخرة وما أوجب الله تعالى عليه إلا ما وفقه للقيام به فمن أجل ذلك وعده بالوسيلة التي هي المقام المحمود يوم القيامة وليست الوسيلة في المعنى إلا الواسطة للوصول إلى المطلوب وهي الشفاعة ، ولهذا المعنى منزلة صورية في الجنة المسماة بالفردوس الأعلى وهي أرفع منازل الجنان يكون هو ﷺ فيها ليحوى الكمال صورة ومعنى ظاهرا وباطنا، فلما كان ﷺ واسطة الجميع في البداية لأجل الظهور كان واسطهم في النهاية لأجل النعيم المقيم ، فليس في الأزل والأبد وسيلة ولا واسطة ولا علة لوجودك ووجود كل خير لك ولكل موجود أحد سواه ﷺ فمن الأولى أن تتعلق بجنابه وتعتكف على بابه ليحصل الميل من الجهتين فيسرع الوصول إلى المقصود ألا تراه ﷺ قال للأعرابي الذي تمنى عليه أن يكون رفيقه في الجنة ، أعنّى على نفسك بكثرة السجود، فقوله ﷺ أعنى دليل على أنه أحب أن يشفع له إلى الله تعالى وأن يكون رفيقه في الجنة أراد أن

يكون الجذب من الجهتين ليسرع وصوله إلى ذلك، فأمره أن يعينه على نفسه بالسجود ليتحقق بالمقصود أكمل تحقق، ولهذا كان دأب الكُمَّل من الأولياء أن يتعلقوا بجنابه ويحطوا جباههم على بابه ﷺ، ولم يزل ذلك دأبهم ودأب كل من أراد الله تكميله حتى يحصل لهم ببركة هذه الحالة من الزيادة مالا يمكن شرحه وذلك أنهم يسمعون ويشهدون حينئذ بالسمع والبصر المحمدي ما هو مناسب للقابلية المحمدية التي ليس في ذات أحد قوتها فيخلع عليهم إذ ذاك من الخلع المحمدية مالا يمكن حصولها إلا بهذه الطريقة ومن ثم قال بعض العارفين خضنا بحرا وقف الأنبياء على ساحله ، يعني ذلك بحر الشريعة التي هي مخصوصة بالنبي ﷺ دون غيره من الأنبياء ولهذا فإن من تحقق بالسنة المحمدية ظاهرا وباطنا خاض بحر الحقيقة المحمدية التي خاضها هو وأمثاله بكمال الاتباع المحمدي صورة ومعنى لأخذه الأشياء من الله تعالى في بعض الحضرات بالقابلية المحمدية ، فإذا علمت ذلك وتحققته فالزم سبيل جنابه ولازم الوقوف ببابه ﷺ، فإن قلت لا أدرى كيف هذا التعلق والملازمة بهذا الجناب العظيم والنبي الكريم ﷺ قلنا إن التعلق بسيدنا محمد ﷺ على نوعين:

النوع الأول: هو التعلق الصوري بالجناب النبوى وهو على قسمين:

القسم الأول: هو الاستقامة على كمال الاتباع له بمواظبة ما أمره به الكتاب والسنة قولا وفعلا واعتقادا على ما هو عليه الأئمة الأربعة وهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم إذ قد وقع إجماع العلماء المحققين بأن هؤلاء المذكورين من الأئمة هم أهل الحق وهم الفرقة الناجية إن شاء الله تعالى يوم القيامة ، ومن كمال هذا القسم من الاتباع الصوري أن تأخذ بعزائم الأمور ولا تركن إلى الرخص فإن الله تعالى أمر النبى ﷺ بفعل العزائم في قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥). فأمره أن يصبر صبرا كصبر أولى العزم دون غيرهم وهم خمسة أنبياء وهم المذكورون بالتصريح في هذه الآية وهي: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى: ١٣).

فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم أولو العزم من الرسل فينبغي للتابع الكامل الاتباع بأن يأتي بعزائم الأمور ولا يركن إلى التسهيل ولا يقف مع الرخص فإن ذلك مقام الإسلام، ونحن نطلب لك ما نطلبه لأنفسنا من مقامات القربة والصديقية ومن شرطها اتباع النبي ﷺ في الأخذ بعزائم الأمور، ولن تقدر على ذلك كما ينبغي إلا بعد معرفة النفس ودسائسها وعللها، ولا يُعرف ذلك إلا بواسطة شيخ من أهل الله يدلك على ذلك جميعه ويعرفك ما هو اللائق بك في كل زمان من الأعمال والأحوال ألا ترى أن النبي ﷺ كان في بدايته يتحنث في غار حراء الأيام الكثيرة فلما انتهي وعظم شأنه ترك التحنث في الغار وبقي مع أصحابه طول السنة ما خلا العشر الأخيرة من شهر رمضان ولا يتحقق للطالب معرفة ما هو اللائق به إلا بواسطة شيخ رشيد يدله على ذلك جميعه أو بواسطة جذب إلهي كاشف له عن ذلك وليس لنا مع المجذوب كلام وكلامنا معك أيها السالك الطالب للاتباع المحمدي فينبغي لك أن تطلب شيخاً مرشدا يدلك على معرفة الله تعالى بتعريفه لك بنفسك ، فإذا وقعت عليه فاحذر أن تكتمه شيئا من أمور دينك، فلو قضى الله عليك بمعصية ينبغي لك أن تعرض لشيخك ما وقع منك ليسعى في دفع ذلك بمداواتك بما يعرفه من أمرك وبالالتجاء إلى الله تعالى ليزيل ذلك عنك فإذا لم يتفق لك الوقوع على رجل من أهل الله تعالى فألزم طريق أهل الله تعالى، وجملة الطريق إلى الله تعالى أربعة أشياء: أحدها فراغ القلب عن الميل إلى سوى الله تعالى في الدنيا والآخرة. الثاني الإقبال على الله تعالى بالكلية بالقصد والمحبة المنزهة عن العلل من غير فتور ولا التفات ولا ملل ولا طلب عوض، الثالث دوام المخالفة للنفس في كل ما تطلبه من الأمور التي تتعلق بمصالحها دنيا وآخرة وأعظم المخالفات للنفس ترك ما سوى الله تعالى نظرا واعتقادا وعلما. الرابع دوام ذكر الله تعالى بالنظر إلى جمال الله وجلاله سواء كان ذكر اللسان أو ذكر القلب أو ذكر السر أو ذكر الجملة.

القسم الثاني من النوع الأول: التعلق الصوري:

التعلق الصوري هو أن تتبعه ﷺ بشدة المحبة له حتى تجد محبته ﷺ في قلبك وروحك وجسمك وشعرك وبشرتك كما تجد سريان الماء البارد في وجودك إذا شربته بعد الظمأ الشديد في الحر الشديد، هذا وأن حبه ﷺ فرض واجب على كل أحد، قال الله تعالى: ﴿ **النبى أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ (الأحزاب: ٦). وقال ﷺ: ((**لا يؤمن عبد حتي أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين**)) فإذا لم تجد هذه المحبة التي وصفناها لك فاعلم أنك ناقص الإيمان، فاستغفر الله تعالى وتضرع إليه وتب من ذنوبك وتولع بدوام ذكر النبى ﷺ والتأدب معه والقيام بما أمر مع اجتناب ما نهي لعلك تنال ذلك فتحشر معه لأنه ﷺ القائل: ((**المرء مع من أحب**)).

ونخلص مما تقدم أن التعلق الصوري بالجناب النبوى إنما هو القيام على ظاهر الشريعة وسلوك عزائم الطريقة والاسترسال في محبته بالكلية وبالتعظيم لشأنه ﷺ في السر والعلانية وأن تتأدب مع أصحابه وأهل بيته بالمحبة والتعظيم والإيثار لهم، وأن تتأدب مع كافة أهل الله فإنهم أقرب الناس إلى النبى ﷺ فإن سوء الأدب مع أهل الله موجب للبعد عن الله تعالى فالله– الله– في محبتهم والتأدب معهم حق التأدب.

النوع الثاني: هو التعلق المعنوي بالجناب المحمدي ﷺ وهو أيضاً على قسمين:

القسم الأول: هو دوام استحضار صورته ﷺ التي سبق حليتها في الذهن والتأدب لها حالة الاستحضار بالإجلال والتعظيم والهيبة، فإن لم تستحضر تلك الصورة البديعة المثال وكنت قد رأيته وقتاً ما في نومك فاستحضر الصورة التي رأيتها في النوم فإن لم تكن رأيته ولم تستطع أن تستحضر تلك الصورة المشخصة الموصوفة بعينها فاذكره وصل عليه ﷺ - وكن في حال ذكرك له كأنك بين يديه في حياته متأدبا بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء، فإن لم تستطع أن تكون بين يديه بهذا الوصف وكنت قد زرت يوما ما قبره الشريف ورأيت روضته الشريفة

فاستحضر في ذهنك قبره الشريف وتلك الحضرة السنية وذلك كلما ذكرته ﷺ أو صليت عليه ، وكن كأنك واقف عند قبره الشريف مع الإجلال والتعظيم إلى أن تشهد روحانيته ظاهرة لك ، فإن لم تكن زرت قبره الشريف فأدم الصلاة عليه وتصور أنه يسمعك وكن إذ ذاك متأدبا جامع الهمة لتصل إليه صلاتك عليه وأنت حاضر بقلبك لديه فإن لجمع كنه الهمة أثرا في ذلك، واستَحِ أن تذكره أو تصليَ عليه وأنت مشغول بغيره فتكون صلاتك جسما بلا روح لأن كل عمل يعمله العبد من أعمال البر إذا كان منوطا بحضور القلب كانت صورة ذلك العمل حية، وإذا كان منوطا بالغفلة وشغل الخاطر بالغير كانت صورته ميتة لا روح لها.

ومن هذا يبين أن القسم الأول من التعلق المعنوي: هو استحضار صورته ﷺ وما يتعلق بها من ملازمة دوام التعلق بها بالهيبة مع الإجلال والتعظيم له، فعليك بذلك ففيه السعادة الكبرى والمكانة الزلفى.

القسم الثاني من التعلق المعنوي: وهو استحضار حقيقته الكاملة :

وحقيقته الكاملة هي الموصوفة بأوصاف الكمال، الجامعة بين الجلال والجمال، المتحلية بكل كمال خَلقي وخُلقي المستوعبة لكل فضيلة في الوجود صورة ومعني حكما وعينا غيبا وشهادة ظاهرا وباطنا ، ولن تستطيع أن تستحضر كل ذلك له حتى تعلم أنه ﷺ برزخ بين الحق والخلق المعروف بالحقيقة المحمدية وهذه الحقيقة المحمدية لها ظهور في كل عالم يليق بحال ذلك العالم فليس ظهور تلك الحقيقة في عالم الأجسام كظهورها في عالم الأرواح لأن عالم الأجسام ضيق لا يسع ما يسعه عالم الأرواح، وليس ظهورها في عالم الأرواح كظهورها في عالم المعنى فإن عالم المعنى ألطف من عالم الأرواح وأوسع ثم ليس ظهورها في الأرض كظهورها في السماء فكل مقام أعلى يكون ظهوره فيه أكمل وأتم من المقام الأنزل، ولكلٍّ ظهور جلالةً وهيبةَ.

فأوصيك يا أخي بدوام ملاحظة صورته ومعناه ﷺ ولو كنت في أول أمرك متكلفا مستحضرا فبعد قليل تألف روحك به ﷺ فتفوز بدرجة الصحابة رضى الله

عنهم وتلحق بهم إن شاء الله تعالى، حيث أن ثمرة العكوف عليه هي سبب الوصول إليه ألا تراه ﷺ يقول: ((**أكثركم على صلاة أقربكم منى يوم القيامة**)).

وذلك أن المصلى عليه على الدوام أي كثير، فإنه لابد أن يتعلق به خاطره فيتعشق قلبه بالصورة الروحانية تعشقاً يوجب المحبة، ودوام الذكر له بالصلاة عليه ﷺ فلأجل ذلك يقرب إليه ويكون عنده ومعه ﷺ.

ولقد ورد في حديث المصطفي ﷺ: ((**إن الداعي إذا دعا لأخيه المؤمن تقول له الملائكة ولك بمثله**)) ولا خلاف أن دعاء الملائكة مقبول لأنهم معصومون، فيصلي الله على المصلى فترجع صلاة المصلى على نفسه ولهذا ورد في الحديث الشريف: ((**أن من صلى على صلاة واحدة صلي الله عليه** – أي على المصلى بها – **عشرا**)) ولهذا يحصل المصلى في حقيقة القرب فيحشر معه، فإذا كان هذا نتيجة الصلاة باللسان فما تكون نتيجة الصلاة بالقلب والروح والسر وليس الصلاة إلا القرب والاجتماع والإقبال، فإذا حصل هذا الأمر من الروح والسر هل يكون إلا معه عند الله لأن نتيجة العمل الظاهر وهو الصلاة عليه ﷺ القرب بالمكان وهو في الجنة ونتيجة العمل الباطن وهو التعلق والإقبال ودوام استحضار صورته ﷺ ومعناه القرب بالمكانة وهو عند الله في مقعد صدق حيث لا أين ولا كيف؟

وكلما ازداد الولي محبة في النبى ﷺ كان أكمل من غيره، وأمكن في الحضرة الإلهية في معرفة الله تعالى ولكن هذه المعرفة وذاك التجلي يكون حسب استعداد العبد، علما بأن الاستعدادات متفاوتة ومن ثمة يكون التجلي متفاوتا من شخص لآخر.

ومن خصائص النبى ﷺ أن كل من رآه من الأولياء في تجلٍّ من التجليات الإلهية لابسا لخلعة من الخلع الكمالية فإنه ﷺ يتصدق بتلك الخلعة على الرائي وتكون له فإن كان قويا أمكنه لبسها إما في الدنيا وإما في الآخرة فمن حصل له تلك الخلعة ولبسها في الدنيا أو في الآخرة تكون له من النبى ﷺ وكل من رأى ذلك الولي في تجل من التجليات وعليه تلك الخلعة فإنه يخلعها ويتصدق بها عن النبى ﷺ

على الرائي الثاني وينزل للولي الأول من المقام المحمدي خلعة أكمل من تلك الخلعة عوضا عما تصدق بها عن النبى ﷺ فإن أمكن أن يراه فيها أحد بعد ذلك خلعها عليه وحصلت له أخرى وهكذا إلى مالا نهاية له صدقة نبوية محمدية هاشمية جرت سنة سيدنا محمد ﷺ من الأزل عند أخذ الله له العهد على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى نالوا بذلك مقام النبوة الشريفة التي قصرت أيادي الأولياء عن نيلها، لأن رؤية الأولياء له ﷺ إنما وقعت بعد تلك الرؤية وفي غير ذلك المحل ولأجل هذا فازت الأنبياء بدرجة السعادة التي ليست لغيرهم لأنهم أول من رآه في أكمل خلعة له ولم تزل هذه الفتوة دأبة عادة لسائر من يراه من الأولياء إلى أبد الآبدين.

وكل نبي من الأنبياء المتقدمين تابع له في باطنه وظاهره– لأن المؤمن مرآة المؤمن– ومن ثم كانوا نوابه، وكانت الأولياء خلفاءه ﷺ فهم أسعد الخلق لأنهم فازوا بالأكملية ظاهرا وباطنا فسايروه باطنا في الكمالات الإلهية والمعارف اللدنية وسايروه في النبوة والرسالة وللهداية وفي الدعوة المشروعة الخاصة بطريق كل منهم وكذا من الأولياء المحمديين تبع له ﷺ في الكمالات الإلهية باطنا وفي الأحوال والأقوال والأفعال ظاهرا فهم أكمل أتباع سيدنا محمد بعد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. وإنما نقصت درجتهم عن درجة الأنبياء لأنهم يدعون إلى الله تعالى على الشرع المحمدي وكل من الأنبياء والرسل إنما يدعو على شرعه المختص به فمزية الأنبياء– صلوات الله عليهم– على الأولياء بالتشريع فقط، ولهذا قال ﷺ: **((علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل))** يريد العلماء بالله الذين هم العارفون بجمال الله وجلاله، فمن كان له من الأولياء أتباع كان خليفة عن الرسل ومن لم يكن له منهم أتباع كان خليفة عن الأنبياء الذين لم يُرسلوا.

واعلم أن الأنبياء والأولياء متفاوتون في الكمال فمنهم الكامل والأكمل ولم يتعين أحد منهم بما يتعين به سيدنا محمد ﷺ في هذا الوجود من الكمال الذي قطع له بانفراده فيه شهدت له بذلك أخلاقه وأحواله وأفعاله وأقواله فهو الإنسان الكامل، والباقون من الأنبياء والأولياء الكمل صلوات الله عليهم ملحقون به لحوق

الكامل بالأكمل ومنسبون إليه انتساب الفاضل إلى الأفضل.

ففضائل رسول الله ﷺ أكثر من أن تحصى، ومعجزاته ومناقبه لا تستقصى، فذكره يزيد في الإيمان، ويضيء القلوب والأسرار بأنوار العرفان، فإن الله تعالى جعل محبته مشروطة بمحبته وطاعته منوطة بطاعته وذكره مقرونا بذكره وبيعته مقصودة ببيعته، قال الله تعالى: ﴿ **مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾(النساء: ٨٠) وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** ﴾(الفتح: ١٠). وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾(آل عمران: ٣١). وقال تعالى: ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾(الشرح: ٤). قال رسول الله ﷺ: ((**أتاني جبريل فقال إن الله ربي وربك يقول أتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله أعلم. قال لا أذكر إلا ذكرت معي**)) ويقال معناه جعلت تمام الإيمان بذكرك معي ويقال معناه جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني ومن أثبتك أثبتني ومن أنكرك فما عرفني، ويقال معناه: لا يذكرك أحد بالرسالة إلا وذكرني بالربوبية.

وقال رسول الله ﷺ: **((أول نور خلقه الله نوري)).**

ومن هذا يبين أنه ﷺ انفرد بالفضيلة التامة والكرامة العامة والمرتبة السامية على الجميع والمزية التي من انتسب إليها بالمتابعة لا يضيع والشرف العالي في الدارين والقدر الرفيع الذي نصبت أعلامه في الخافقين. وإنما كانت حكمته ﷺ فردية لأنه أكمل موجود في هذا النوع الإنساني ولهذا بدئ به الأمر وختم فكان نبيا وآدم بين الماء والطين ثم كان بنشأته العنصرية خاتم النبيين. ولهذا بدئ به الأمر الإلهي فهو أول مخلوق من حيث كونه نورا كما ورد في حديث جابر الذي أخرجه عبد الرزاق في مسنده: يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال يا جابر: **((إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره))** إلى آخر الحديث.

فهو ﷺ كامل الخلقة، شريف المقام والمرتبة من حيث خلقه الله تعالى نورا إلى أن فُصّلَ مُجملهُ ظهورا فخلق له القالب الآدمي واستعمله في ظهور صورته العظيمة ثم صفاه في مصافي قوالب الكاملين من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة

والسلام حتى أخرجه في هذا الوجود وأفاض به إناء المكارم والجود فكان في الآخر كما كان في الأول فهو ﷺ الفرد الكامل الذي عليه المعول.

واعلم أيها الأخ الفاضل السائر إلى الله تعالى أن من أهم سبل الاجتماع برسول الله ﷺ هو التعلق بجنابه ﷺ وهو من أهم الأسباب الميسرة للاجتماع برسول الله ﷺ. **بيان ذلك فيما يلي:**

اعلم يا أخي أن الطرائق إلى الله تعالى هي بعدد أنفاس الخلائق للعوام، وليس إلا طريقة واحدة لخواص الكرام وذلك معنى قوله تعالى على لسان حبيبه محمد ﷺ: ﴿ **وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾(الأنعام: ١٥٣). وذلك السبيل القويم والطريق المستقيم هو الحجة البيضاء، والحنيفية السمحاء شريعة خير الأنام وطريقة المبعوث إلى الخواص والعوام عليه أفضل الصلاة والسلام، قد انسد في الظاهر كل طريقة، وانغلق في الباطن كل باب غير باب تحقيقه، فلا سبيل إلى نيل السعادة الكبرى إلا بوسيلته، ولا وصول إلى الزلفة العليا إلا بواسطة فضيلته، وكل ولي إنما يستمطر سحابها، ويستهل عبابها، وكل من ظن أنه يعرج بغير واسطته، فإنما صعوده هبوط في سجنه وحثالته، فعليكم بالتعلق بجنابه الرفيع، والتمسك بالعروة الوثقى من جاهه المنيع مع دوام استحضار تلك الصورة الكاملة التي هي لمعاني الوجود، وصورة جامعة شاملة حتى تفيض لكم الأسرار على الأرواح، والأرواح على القلوب، والقلوب على النفوس، والنفوس على الجسوم من حبه شراب معنوي تنتعش به الأرواح، والأشباح مذهبا معدما أطلالكم والرسوم، فتذهبون ويكون ﷺ فيكم عوضا منكم عنكم لتنالوا حينئذ بقابلية حقيقته المشرفة بوجودكم، لأن الله سبحانه وتعالى خص سيدنا محمداً ﷺ بالتجليات الكاملة الكبرى التي لم تقبلها قابلية أحد غيره دنيا ولا آخرة، فإذا أشرقت أرض وجودكم بنور شمسه الظاهرة، واستنشقت مشام أرواحكم من تلك الرياض الناضرة استوت ذواتكم بنصيبها من قابليته على بعض تلك المجالي فأصبحت إلى ربها ناظرة.

وقـد شـهدته الأنبيـاء والمرسـلون قبـل ظهـوره بأنـه صـاحب كمـالاتهم في ترقياتهم، وعلموا عُلوَّ شأنه عليهم في عظيم مكاناتهم، وإلى ذلك الإشارة في إمامته بهم، فهو ﷺ إمام الأنبياء وقدوة الأولياء ونورهم، حتى أنه لو تحقق مثلا ألف نبي أو ولي كامل بالحقيقة النورية حتى صار كل منهم نورا مطلقا ثم أطلقت اسمه النور، لم يقع هذا الاسم إلا عليه ولم تسبق هذه الصفة إلا إليه ﷺ ولهذا سماه الله عز وجل في كتابه العزيز بالنور دون غيره، وسر ذلك أن الأنبياء إنما تحققوا بهذه الصفة وهو ﷺ حقيقة هذه الصفة، وكم بين حقيقة الشيء إلى من تحقق به. ولهذا لما تنزَّل إلى الوجود الكوني كان هو صورة القلم المسمى بالعقل الأول، ولهذا ورد عنه ﷺ أنه قال: ((**أول ما خلق الله العقل**))، وورد عنه ﷺ أنه قال: ((**أول ما خلق الله القلم**)) وورد عنه في حديث جابر رضي الله عنه: ((**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**)) فعلم بذلك اتحاد هذه الثلاثة معاني، وأن اختلافها إنما هو من جهة التعبير فكأنه ﷺ هو أول موجود خلقه الله تعالى، وهذه هي الروح المحمدية المسماة بالعقل الأول والقلم والنور، وهي التي أطلق عليها أهل الله اسم الحقيقة المحمدية نسبة إلى أكمل خلق الله وأشرفهم وأعلاهم قدرا ألا وهو سيدنا محمد ﷺ، فإذا ما ذُكرت كلمة الحقيقة المحمدية فإنهم يعنون بها العقل الأول المعني به " نور نبيك يا جابر" وهذه الحقيقة المحمدية هي مظهر لتجلي أسماء الله وصفاته، أما ذاته الشريفة فإنها كانت أجمل الذوات وأكملها وأفضلها وأنورها وأطهرها وصورته ﷺ أجمل الصور وأحلاها وأزكاها، وفي الخبر أنه ﷺ كان أملح من يوسف. وورد في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ على فراشه في ليلة مظلمة فسقط من يدها إبرة إلى الأرض فكشفت عن وجه رسول الله ﷺ فوجدتها بنور جبينه فرفعتها والتقطتها (يعني لضمتها).

* * *

الباب الثامن عشر

أمثلة لرؤية الرسول ﷺ مناما

ولنبتدئ بالذين رأوه صلى الله عليه وسلم مناماً على حسب تاريخ وفاتهم :

ومنهم **بلال بن رباح الحبشي** مؤذن الرسول ﷺ قال الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله في كتابه شواهد الحق وكان بلال مقيماً بالشام ببيت المقدس بعد وفاة رسول الله ﷺ فرأى النبي ﷺ مناماً وهو يقول له ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورني فبات حزيناً خائفاً فركب راحلته وقصد المدينة فحين وصل إلى القبر الشريف صار يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا له نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف فيه فلما أن قال (الله أكبر) ارتجت المدينة فلما أن قال (أشهد أن لا إله إلا الله) زادت رجّتها فلما أن قال (أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ) خرجت العواتق من خدورهن وقلن بعث رسول الله ﷺ فما رأينا يوماً أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم توفي سنة ٢٠ هـ.

ومنهم **عبد الواحد بن زيد** رضى الله عنه قال كان لنا جار يخدم السلطان وهو معروف بالفساد والغفلة عن الله تعالى فرأيته الليلة في المنام ويده في يد رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن هذا العبد السوء من المعرضين عن الله تعالى فكيف وضعت يدك في يده فقال ﷺ قد عرفت ذلك وها أنا ماض به لأشفع له عند الله تعالى فقلت يا رسول الله بأي وسيلة بلغ ذلك قال بكثرة صلاته على فإنه في كل ليلة حين يأوي إلى فراشه يصلي على ألف مرة وإني لأرجو أن الله تعالى يقبل شفاعتي فيه قال عبد الواحد فلما أصبحت إذا أنا بذلك الغلام قد دخل المسجد باكياً وكنت في ذكر ما رأيته له أقص على أصحابي فلما دخل سلم وجلس بين يدي وقال يا عبد الواحد مد يدك فقد أرسلني إليك رسول الله ﷺ لأتوب على يدك وذكر لى ما جرى بينك وبينه في شأني فلما تاب سألته عن رؤياه فقال أتاني رسول الله ﷺ فأخذ بيدي وقال لأشفعن لك إلى ربي لأجل صلاتك على فلما انطلقت معه شفع لى وقال إذا

أصبحت فأت عبد الواحد وتب على يده واستقم توفي عبد الواحد سنة ١٧٧هـ.

ومنهم **بشر الحافي** رضى الله عنه قال رأيت النبى ﷺ في المنام فقال يا بشر أتدرى بما رفعك الله من بين أقرانك قلت لا يا رسول الله قال بخدمتك للصالحين ونصيحتك لإخوانك ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي واتباعك لسنتي توفي سنة ٢٢٧هـ.

ومنهم **ابن أبي طيب الفقير** قال كان بي طرش عشر سنين فأتيت المدينة وبت بين القبر والمنبر فرأيت النبى ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله أنت قلت من سأل لى الوسيلة وجبت له شفاعتي. فقال عافاك الله ما هكذا قلت ولكني قلت من سأل لى الوسيلة من عند الله وجبت له شفاعتي قال فذهب عني الطرش ببركة قوله عافاك الله.

ومنهم **أبو سعيد الخراز رضى الله عنه** قال رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت يا رسول اللّٰه اعذرني فإن محبة الله شغلتني عن محبتك فقال يا مبارك من أحب الله فقد أحبني توفي سنة ١٧٩هـ.

ومنهم **رئيس الطائفتين الجنيد رضى الله عنه** قال كان سريٌّ السقطي يقول لى تكلم على الناس وكنت أجد في قلبي حشمة من الكلام على الناس لأني كنت أتَّهم نفسي في استحقاقي لذلك فرأيت ليلة الجمعة في منامي النبى ﷺ فقال لى تكلم على الناس فانتبهت وأتيت السرى قبل أن أصبح فدققت عليه الباب فقال لى أنت لم تصدقنا حتى رأيت رسول الله ﷺ وأمرك بالكلام فلما كان النهار قعدت في الجامع وانتشر في الناس أن الجنيد جلس يتكلم فكان أول مجلس أن وقف على غلام نصراني متنكراً وقال أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله. فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت له معناه أنك تسلم فقد جاء وقت إسلامك فأسلم الغلام توفي سنة ٢٩٨هـ.

ومنهم **أحمد بن يحيى الجلاء** قال دخلت مدينة رسول الله ﷺ وبي فاقة فتقدمت إلى قبر النبى ﷺ فسلمت عليه وعلى صاحبيه رضوان الله عليهما ثم قلت يا رسول الله بي فاقة وأنا ضيفك ثم تنحيت ونمت دون القبر فرأيت النبى ﷺ جاء إلى

فقمت فدفع إلى رغيفاً فأكلت بعضه فانتبهت وفي يدي بعض الرغيف توفي سنة ٣٠٦هـ.

ومنهم **محمد بن على بن جعفر الكتاني البغدادي** نقل الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله في كتابه "جامع كرامات الأولياء" أن الشيخ المذكور صحب الجنيد وطبقته قال رأيت المصطفى ﷺ فقلت ادع الله لى أن لا يمت قلبي فقال قل كل يوم أربعين مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت وقال كان في رأسي وجع فرأيت المصطفى ﷺ أيضاً فقال اكتب هذا الدعاء اللهم بثبوت الربوبية وتعظيم الصمدية وبسطوات الإلهية وبقدم الجبروتية وبقدرة الوجدانية قال فكتبته وجعلته على رأسي فسكن حالاً مات بمكة سنة ٣٢٢هـ.

ومنهم **جعفر الخلدي** نقل عبد الله الشرقاوي في حاشيته على شرح السنوسية للشيخ محمد الهدوى عن الشيخ المذكور قال صحبت أربعمائة صوفي وسألتهم عن أربع مسائل فلم يجبني واحد منهم فاغتممت لذلك فرأيت النبى ﷺ في المنام فسألني عن حالي فأخبرته بذلك فقال سل مسألتك فقلت ما حقيقة التوحيد وما حد العقل وما حد التصوف وما حقيقة الفقر فقال عليه الصلاة والسلام أما حقيقة التوحيد فهو ما خطر ببالك فهو هالك والله سبحانه وتعالى خلاف ذلك وأما حد العقل فأدناه ترك الدنيا وأعلاه ترك الفكر في ذات الله عز وجل وأما حد التصوف فترك الدعاوى وكتمان المعاني وأما حقيقة الفقر فهو أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء وأنت راض عن الله في الحالتين توفي سنة ٣٤٨هـ.

ومنهم **العنبي** رحمه الله نقل الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله في كتابه "شواهد الحق" عن العنبي قال كنت جالساً عند قبر النبى ﷺ فجاء أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا صفوة الله سمعت الله يقول: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً** ﴾(النساء: ٦٤). ثم انصرف الأعرابي قال العنبي فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله ﷺ في النوم فقال يا عنبي الحق الأعرابي وبشره بأن الله تعالى قد غفر له.

ومنهم **أبو الحسن على بن حرزهم** الفقيه المغربي كان يبالغ في الإنكار على

كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعاً مسموع الكلمة فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الأحياء وهم بإحراقها في الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فإذا هو بالنبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما والإمام الغزالي رضى الله عنه قائم بين يدي النبى ﷺ فلما أقبل حرزهم قال الغزالي هذا خصمي يا رسول الله فإن كان الأمر كما زعم تبت إلى الله وإن كان شيئاً حصل لى من بركتك واتباع سنتك فخذ لى حقي من خصمي ثم ناول النبى ﷺ كتاب الإحياء فتصفحه النبى ﷺ ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال والله إن هذا لشيء حسن ثم ناوله الصديق رضى الله عنه فنظر فيه ثم قال والذي بعثك بالحق إنه لشيء حسن ثم ناوله الفاروق عمر رضى الله عنه فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق فأمر النبى ﷺ بتجريد الفقيه على بن حرزهم عن القميص وأن يضرب ويحد حد المفتري فجرد وضرب فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق رضى الله عنه وقال يا رسول الله لعله ظن خلاف سنتك فأخطأ في ظنه فرضي الإمام الغزالي وقبل شفاعة الصديق ثم استيقظ ابن حرزهم وأثر السياط في ظهره وأعلم أصحابه وتاب إلى الله عن إنكاره على الإمام الغزالي واستغفر الله ولكنه بقى مدة طويلة يتألم من أثر السياط وهو يتضرع إلى الله تعالى ويتشفع لرسول الله ﷺ إلى أن رأى النبى ﷺ دخل عليه ومسح بيده الكريمة على ظهره فعوفي وشفي بإذن الله تعالى ثم لازم مطالعة إحياء علوم الدين ففتح الله عليه فيه ونال المعرفة بالله وصار من أكابر مشايخ أهل العلم الباطن والظاهر رحمة الله عليه قال اليافعي روينا ذلك بالأسانيد الصحيحة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي لأنه كان معاصراً لابن حرزهم توفي في حدود سنة ٦٣٠هـ.

ومنهم **أبو محمد عبد الله اليافعي** رضى الله عنه يروى عنه أنه لما قصد المدينة لزيارة النبى ﷺ قال لا أدخل حتى يأذن لى رسول الله ﷺ قال فوقفت على باب المدينة أربعة عشر يوماً فرأيت النبى ﷺ في المنام فقال يا عبد الله أنا في الدنيا نبيك وفي الآخرة شفيعك وفي الجنة رفيقك ثم قال فقلت أتأذن لى بالدخول فقال ﷺ ادخل إنك من الآمنين توفي سنة ٧٦٨هـ.

ومنهم **محمد الشريف النعماني** أحد أصحاب سيدي محمد الحنفي الشاذلي رضى الله عنه قال رأيت جدي رسول الله ﷺ في خيمة عظيمة والأولياء يجيئون فيسلمون عليه واحداً بعد واحد وقائل يقول هذا فلان هذا فلان فيجلسون إلى جانبه ﷺ حتى جاءت كبكبة عظيمة وخلق كثير وقائل يقول هذا محمد الحنفي فلما وصل إلى النبى ﷺ أجلسه بجانبه ثم التفت ﷺ إلى أبي بكر وعمر وقال لهما إني أحب هذا الرجل إلا عمامته الصماء أو قال الزعراء وأشار إلى سيدي محمد فقال له أبو بكر رضى الله عنه أتأذن لى يا رسول الله أن أعممه فقال نعم فأخذ أبو بكر رضى الله عنه عمامة نفسه وجعلها على رأس سيدي محمد وأرخى لعمامة سيدي محمد عذبة عن يساره وألبسها لسيدي محمد فلما قصها على سيدي محمد الحنفي رضى الله عنه بكى وبكى الناس وقال للشريف محمد إذا رأيت جدك ﷺ فاسأله في أمارة يعلمها من أعمالي فرآه ﷺ بعد أيام وسأله الأمارة فقال له بأمارة الصلاة التي يصليها على في الخلوة قبل غروب الشمس كل يوم وهي اللهم صلّ على سيدنا محمد النبى الأمي وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما علمت وزنة ما علمت وملء ما علمت فقال سيدي محمد رضى الله عنه صدق رسول الله ﷺ وأخذ عمامته وأرخى لها عذبة ونزع كل من في المجلس عمامته وأرخى لها عذبة توفي محمد النعماني سنة ٨٤٧هـ.

ومنهم **عبد الرحمن جلال الدين السيوطي** قال رأيت في المنام ليلة الخميس ثامن شهر ربيع الأول سنة ٩٠٤ كأني بين يدي النبى ﷺ فذكرت له كتاباً شرعت في تأليفه في الحديث وهو جمع الجوامع فقلت أقرأ عليك شيئاً منه فقال هات يا شيخ الحديث فكانت هذه البشارة عندي أعظم من الدنيا بحذافيرها توفي سنة ٩١١هـ.

ومنهم **خديجة بنت جمال الدين البكري** والدة أبي الحسن البكري وكانت من العابدات القائمات الصائمات وقد اتفق لها مع ولدها أبي الحسن أنها كانت تنكر عليه الحج والزيارة في نحو المحنة (أي المركب) والظهور في الملابس ونحو ذلك ولا زالت تغلظ له القول في ذلك حتى مضت مدة من الزمن وهو يبالغ في احترامها إلى أن قال لها يوماً أما يرضيك يا بنت الشيخ أن يكون الحكم العدل بيني

وبينك رسول الله ﷺ فقالت له وقد اعتراها الغضب ومن أنت حتى تقول ما قلت فقال لها سترين إن شاء الله تعالى ما يزيل إنكارك فنامت تلك الليلة فرأت في منامها كأنها داخلة المسجد النبوى وبروضته قناديل كثيرة عظيمة وفيها قنديل كبير جداً أعظمها ضوءاً وحسناً وصورة فسألت لمن هذا فقيل لها هذا لولدك أبي الحسن فالتفتت نحو الحجرة الشريفة فرأت النبى ﷺ ورأتني وأنا بثيابي الفاخرة التي تنكر لبسها بين يديه قالت فقلت في نفسي يلبسها في هذا الموضع الشريف فبرز لها العدل من الحضرة الشريفة بسبب الإنكار عليه فقلت أتوب يا رسول الله قال الأستاذ رضى الله عنه من ذلك العهد إلى تاريخه لم تطرقها شائبة الإنكار على ولا عذلت بوجه توفي أبو الحسن سنة ٩٥٢هـ.

ومنهم **بعض الصالحين** قال سيدي أحمد بن إدريس رضى الله عنه أخبرني من أثق بخبره ولا أشك في صدقه أنه رأى النبى ﷺ في المنام فقال له يا رسول الله التنباك حلال أم حرام فالتفت إلى عائشة وهي بجنبه فقال لو شربته هذه لما قاربتها ثلاثاً قال الرائي فحدثتني نفسي أن أقول له هل قد حرمته في الشريعة ففي أي موضع من مواضع الحديث فأنسيت في الحال قال رضى الله عنه فانظر إلى الذي لو شربته عائشة أم المؤمنين لما قاربها رسول الله ﷺ فأي داهية أعظم مما يترتب على شربه عدم قرب رسول الله ﷺ لزوجته أم المؤمنين وأي تعريض بتحريمه أعظم من هذا ومن رأى النبى ﷺ فقد رآه حقا ومن رآه مناماً فكأنما رآه يقظة والسلام على من اتبع الهدى قال رضى الله عنه وكذا ثمنه حرام توفي سيدي أحمد سنة ١٢٥٣هـ.

* * *

الباب التاسع عشر

أمثلة لرؤية الرسول ﷺ يقظة

منهم **عثمان بن عفان** رضى الله عنه نقل السيوطي في كتابه "تنوير الحلك" عن عبد الله بن سلام قال أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصور فقال مرحباً بأخي رأيت رسول الله ﷺ في هذه الخوخة فقال ﷺ عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال عثمان ناولني ﷺ دلواً فيه ماء فشربته حتى رويت وإني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي ثم قال إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده ﷺ فقتل ذلك اليوم، قال جلال الدين السيوطي وقد فهم المصنف أنها رؤية يقظة وإلا لم يصح عدها من الكرامات لأن رؤية المنام يستوي فيها كل أحد.

ومنهم **إبراهيم بن شيبان** رضى الله عنه نقل الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله في كتابه "سعادة الدارين" عن الشيخ المذكور قال حججت فجئت المدينة فتقدمت إلى القبر الشريف فسلمت على الرسول فسمعت من داخل الحجرة يقول وعليك السلام توفي سنة ٣٣٠هـ.

ومنهم **علوي بن علوي بن محمد** رضى الله عنه نقل الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله في كتابه جامع كرامات الأولياء عن الشيخ المذكور أنه كان يرى النبى ﷺ يقظة ويسأله عن أمور تشكل عليه فيبينها له ويوضحها وكان إذا قال في التشهد أو غيره السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته يسمع المصطفى ﷺ يقول له عليك السلام يا شيخ ورحمة الله وبركاته وربما كرر ذلك مرارا فقيل له لما تكرره فقال حتى أسمع جواب النبى ﷺ توفي سنة ٥٢٧هـ.

ومنهم **القطب الشهير سيدي أحمد الرفاعي** رضى الله عنه نقل الشيخ جلال الدين السيوطي في كتاب الشرف المحتم عن عز الدين عمر أبي الفرج الواسطي قال كنت مع القطب الغوث السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضى الله عنه عام خمس وخمسين وخمسمائة العام الذي قدر الله له فيه الحج فلما وصل مدينة الرسول ﷺ

وقف تجاه حجرة النبى ﷺ وقال على رؤوس الأشهاد السلام عليك يا جدي فقال له عليه الصلاة والسلام وعليك السلام يا ولدي سمع ذلك كل من كان بالمسجد النبوى فتواجد سيدي أحمد وأرعد واصفر لونه وجثا على ركبتيه ثم قام وبكى وأنّ طويلاً وقال يا جداه:

فِى حَالَةِ البُعْد روحِي كُنْتُ أُرْسِلُهَا

تَقَبِّـلُ الأرْضَ عَنِّـي وَهِـى نَائِبَـتـى

وَهـذهِ دَوْلَـةُ الأشْبَاحِ قَـدْ حَضَـرَتْ

فَامدُدْ يَمينَكَ كَىْ تَحْظَى بهَا شَفِتى

فمدَّ له رسول الله ﷺ يده الشريفة العطرة من القبر الأغر الأزهر المكرم فقبلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل والناس ينظرون اليد الشريفة وكان في المسجد مع الحجاج الشيخ حياة بن قيس الحراني والشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ خميس والشيخ عدي بن مسافر وغيرهم نفعنا الله بعلومهم وتشرفنا معهم برؤية اليد المحمدية ولماحج ثانية في العام الذي توفي فيه وزار القبر الطاهر قال وهو تجاه القبر بانكسار ومسكنة:

إنْ قِيلَ زُرْتَمُ بمَا رَجَعْتُم؟

يَا أكرَمَ الرُسُلِ فَمَا نَقُولُ؟

فظهر صوت من القبر سمعه كل من في المسجد:

قولوا رَجَعْنَا بِكُلِّ خَيْرٍ

وَاجتَمَعَ الفُرُوعُ وَالأُصَولُ

توفي سنة ٥٧٨هـ.

ومنهم **نور الدين محمد بن عبد الله الأبجي رضى الله عنه** نقل السيوطي في كتابه "تنوير الحلك" أن الشيخ المذكور لما ورد إلى الروضة الشريفة وقال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته سمع من كان بحضرته قائلاً من داخل القبر الشريف يقول وعليك السلام يا ولدي توفي سنة ٦٠٠هـ.

ومـنهم **فاطمـة الهاشميـة رضـى الله عنهـا** نقـل الـسيوطي في كتابـه "تنـوير الحلـك" عـن فاطمـة الهاشميـة كانـت مجـاورة بالمدينـة وكـان بعـض الخـدام يؤذونها قالت فاستغثت بالنبي ﷺ فسمعت قائلاً من الروضة يقول أما لك في أسوة اصبري كما صبرت قالت فزال عني ما كنت فيه ومات الخدام الثلاثة الذين كانوا يؤذونني توفيت سنة ٦٣٨هـ.

ومـنهم **أبـو الـسعود بـدر الـدين بـن أبـي العـشائر رضـى الله عنـه** حكـى القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية عن الشيخ المذكور قال كنت أزور شيخنا أحمد أبا العباس البصير وغيره من صلحاء مصر فلما انقطعت واشتغلت وفتح على لم يكن لى شيخ إلا النبى ﷺ وأنه كان يصافحني عقب كل صلاة يقظة وحسبه بذلك شرفاً توفي سنة ٦٤٤هـ.

ومنهم **أحمـد أبـو العبـاس المرسـي رضـى الله عنـه** حكـى ابن عطـاء الله في لطائف المنن عن الشيخ المذكور كان يقول والله لو حجبت عني جنة الفردوس طرفة عين أو رسول الله طرفة عين أو فاتني الوقوف بعرفة سنة واحدة ما عددت نفسي من جملة الرجال. وقال رجل للشيخ أبي العباس يا سيدي صافحني فإنك قد لقيت عباداً وبلاداً فلما خرج قال الشيخ ما الذي يعني ببلاد وعباد فقال إنسان يريد أنك صافحت عباداً وسلكت بلاداً اكتسبت فإذا صافحك حصل له منك بركة فضحك ثم قال والله ما صافحت بهذه اليد إلا رسول الله ﷺ. وقال الشعراني في كتابه المغترين كان الشيخ أبو العباس يصلي الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ كما أخبر بذلك عن نفسه وقال يوماً لأصحابه أيكم يجالس رسول الله ﷺ ولا يحتجب عنه في ليل ولا نهار فقالوا كلهم ليس منا أحد يقع له ذلك فقال ابكوا على قلوب محجوبة عن أسرار الكون والملكوت والله لو احتجب عني رسول الله ﷺ لحظة ما عددت نفسي من المسلمين. وقال أيضا في مقدمة كتابه " المنن " كان أبو العباس رضى الله عنه يقول لا يكمل مقام فقير إلا إذا صار يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ويراجعه في أمور كما يراجع التلميذ شيخه توفي سنة ٦٨٦هـ.

ومنهم **أبو بكر الديار بكري رضى الله عنه** نقل السيوطي في كتابه " تنوير الحلك " أن الشيخ المذكور وقف بإزاء وجه النبى ﷺ وقال السلام عليك يا رسول الله فسمع كل من حضر صوتاً من داخل الحجرة وعليك السلام يا أبا بكر توفي سنة ٧٠٨هـ.

ومنهم **صلحة بن عيسى اليمني رضى الله عنه** قال الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله في كتابه " جامع كرامات الأولياء " أن الشيخ المذكور قد اشتهر عنه أنه يرى النبى ﷺ في حال اليقظة فجاء بعض الناس إلى القاضي أحمد التهامي وكلمه في ذلك فقال نذهب إليه ونسمع كلامه قال فلما دخلنا عليه قال أما أصحاب القاضي فلا يسلّمون من رؤية النبى ﷺ **في اليقظة** توفي سنة ٧٨٠هـ.

ومنهم **قاضي زبيد أحمد التهامي رضى الله عنه** قال الشيخ الورع يوسف النبهاني رحمه الله في كتابه " جامع كرامات الأولياء " أن القاضي المذكور جاءه بعض الناس فقال له إن صلحة بن عيسى يدعي أنه يرى النبى ﷺ يقظة فقال نذهب إليه ونسمع كلامه فذهب إليه وقعد عنده ساعة وخرج ولم يكلمه فقال له الرجل لِمَ لمْ تسأله؟ فقال والله ما قعدت عنده إلا رأيت النبى ﷺ عنده وكان القاضي من الصالحين ولذلك كشف له عن ذلك توفي سنة ٧٩٠هـ.

وقال الإمام الشعراني رضى الله عنه في مقدمة كتابه "الميزان": كان سيدي على الخواص رحمه الله يقول لا يصح خروج قول من أقوال الأئمة المجتهدين عن الشريعة أبدا عند أهل الكشف قاطبة وكيف يصح خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد أقوالهم من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومع الكشف الصحيح ومع اجتماع روح أحدهم بروح رسول الله ﷺ وسؤالهم منه عن كل شيء توقفوا فيه من الأدلة هل هذا من قولك يا رسول الله أم لا يقظة ومشافهة بالشروط المعروفة بين أهل الكشف وكذلك يسألونه عن كل شيء فهموه من الكتاب والسنة قبل أن يدونوه في كتبهم ويقولون يا رسول الله قد فهمنا كذا من آية كذا ، وفهمنا كذا من قولك الحديث الفلاني كذا فهل ترتضيه أم لا ويعملون بمقتضى

قوله وإشارته والله تعالى أعلم.

وقد رأيت أن أذكر لك يا أخي جملة من فوائد الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ تشويقا لك لعل الله تعالى أن يرزقك محبته الخالصة ويصير شغلك في أكثر أوقاتك الصلاة والتسليم عليه وتهدي ثواب كل عمل عملته في صحيفة رسول الله ﷺ كما أشار إليه خبر أُبَي بن كعب أني أجعل لك صلاتي كلها أي أجعل لك ثواب جميع أعمالي فقال له النبى ﷺ إذن يكفيك الله تعالى هم الدنيا وأخرتك، فمن ذلك وهو أهمها صلاة الله وسلامه وملائكته ورسله على من صلى وسلم عليه، ومنها النجاة من سائر الأهوال وشهادة رسول الله ﷺ بها يوم القيامة ووجوب الشفاعة، ومنها العتق من النار والجواز على الصراط كالبرق الخاطف ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت، ومنها أنها تزين المجالس وتنفي الفقر وضيق العيش، ومنها أنه ينتفع هو وولده بها وبثوابها وكذلك من أهديت في صحيفته، ومنها أنها تقرب إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ، ومنها أنها نور لصاحبها في قبره ويوم حشره وعلى الصراط، ومنها أنها تنصر على الأعداء وتطهر القلب من النفاق والصدأ، ومنها أنها توجب محبة المؤمنين فلا يكره صاحبها إلا منافق ظاهر النفاق، ومنها رؤية النبى ﷺ في المنام وإن أكثر منها ففي اليقظة، ومنها أن تقلل من اغتياب صاحبها وهي من أبرك الأعمال وأكثرها نفعا في الدنيا والآخرة وغير ذلك من الأجور التي لا تحصيها. وقد رغبتك بذكر بعض ثوابها فلازم يا أخي عليها فإنها من أفضل ذخائر الأعمال ولازم كذلك الصلاة والسلام عليه ﷺ حتى يكرمك الحق عز وجل بالاجتماع به يقظة ومناما. وقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إنك لا تخلف الميعاد اجمع بيني وبين روح رسول الله ﷺ يقظة ومناما كما جمعت بين الروح والنفس إنك على كل شئ قدير والله تعالى أعلم.

* * *

الباب العشرون

أولا : سيادة الرسول عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم :

الرسول ﷺ هو سيد الكمل، أليس هو القائل: ((**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**)) رواه مسلم، فقد تأدب الرسول ﷺ في حق أبيه آدم، وأفهمنا أن السيادة لا يفخر بها، بل هو أعلى وأكبر من كل وصف وتقدير.

انظروا قوله ﷺ: ((**آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة**)) والحق يقول في حديث قدسي: ((**لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك**)).

وكيف ينكر أحد لفظ السيادة عليه، ولو ناديت أحدهم باسمه مجردا دون أن تقول له يا أستاذ أو سيد أو يا كذا إلى آخره، امتعض وتألم. هذا هو واجب الأدب في حق صاحب الشرع. أهكذا يكون رد الجميل والاعتراف بالفضل لصاحب الرسالة والشفيع للأمة والرحمة للعالمين. ويقولون في الحكم: " من علمني حرفا صرت له عبدا " فكيف بمن أنقذنا من الضلال بهدى الشريعة؟ وأخرجنا من الجهل بنور علمه.

ثانيا : هل يجوز التوسل بسيد الخلق ؟

لقد كثر الكلام في موضوع التوسل، وانقسمت الآراء إلى قسمين، قسم مؤيد للتوسل وقسم معارض ولكل منهما وجهة نظر تؤيده ونوضح فيما يلي بالتفصيل وجهة نظر كل من الرأيين:

١- الرأي المؤيد للتوسل يقول إن :

التوسل مشروع بالكتاب والسنة وآثار السلف الصالح قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾(البقرة: ٨٩). وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ** ﴾(البقرة: ٢٤٨). وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ**

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٥).

وروى الإمام المنذري: أن أعمى أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لى عن بصري، قال ((أوَ أدعُك))، قال يا رسول الله إنه قد شق على ذهاب بصري، قال: ((**انطلق فتوضأ ثم صلّ ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه إلى ربي بك أن يكشف لى عن بصري، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي**)) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب والنسائي واللفظ له وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم، فرجع وقد كشف الله عن بصره.

والتوسل جاء به القرآن الكريم ونطقت به السنة المحمدية وآثار السلف الصالح المجمع على جلالتهم وورعهم وشدة تمسكهم بالسنة المحمدية، فها هو القرآن المبين ينطق بأفصح بيان وأحسن تعبير.

يقول الله تعالى، ولما جاءهم– أي اليهود– كتاب من عند الله– وهو القرآن– مصدق لما معهم– وهو التوراة– وكانوا من قبل– مجيئه– يستفتحون: أي يستنصرون به، أي بالمُنزل عليه وهو حضرة النبى ﷺ لأنه كان مكتوب في التوراة صفات النبى ﷺ وكان من صفاته ﷺ أن من استنصر به نُصر، فكانوا يقولون عند لقاء العدو، اللهم انصرنا بحق نبي آخر الزمان فينصرون، فلما جاءهم النبى ﷺ الذي عرفوا صفاته كفروا به فلعنة الله على الكافرين، كذلك قال المفسرون، وكذلك قصة التابوت أي الصندوق الذي كان فيه بقية مما نزل على آل موسى وآل هارون وهي رضاض الألواح أي كِسَرُها وعصا موسى وثيابه والتوراة وكانوا يحملونه معهم عند ملاقاة العدو ويستنصرون فينصرون.

وقد أمرنا الله تعالى بالتقوى والقرب إليه بالعمل الصالح، فإذا لم يكن للعبد عمل صالح تقرب إليه بأخيه المؤمن الذي له عمل صالح وهكذا درج السلف والخلف إلا ما حدث في هذا الزمان من قوم مبتدعين أظلمت قلوبهم فعميت عن الحق، وقلبوا الحقائق وتمادوا في المكابرة والاستكبار حتى أدى بهم الأمر إلى

الاعتراض على بارئ الأرض والسموات وادَّعوا أن العالم كله في مستوى واحد ولم يعلموا أن هذه نزعة من نزعات إبليس لعنه الله حيث لم يرض بتفضيل آدم عليه السلام بل تمادى به الكبر حتى قال لرب العزة: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾(الأعراف: ١٢). فكان ذلك سببا في طرده ولعنه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾(البقرة: ٣٤). وقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾(البقرة: ٣١– ٣٣).

تأمل في هاتين الآيتين الكريمتين وأمعن النظر فيهما وانظر ما الحكمة في أمر الله جل جلاله ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام، أليس هذا تعليما وتنبيها أن لبني آدم شأنا عظيما عند الله، وأنهم أفضل المخلوقات حيث جعل فيهم الأنبياء والرسل وميزهم بالعلم والعقل والإدراك.

ثم إن الله تعالى فضل بني آدم بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾(الأنعام: ١٦٥). ففضل الأنبياء على غيرهم من بني آدم، بل على سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴾(آل عمران: ١٧٩). وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾(الحج: ٧٥). وفضل الأنبياء بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾(الإسراء: ٥٥). وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾(البقرة: ٢٥٣). ثم ما عدا الأنبياء من الصديقين والشهداء والصالحين فضل بعضهم على بعض، وذلك بحسب تقواهم ومعرفتهم بربهم، فأقربهم عنده منزلة وأكرمهم، وأتقاهم له، وأخشاهم منه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ

اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(الحجرات: ١٣). وأثبت أنهم هم العلماء بل حصر العلم فيهم فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(فاطر: ٢٨). ولم يرض بتسوية غيرهم به، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾(الزمر: ٩). وبيّن كيفية اتصافهم بالعلم فقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾(الزمر: ٩). ونفى الحق سبحانه وتعالى المساواة بين عباده الصالحين وغيرهم فقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ ﴾(الجاثية: ٢١). وأثبت الإساءة لمن سوى بينهم فقال تعالى: ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(الجاثية: ٢١).

فهل يسوى بين رجل أفنى عمره في طاعة الله وآثر رضاه على شهوات نفسه وحظوظها قائما لله خاشعا راكعا وساجدا صائما نهاره مستغرقا في حب مولاه لا يفتر عن ذكره، وبين رجل ضيع عمره في المعاصي والملاهي، ممتعا نفسه بجميع شهواتها لا يبالي بالحرام والحلال، أيستوي حال هذا بحال ذاك؟ كلا لا يستويان، قال الله تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(القلم: ٣٥، ٣٦). وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾(ص: ٢٨). وفي الحديث القدسي: **((ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه))** الحديث. ويقول المصطفى ﷺ: **((رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره))** ويقول الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه في حديث آخر: **((إن لله آنية في الأرض وهي قلوب عباده الصالحين أحبها إليه ألينها وأصفاها وأصلبها))** قال سيدنا على بن أبي طالب رضى الله عنه: "أصلبها في الدين، وأصفاها في اليقين، وأرقها على المسلمين" والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد وصف الحق سبحانه وتعالى ذاته العلية بالمحبة فقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(آل عمران: ١٤٨). وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(المائدة: ١٣). وقال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ﴾(المائدة: ٥٤). فقدم محبته لهم على محبتهم له. وأثبت أنه معهم بالنصر والعون فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(النحل: ١٢٨) وحيث ثبت بهذه الآيات والأحاديث أن الله تعالى يحب هؤلاء القوم ويكرمهم فإنه يحب من يحبهم ويكرم من يكرمهم، فقل لى بالله يا أخي، ماذا على شخص رأى من نفسه نقصا وتقصيرا، ورأى أخاه المؤمن أكثر منه طاعة وقربا من ربه، فعرف أنه أحب منه إلى الله وأكرم منه عنده فدعا الله متوسلا به إلى الله باعتبار محبته له وأكرميته عنده التي أثبتها لهم معتقدا أنه بشر مثله أقرب إلى الله وأحب إليه منه وأكرم منه عنده فقال: اللهم إني أتوسل إليك بحق نبيك سيدنا محمد ﷺ أو بحق أهل بيت سيدنا رسول الله ﷺ عندك أو بحق هذا الصحابي أو بحق هذا الإمام أو بحق هذا الولي أن تقضي لى حاجتي أو تشفي لى مريضي، هل يُعَدُّ هذا شركا؟ ومعنى قوله بحق هذا النبى أو بحق هذا الولي أي بحق جاهه عندك وبحق محبتك له وبحق أكرميته عندك. فالكلام على رأي النحويين على حذف مضاف كما في قوله تعالى:﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾(يوسف: ٨٢). أي واسأل أهل القرية كما قاله المفسرون.

وكيف يزعم مدع أن التوسل شرك بعد ما فعله أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد أجمعت الأمة على جلالته وسداد رأيه وكان القرآن ينزل على رأيه، وقد أثبت له الرسول ﷺ أنه ملهَم وأن الشيطان ليس له عليه سبيل، هذا السيد العظيم والأمير الكريم كرم الله وجهه، يتوسل بسيدنا العباس رضى الله عنهما في صلاة الاستسقاء فيقول: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا سيدنا محمد ﷺ فتسقينا والآن نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون " أبعد هذا يدعي مُدَّعٍ أن التوسل شرك، ولعلك تقول إنه توسل بالعباس رضى الله عنه لأنه حي والرسول ﷺ انتقل إلى الدار الآخرة، فأقول لك: ليس هذا مراد أمير المؤمنين رضى الله عنه، وإنما مراده أن القحط حصل بسبب ذنب ارتكبوه فهذا الصحابي الجليل المجمع على جلالته وشدة ورعه وخوفه من الله اتهم نفسه ومن معه بالتقصير كما هو المعروف عن الكاملين، فهو رضى الله عنه يقول: يا رب إن كان ليس في الموجودين من

يستحق الرحمة لذنوبهم فهذا هو العباس عم نبينا يستحق الرحمة وذلك بحسب أقربيته ونسبته لرسول الله ﷺ فهذا هو عين التوسل بالنبي ﷺ وإلا فمعلوم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أفضل من سيدنا العباس رضى الله عنه بإجماع الأمة، فهذا هو سر توسل أمير المؤمنين بسيدنا العباس رضى الله عنهما، فهل لك بعد هذا حجة، أتعترض على الله أم تعترض على رسول الله ﷺ أم تعترض على أصحاب رسول الله ﷺ ؟

ويا من يدعي أن التوسل جائز بالأحياء دون الأموات هل إذا مات النبى أو الولي نزعت منه النبوة والكرامة التي أثبتها الله لهم، أليس النبى نبيا إلى ما شاء الله، والولي وليا كذلك مادام مات على حالة الصديقية والطاعة لله، وهل هم أموات في قبورهم؟ كلا بل هم أحياء، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(آل عمران: ١٦٩). وإذا ثبتت الحياة للشهيد، ثبتت للنبي بالطريق الأولى، لأن الشهيد لم تثبت له الحياة إلا باتباعه للنبي ﷺ فإذا ثبتت الحياة للتابع ثبتت للمتبوع بالطريق الأولى، وقد قال رسول الله ﷺ: **((إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء))**.

وقد قال المصطفى ﷺ: **((إن الله وكل بي ملكا يبلغني سلام من يسلم على من أمتي))**. وقال ﷺ: **((حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، أما حياتي فتحدثون ويحدث لكم، وأما مماتي فتعرض على أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله، وإن رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم))**.

والصديقون أفضل من الشهداء بنص القرآن الكريم حيث قدمهم على الشهداء في كتابه المبين قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ﴾(النساء: ٦٩). وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ (الحديد: ١٩). فقدم الصديقين على الشهداء، وذلك لعظيم فضلهم عند الله تعالى، بل شهادتهم أكبر من شهادة الذين

يجاهدون الكفار لأنهم يجاهدون أنفسهم.

قد أثبت ﷺ أن جهاد النفس أكبر من جهاد العدو وقال ﷺ لأصحابه بعد أن فرغوا من جهاد العدو: ((**قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد هواه**)).

أبعد هذه الآيات القاطعة والأحاديث الصحيحة تنكر حياة الأنبياء والأولياء، وقد ثبت بالأخبار المتواترة عن ثقات الأمة الذين أجمعت الأمة على جلالتهم وورعهم وخشيتهم من الله أن بعضهم رأى النبي ﷺ يقظة واجتمع به حيا كسيدي أحمد الرفاعي طلب من حضرة النبي ﷺ أن يمد يده إليه ليقبلها فمدها له وقبلها، وكان الإمام الشافعي رضى الله عنه مع جلالة قدره يتوسل بالإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضى الله عنه وهو في قبره، ودخل الخليفة أبو جعفر المنصور مع الإمام مالك رضى الله عنه الروضة الشريفة فاستقبل القبلة وجعل ظهره للقبر الشريف فقال له الإمام مالك رضى الله عنه لِمَ تول وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم من قبل، وأخبار الثقات في ذلك كثيرة متواترة.

ولقد نسب الحق عز وجل، الإحياء والإبراء والخلق لسيدنا عيسى عليه السلام فقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي** ﴾(المائدة: ١١٠). أيعتقد مسلم أن سيدنا عيسى خالق مع الله حاشا لله وحاشا لمؤمن أن يعتقد ذلك، وإنما هو سبب في إحيائها وإبرائها. فالله سبحانه وتعالى يخلق الحياة في الميت أو المصور من الطين والشفاء والإبصار في الأكمه والأبرص على يد سيدنا عيسى عليه السلام وهي معجزة له، أي إظهارا بصدق نبوته فكذلك التوسل بالنبي ﷺ أو الولي يقضي الله حاجته ويشفي مريضه إذا توسل بالنبي أو الولي إظهاراً لصدقهما معجزة للنبي وكرامة للولي، فالنبي والولي سببان في إغاثة الملهوف، فإذا ذهب الزائر وتوجه إلى زيارة نبي أو ولي فسلم عليه وقال السلام عليك يا سيدي يا رسول الله، أو السلام عليك يا ولي الله ثم قال: اللهم إني أتوسل إليك بحق هذا النبي أو الولي أي

بحق جاهه عندك وأكرميته وحبك له أن تشفي لى مريضي أو تقضي لى حاجتي فلا جرم أن الله يقبل منه هذا الدعاء ويقضي طلبه معجزة للنبي وكرامة للولي، وقبول هذا التوسل لاعترافه بتقصيره في جانب الله وهضمه لنفسه، ورضاه بقسمة الله في الأزل اقتداء بنبي الله آدم عليه السلام أبي البشر، ولو لم يكن من التوسل إلا اعترافه بذلك لكفاه ذلك في قضاء حاجته، ولو لم يكن من المنكر إلا جحوده وتكبّره وعدم رضاه بقسمة الله في الأزل اقتداء بإبليس لعنه الله حيث قال عند أمر الله له بالسجود لآدم: أنا خير منه، لكفاه ذلك مقتا عند الله وعدم قضاء حاجته وتعسير أموره، على أننا نجد كثيرا من البشر أعطاهم الله علوما ومعارف حِسّية فيخترعون المخترعات العظيمة التي لم يسبق لها مثيل مثل الطيارات، والكهرباء، واللاسلكي والراديو والتليفزيون وغير ذلك من فنون المخترعات التي لو لم نرها لما كنا نصدق بها وهذا في مجرد البشر العادي ولو كفارا فما المانع أن يفيض الله على بعض عباده الصالحين علوما ومعارف وأسرارا تمييزا لهم وإظهارا لفضلهم حيث عبدوه حق عبادته وأطاعوه حق طاعته تصديقا لوعده وإظهارا لقدرته.

فالأنبياء أعطاهم الله علوما ومعارف وأسرارا وجعل قلوبهم محل فيضه ومصب رحمته فضلا منه ونعمة، وكذلك الأولياء أفاض عليهم من تلك العلوم والمعارف والأسرار بصدق اتباعهم لأنبيائهم إظهارا لفضلهم وصدق معاملتهم مع ربهم فيحبهم الناس فيستجيبون لهم ويسمعون كلامهم وإرشاداتهم ويستوي في ذلك حياتهم ومماتهم لأن أكرميتهم عند ربهم لم تُزل بموتهم بل يزدادون قربا وجاها عند ربهم لأنهم خرجوا من دار الدنيا التي هي دار المحن والفتن وسجن المؤمن، خرجوا وقد ثبتوا على الحق حتى لقوا ربهم، فجزاهم ربهم أحسن جزاء وأكرمهم كما وعدهم فجعلهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فالأنبياء والأولياء أحياء في قبورهم لا يزالون في قرب وكرامة وتَرَقٍّ وإفاضة علوم ومعارف وأسرار أكثر مما كان في حياتهم، فمنهم المصلي في قبره، ومنهم من يقرأ القرآن، ومنهم من يشتغل بالتسبيح والتهليل ومنهم المستغرق في جمال الله

وجلاله على حسب حالتهم التي كانوا عليها في الدنيا، فقد ورد في حديث الإسراء والمعراج أنه ﷺ قال:((**مررت بموسى فإذا هو قائم يصلي في قبره**)).

وقد ورد عن بعض الصحابة أنه قال لحضرة النبى ﷺ يا رسول الله إني وضعت خيمتي على قبر لأستريح من تعب السفر فإذ سمعت من داخل القبر من يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك فقال ﷺ: ((**نعم هي الشافية هي المنجية من عذاب القبر**)) وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء. قال ﷺ: ((**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**)) وأجمع أهل السنة والجماعة أن الصديقين والعلماء العاملين وحملة القرآن والمؤذنين المحتسبين لا تأكل الأرض أجسادهم، فإذا كان الجسد لا يبلى، والروح وإن خرجت من عالم الدنيا لا تزال متصلة به فيشعر الميت بالنعيم إن كانت الروح منعمة، ويشعر بالعذاب إن كانت الروح معذبة، هذا في الميت العادي، وقد ثبت في قتلى بدر من الكفار أن رسول الله ﷺ ناداهم بأسمائهم فقال ﷺ: ((**يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا، فإني وجدت ما وعدني الله حقا**)).

وفي رواية قال لهم- **يا أهل القليب، بئس العشيرة كنتم كذبتموني وصدقني الناس،** فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: يا رسول الله: كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها؟ فقال ﷺ: ((**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئا**)) وقد ثبت أن الميت مؤمنا كان أو كافرا يُسأل في قبره، وهل السؤال يكون لحي أو ميت؟ وبعد السؤال إن أجاب فهو منعم وإن لم يجب فهو معذب، وهل الشعور والإحساس بالنعيم والعذاب يكون لميت أو حي؟ وإذا كان هذا للميت العادي، فما بالك بالأنبياء والصديقين، وقد قدمت لك قول الله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾(الجاثية: ٢١) .فهل بعد ذلك إنكار؟ وإذا ذهبت لأحد كبار الموظفين وقلت له: أنت تقضي لي حاجتي، لعلمك باتصاله بصاحب الأمر ووثوقك بأنه لو كلمه لا يرده، أو ذهبت لأحد الأطباء وقلت له: أنت

تشفيني هل يُعَدُّ ذلك شركا؟ وإذا كنا نعد ذلك شركا فالناس كلهم مشركون أم ذلك من قبيل المجاز، وهو نسبة الأشياء إلى أسبابها، فالرجل ذو الجاه سبب في قضاء المصلحة، والطبيب سبب في الشفاء، والقرينة الحالية مانعة من الإسناد الحقيقي كما هو مقرر في علوم البلاغة كقول المؤمن: "أنبت الربيع البقل" أليس ذلك مقررا عندكم أيها العلماء؟ فكذلك قول المؤمن عند زيارته لنبي أو ولي: اقض لي حاجتي أو اشف لي مريضي، معناه أن هذا النبي أو الولي حي في قبره يسمع نداءه فيتضرع إلى الله في إجابة طلبه فيستجيب الله له، لأنه في دار الحق فهو أقوى مما كان عليه في عالم الدنيا، وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة وأخبار السلف الثقات أن الله وَكَّلَ بقبور الأنبياء والأولياء ملائكة يقضون حوائج من توسل بهم إلى الله.

يقول المولى عز وجل: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾(الإسراء: ٢١). ويقول الله تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(يونس: ٦٢- ٦٤). ويقول الله تعالى: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ ﴾(الأنفال: ٣٤). ويقول عز وجل: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾(الأعراف: ١٩٦). ويقول أيضا المولى عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾(فصلت: ٣٠ – ٣٢). تأمل يا أخي في هذه الآية الكريمة وأمعن النظر فيما تقول الملائكة للمؤمنين بعد أن يؤدوا إليهم التحية والبشارة من ربهم: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا والولي معناه الناصر، فالملائكة موكلون بالمؤمنين في الدنيا ينصرونهم، وفي الآخرة هم الذين يبشرونهم في الجنة، ويتولون نعيمهم، فعلم من هذه الآية القاطعة أن الملائكة موكلون بالأنبياء والأولياء ينصرونهم ويعاونونهم معجزة للنبي وكرامة للولي فليس النبي ولا الولي خالقا ولا إلها مع الله حاشا لله وحاشا المؤمن أن يعتقد ذلك والمنهي عنه نسبة الشريك مع

الله، وهذا لا يعتقده مؤمن. ويا للعجب للمنكر المتمادي في المكابرة الذي يقول: أنا مثل سيدنا الحسين! أنا أعمل مثل عمله– قل لي بالله أيمكنك أن تأتي بأب مثل سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وأمّ مثل أمه سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها، وجد مثل جده أطهر المخلوقات وأكرم العالمين سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ هل في إمكانك أن تأتي بمثل هذا؟ فإذا كانت نطفته مخلوقة من هذه النطفة الطاهرة كيف يكون نشؤه رضي الله عنه، ويا هذا تقول أنا أعمل مثل عمله لو كان كل واحد منا يمكنه أن يعمل ما يريد ما كان يظهر التفاوت بيننا فإن كل واحد منا يحب أن يكون ملكا أو نبيا أو قطبا أو غوثا، وأن يكون أقوى الناس خلقا وأكملهم صحة وأغناهم مالا، ولكننا نجد العالم في تفاوت بيّن، فهذا في غاية من القوة والصحة، وهذا في غاية من الضعف والمرض، وهذا في سعة من المال، وهذا في شدة الفقر، وهذا في سعة من العلم، وهذا في غاية من الجهل، وهذا متوسط الحال، وهكذا. أيحب أحد الفقر أو المرض أو الضعف لنفسه؟ كلا فلو كان الأمر بيد كل واحد منا لما رأينا مريضا ولا ضعيفا ولا فقيرا، ولا غير ذلك، فثبت بهذا أن هناك إلها واحداً قهارا، بيده ملكوت كل شيء، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، فيوفقه للإيمان ويملأ قلبه بمحبته، فيجعله محل مناجاته ومصب رحمته، كما أنه تعالى يبغض من يشاء فيبعده عن طاعته كما هو مشاهد محسوس بين الناس فهذا هو الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه يقول لقرابة رسول الله ﷺ: " أنتم أحب إلى من قرابتي ". ويقول أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله حين أعطى سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهما ما أعطاهما من المال، وأعطى ابنه أقل منهما. فقال له ابنه لِمَ لم تعطني مثلهما؟ فقال له رضي الله عنه: وهل أنت مثلهما؟ ائتني بأب مثل أبيهما، وأم مثل أمهما، وجد مثل جدهما وعم مثل عمهما، وعمة مثل عمتهما. انظر إلى هذا الاعتراف الصادر من أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أليس هذا هو كمال الإيمان والعقل السليم، أيسوغ لمؤمن يدعي الإيمان ولا يجد في قلبه حب

رسول الله ﷺ وأهل بيته تعظيما. كلا، ذلك أنه لو وُجد الإيمان لوجدت المحبة قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ ﴾(البقرة: ١٦٥). ومن أحب الله أحب من يحبه الله. قال ﷺ: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**))متفق عليه. وفي رواية: ((**والناس أجمعين**)) وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: ((**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**))(البخاري ح ١٩).

ويا هذا تأمل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(الأحزاب: ٥٦). انظر في هذه الآية تجدها ناطقة بتعظيم حضرة الرسول الأعظم ﷺ أي تعظيم وأي تفخيم حيث أمرنا الله جل جلاله أن نوفي له جزيل شكره فبدأ بنفسه وثنى بالملائكة وأمرنا أن نصلي عليه أي نطلب له من الله الرحمة والنور وأن نطلب له التحية من الله وهذا منتهى التعظيم والإجلال. وأمرنا أن نتأدب في مجلسه فلا نرفع أصواتنا عنده ولا نناديه باسمه. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النبى وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾(الحجرات: ٢). وقال تعالى: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً ﴾(النور: ٦٣). وحيث ثبت تعظيم رسول الله ﷺ بالدليل القطعي ثبت تعظيم أهل بيت رسول الله بالتبعية له قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾(الأحزاب: ٦). وقال تعالى: ﴿ يَا نِسَاء النبى لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾(الأحزاب: ٣٢). وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً ﴾(الأحزاب: ٣١). وقال تعالى: ﴿ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾(الشورى: ٢٣). وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شىء ﴾(الطور: ٢١). وقال رسول الله ﷺ: ((**مثل أهل بيتي فيكم كباب حطة من دخله نجا**)) وقال ﷺ: ((**أحب أهل بيتي إلى الحسن والحسين**)) وقال عليه الصلاة والسلام: ((**حسين مني وأنا من حسين**)).

فتأمل في هذه الآيات القاطعة والأحاديث الصحيحة تجدها ناطقة بوجوب حب أهل بيت رسول الله ﷺ ووجوب تعظيمهم ومودتهم فمحال كل المحال على عبد يعتنق الإيمان ولا يجد في قلبه محبة رسول الله ﷺ وأهل بيته محال كل المحال، لأن الإيمان نور ومحبة قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ** ﴾(البقرة: ١٦٥) ومن لوازم محبة الله محبة رسول الله ﷺ. ومن لوازم محبة رسول الله ﷺ محبة أهل بيته وأصحابه ومن اهتدى بهديه.

مما تقدم تبين لنا أن التوسل برسول الله ﷺ كان معمولا به قبل وجود المصطفى في عالم الملك كما كان متوسلا به في حياته بل وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى **وبيان ذلك تفصيلا فيما يلي:**

أولا: التوسل بالمصطفى قبل وجوده :

١- قال الله تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾(البقرة: ٣٧). روى البيهقي بإسناد صحيح في كتاب دلائل النبوة الذي قال فيه الحافظ الذهبي عليك به فإنه كله هُدى ونور، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لى فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه. قال يارب إنك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، إنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى وإذا سألتني بحقه غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك**)) ورواه الطبراني وزاد فيه ((**وهو خير الأنبياء من ذريتك**)) وفي الشفا للقاضي عياض، وحكى أبو محمد المكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عليه السلام عند معصيته قال: "اللهم بحق محمد اغفر لى خطيئتي وتقبل توبتي فقال له الله من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له".

٢- قال الله تعالى: ﴿ **وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا**

﴿جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(البقرة: ٨٩).

وورد عن ابن عباس وقتادة والسدى أن اليهود كانوا إذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم على موضع ذكر النبى ﷺ وقالوا: اللهم إنا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا أن تبعثه في آخر الزمان أن تنصرنا اليوم على عدونا فينصرون. من تفسير الألوسي.

أليس هذان الدليلان الصحيحان يثبتان أن سيدنا محمدا ﷺ هو الوسيلة التي طلبها الله منا لنتقرب بها إليه؟ أليسا يبيحان لنا معاشر المسلمين أن نتوسل به إلى الله تعالى في طلب ما نرجوه من المقاصد والغايات تأسّيا بأبينا آدم عليه السلام وبأهل التوراة فإن ذلك لو كان يخل بعقيدة التوحيد لما ذكره الله في القرآن مشيرا إلى فضله ومزيته.

وما توسل سيدنا آدم وأهل الكتاب به عليه الصلاة والسلام وقَبِلَ الله توسلهم وأنالهم بغيتهم إلا لعظم مكانته ورفعة قدره عنده جل جلاله فكيف ونحن أمته لا نتوسل بسر الخليقة وسر الوجود على الحقيقة من هو أولى بنا من أنفسنا وهادينا إلى الصراط المستقيم وشفيعنا يوم الموقف العظيم، كيف لا نتوسل بذاته الممتازة عن سائر الذوات الإنسانية والملكية التي نالت من جليل المزايا وجزيل العطايا ما لم ينله نبي مرسل ولا ملك مقرب. كيف لا نتوسل بمن قرن الله اسمه باسمه في الأذان والإقامة والتشهد وصلى عليه هو وملائكته وأمرنا بالصلاة والسلام عليه وجعل طاعته طاعة له وجعله حكما يفصل في الخصومات ويحسم بحكمته وسديد رأيه المنازعات ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾(النساء: ٦٥). كيف لا نتوسل بهذا المثل الأعلى في الفضائل والكمالات وقد أقسم الله بحياته تشريفا لقدره وتنويها برفع ذكره وإعلاما بجليل محبته وسمو معزته فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(الحجر: ٧٢). لعلك تذوق من طهور هذا الشراب ما يفتق رتق قلبك فتفقه سر قسم ربك وتعدل عن غيك وتثوب إلى رشدك وتنهج نهج المحبين لسيد

المرسلين وتقلع عن طعن إخوانك المؤمنين ولا تشذ، فَيَدُ الله مع الجماعة، ولا تجتمع الأمة على ضلالة ومن شذ شذ إلى النار، شرح الله صدري وصدرك ويسر لنيل الكمال في الدارين أمري وأمرك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

٢- التوسل بالمصطفى بعد وفاته :

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾(النساء: ٦٤)- روى أبو صالح عن على ابن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وحثا على رأسه من ترابه وقال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾(النساء: ٦٤) وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. "فنودي من القبر أنه قد غفر لك"من تفسير القرطبي.

وروى الطبراني: "أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان زمن خلافته في حاجة له وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي- وتذكر حاجتك- فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان بن عفان فجاء البواب حتى أخذه بيده وأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة وقال ما حاجتك فذكر حاجته فقضاها له ثم قال ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة وقال له إذا عرضت لك حاجة فائتنا ثم إن الرجل خرج من عند الخليفة فلقي عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلى حتى كلمته فيها، فقال له ابن حنيف والله ما كلمته ولكني أمرتك أن تفعل ما فعله رسول الله مع الأعمى ثم ذكر له حديث الضرير السابق"وقد صحح هذه القصة الهيتمي والمنذري والبيهقي.

فَلَوْ كان التوسل شركا كما يزعم البعض لما علّمه النبى ﷺ للأعمى الذي رد الله إليه بصره ببركته، ولو كان التوسل بعد وفاة النبى ﷺ لا يجوز لما علّمه ابن حنيف في زمن عثمان بن عفان للرجل الذي قضيت حاجته بسره، ولو كان التوسل غير مشروع لما ذكره الفقهاء ورجال الحديث في كتبهم تحت عنوان – صلاة قضاء الحاجة– ولقد ثبتت سرعة الإجابة بهذا التوسل ونفوذ مفعوله في حياة المصطفى ﷺ وبعد وفاته، ولهذا كان السلف رضى الله عنهم يفعلون ذلك إذا أرادوا قضاء مهمة أو نزلت بساحتهم ملمة، ولحسن نياتهم وإخلاص طوياتهم، وأخذهم ما ورد عنه ﷺ بالتسليم والقبول كان الله يقضي حاجتهم ويفرج كرباتهم ببركة المصطفى ﷺ، ولا غرو فقد اختصه الله بكرامته واصطفاه لرسالته: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه ﴾ (الأنعام: ١٢٤). وجعله سفيرا بينه وبين عباده: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (المائدة: ٦٧). وأقامه مقامه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح: ١٠). وجعل اتباعه شرطا لقبول محبة الله وتحقيق مغفرته سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران: ٣١).

٣- توسل المصطفى بالأنبياء قبله :

أخرج الطبراني في معجمه الكبير والأوسط عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على بن أبي طالب رضى الله عنهما دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: **((رحمك الله يا أمي بعد أمي تجوعين وتشبعينني وتعرين وتكسينني وتمنعين نفسك طيبا وتطعمينني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة))** ثم أمر أن تغسّل ثلاثا ثلاثا فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله بيده ثم خلع قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه ثم دعا أسامة ابن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه وقال: الله الذي يحيى ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك

أرحم الراحمين، وكبر عليها أربعا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضى الله عنهما.

٤- **التوسل بآثاره ﷺ:**

ثبت أن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من السلف الصالح كانوا يتبركون بآثاره ﷺ.

وفيما يلي نماذج من هذا التوسل:

١- ورد في صحيح مسلم و سنن أبى داود والنسائي وابن ماجه عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جُبَّة طيالسية وقالت كان رسول الله ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى فنستشفي بها. وهذه الجبة كانت عند أختها السيدة عائشة أم المؤمنين فلما ماتت بنحو خمس وأربعين سنة صارت بيد أسماء، وكان المرضى يشربون من مائها ويمسحون به أبدانهم تيمنا بآثاره ﷺ فيرزقهم الله الشفاء ببركته.

٢- وروى البيهقي أنه كانت شعرات من شعره ﷺ في قلنسوة خالد بن الوليد، فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر. وروى أبو يعلى قال: كانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره ﷺ فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة حتى أنكر عليه أصحاب النبى لكثرة من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره ﷺ لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين. وفي هذا ما يدل على أن آثاره ﷺ أمر عظيم يخاطر بالأرواح لأجله.

٣- وروى أحمد والبخاري عن أبي جحيفة قال: خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك.

٤- وروى البخاري عن عروة بن مسعود الثقفي: أنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وَضوءه وكادوا يقتتلون عليه.

٥- وروى مسلم عن أنس أنه قال: لقد رأيت رسول الله والحلاق يحلقه وقد

أطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل- تبركا بآثاره عليه الصلاة والسلام وكان لا يحلق رأسه إلا في حج أو عمرة.

٥- التوسل بالنبي في عرصات القيامة:

مما قام الإجماع عليه وتواترت به الأخبار أحاديث الشفاعة ولنقتصر على اثنين موجزين منها:

١- روى أبو داود والطبراني والبزار والبيهقي: عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**)).

٢- وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**شفاعتي يوم القيامة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها**)).

وهذه بشرى عظيمة لأهل الإيمان نسأله عز وجل أن يشرفنا ويجعلنا من أهلها.

ثانيا: وجهة نظر الرأي المعارض للتوسل:

لقد أوضحنا فيما تقدم الرأي الأول المؤيد للتوسل غير أن هناك رأياً آخر ينبغي التنبيه عليه وبيانه فيما يلي:

١- نقل سيدي القطب الشعراني في كتابه درر الغواص عن سيدي على الخواص نفع الله بهما قال: لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبداً من نبي أو غيره، فقلت له كيف؟ قال لأن الرسول واسطة بين العبد وربه في الدعوة إلى الله تعالى لا إلى نفسه، فإذا وقع الإيمان الذي هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك وصار الحق تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ومن رسوله ولم يبق للرسول إلا حكم الإفاضة على العبد من جانب التشريع والاتباع فنفس الرسول تغار من أمته أن يقفوا معه دون الله تعالى، وانظر يا أخي إلى غيرة الحق تعالى على عباده بقوله لرسوله ﷺ: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾(البقرة: ١٨٦) فأعلمنا الحق عز وجل أنه أقرب إلينا من أنفسنا ومن رسولنا الذي جعله لنا واسطة في كل خير مع أنه تعالى بالغ في مدحه ﷺ حتى كاد أن يصرح بأنه هو لكثرة ما وصفه بالكمال في نحو قوله تعالى: ﴿ **مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ**

فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾(النساء: ٨٠). وبقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾(الفتح: ١٠). ومع ذلك قال له: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾(آل عمران: ١٢٨).

ولعل المقصود من قول سيدي على الخواص هو التنبيه على الاحتراز من الغلط في شهوده ﷺ بأن يجعل الشاهد الواسطة كالمقصد فيقف عندها ولا ينفذ إلى المقصد.

٢- ويقول سيدي المرسي أبو العباس رضى الله عنه: قد يجذب الله العبد إليه فلا يجعل عليه مِنّة للأستاذ. وقد يجمع شمله برسول الله ﷺ، فيكون آخذا عنه وكفى بهذا مِنّة فهو ﷺ هو الواسطة في الفيض العميم لمن له شيخ ومن لا شيخ له وهو ﷺ فيضه من سيده وخالقه سبحانه وتعالى وإلى الله ترجع الأمور، وإليه يرجع الأمر كله، إلى ربك الرجعى، وإلى ربك المنتهى. فهو سبحانه وتعالى ولي الجميع وسيدهم والكل عبيده وأصفياؤه، والعبد قد يفنى في مقام الشهود لله تعالى فلا يرى إلا الله تعالى وغيب عن الواسطة ولكن مقام البقاء أعلى وهو إثبات الوسائط مع اعتقاد أن أمور الوسائط كلها قائمة بالله تعالى وهو مولاهم الذي في مظاهرهم أجلاهم، وأكمل رابطة هو سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ، ومدد الخلافة من نوره ﷺ الجاري من معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(الأنبياء: ١٠٧).

ثالثا: الغلو في محبة المشايخ:

١- قال سيدي عبد العزيز الدباغ في الإبريز: كان لبعض العارفين مريد صادق فكان يحبه كثيرا وأطلعه الله على أسرار ولايته حتى أفرط في محبته، وكان يتجاوز بشيخه إلى مقام النبوة، فأظهر الله على يد الشيخ صورة معصية رحمة بالمريد، فلما رآها رجع عن ذلك الإفراط في الاعتقاد ونزل شيخه منزلته ففتح الله حينئذ على المريد، ولو دام المريد على اعتقاده الأول لكان من جملة الكافرين نسأل الله السلامة.

٢- وقال أحمد الرفاعي في كتابه "البرهان المؤيد": لا تعمل عمل أهل الغلو فتعتقد العصمة في المشايخ أو تعتمد عليهم فيما بينك وبين ربك فإن الله غيور لا يحب

أن يدخل فيما آل إلى ذاته بينه وبين عبده أحد، نعم هم أدلاء على الله ووسائل إلى طريقه يؤخذ عنهم حال رسول الله ﷺ.

٣- وقال سيدي أحمد دحلان: وكثير من الناس يقع لهم الغلط في صحبة المشايخ فيرون النفع والضرر منهم غافلين عن جانب الربوبية حتى إن بعضهم ينقطع عنهم عند ظهور عجزهم من قضاء ما يريده ذلك المريد، وبالجملة فليحترز كل الاحتراز عن حال من يقع له الغلط في شهود الواسطة حتى يجعلها كالمقصد، فنفس الرسول ﷺ تغار من أمته أيقفون معه دون الله تعالى وليستحضر أنه لولا تعريف الله تعالى لنا به ﷺ ما عرفناه وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، إنك لا تهدي من أحببت، اللهم لولا أنت ما اهتدينا. وإلى هذا يشير قول أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه: قرأت ليلة ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا. فرأيت النبي ﷺ يقول أنا ممن يعلم ولا أغني عنك من الله شيئا، فلابد من شهود كونه ﷺ واسطة ولا يجعله كالمقصد لأن الضار النافع حقيقة هو الله تعالى. وهو ﷺ واسطة غير مستغنى عنه فلا يشتبه عليك الأمر فتقع في الغلط ولا تجعل الواسطة كالمقصد وليكن نظرك هكذا في جميع الوسائط والأسباب العادية واحذر أن تعتقد التأثير لشيء غير الله.

٤- ويقول أحمد الرفاعي في كتابه "البرهان المؤيد": أي سادة إذا استعنتم بعباد الله وأوليائه فلا تشهدوا المعونة والإغاثة منهم فإن ذلك شرك ولكن اطلبوا من الله الحوائج.

٥- ويقول سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه "المنن": ومما منَّ الله تبارك وتعالى به على إيثار جناب الحق جل وعلا على جناب نفسي في عدم تمكيني لمريدي أن يرسخ محبتي في قلبه وهذا أمر قَلَّ من يتنبه له من المشايخ والمريدين فيجب على الشيخ أن يأمر المريد بمحبته من حيث كونه واسطة بينه وبين الله تعالى مع عدم الوقوف معه فربما تخلف الفتح على المريد بسبب ذلك، ومما وقع أن مريدا لسيدي الشيخ أبي مدين المغربي رضى الله تعالى عنه كان على قدم عظيم في

الاجتهاد، وهو مع ذلك لا يفتح عليه فنظر سيدي أبو مدين في أمره، فقال له يا ولدي إن أردت سرعة الفتح فارفع محبتي من قلبك فإني نظرت جميع الحجب التي بينك وبين الله تعالى فوجدتها كلها قد ارتفعت وما بقى بينك وبينه إلا حجاب محبتي فارفعه يفتح عليك ففعل ففتح الله عليه تلك الليلة– قال تعالى: ﴿ **مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ﴾(الأحزاب: ٤).

فانظر يا أخي إلى هذه النصيحة الخفية التي لا يكاد أحد يطلع على وجهها من شدة خفائها، وهذا الأمر يقع فيه كثير من مريدي مشايخ هذا العصر فيبالغون في تعظيم شيخهم حتى يسخر الناس منهم. قال عليه الصلاة والسلام: **((لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم))**. انظر البخاري حديث: ٣٤٤٥، ٦٨٣٠.

* * *

الباب الحادي والعشرون

شطحات أهل المحبة

ورد في الخبر عن سيد البشر– كما سبق القول– فيما رواه عن ربه جل وعلا: ((**كنت كنزا مخفيا لم أُعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبي عرفوني**)) فلولا الحب ما عرف المحبوب ولولا الطلب منه ما وجد مطلوب. بسبْق حبه لنا أحببنا. وبتَقْريبه القُربَ منا تقربنا، وبه زالت عن العيون الغشا، يهدي الله لنوره من يشاء، وتألفت الأشباح وامتزجت الأرواح، واتحدت الحقائق، وتوحدت العلائق، فحنت النفوس لتعاطي خمرة تلك الكؤوس، وقُرئ الحرف المطموس، فما برز للوجود، سر مشهود لأهل الشهود أو لأهل دعوى الوجود إلا عن نقطة الحب الأزلي، والميل الأقدسي الجلي، فمن كُشِف له عن سر الحب المستور، وأُذن له في تلك الحضرة بالحضور، كان من أهل النور، بل من الذين لهم نور على نور، وكل من دخل رياض الحب شهد العجائب، ومن حل غياض القرب عاين الغرائب، فيالها من حضرة تحضر الغائب، وتجعل الأباعد أقرب من الأقارب، وتروق فيها المشارب لكل شارب، ويبلغ فيها الآمال والمآرب، سماء نجومها زاهرة، ولواحظ أقمارها ساهرة، وشموس أفلاكها باهرة، أبصار أهلها في جمالها شاخصة، وقلوبهم من تغريد حمائم دوحها راقصة، يحسَبهم الرائي صُحاة وهم سكارى، ويَظُنُّهم قد اهتدوا وهم فيها حيارى.

لَيَالِي العَاشِقِينَ غَدَتْ نَهَارا	لأَنَّهُمُ قَدْ بَاتُوا سَهَارَى
وَإنْ هُمُ أصْبَحُوا صُبَّتْ عَلَيهم	غُيُوث العِشق فَانقَلَبُوا حَيَارَى
تَرَاهُم حَاضِرِينَ وَهُم غيَابٌ	تَرَاهُمْ صَاحِينَ وَهُمْ سُكَارَى
تَرَاهُم نَاطِقِينَ وَهُمْ سُكُوتٌ	تَرَاهُمْ مُطلقِينَ وَهُمْ أسَارَى
ثِيَابُ العِزّ قَدْ نَزَعُوا وَهَامُوا	وَفِي أحْبَابِهم خَلَعُوا العِذَارَى

فالحبُ إذا تمكن سَكن، وإذا سكن حَرَّكَ اللواعج، وأهَاجَ سِراجَهُ الوهاج لتلك المراقي والمعارج ينسى الأهل والوطن فإذا تمكنت في ضمائره محبته، واتضحت

لديه مرتبته، وصحت فيه نسبته، ورسخت معرفته ونظر إلى توحد الوجود من حيث الحقيقة لا الصورة وشهد مرتبة الإطلاق لا المرتبة المقيدة المحصورة، عربد في سكره إذ نال من مناه المُنى كما قال الحلاج أنا من أهوى ومن أهوى أنا مُعَبِّرا عن الاتحاد الوهمي. ولكن الاتحاد باطل إذ هو لا يكون إلا بين اثنين، ومقام الجمع يأباه فإنه شهود حق من غير خلق، ولكن لما كان مقام الجمع لدى المتكلم فيه يؤذن بالاتحاد عبر به وإلا فلا اتحاد ولا حلول ولا اتصال ولا انفصال وإن أوهم كلام البعض شيئا من ذلك فلضيق نطاق العبارة إذ هو من علم الإشارة. ومرجع هذه الشطحات هو التجلي الإلهي.

واعلم يا أخي أن التجلي الإلهي على العباد ليس هو في كل شخص كما هو في الآخر، ولا على قانون واحد، ولا على كيفية مطردة وإلا كان ذلك ضيقا في الحضرة الإلهية إذ أن الحق عز وجل واسع بالسعة الحقيقية، فالتجلي متفاوت وأسرار الخلق في ذلك متباينة من كثير وقليل فالحق عز وجل يتجلى لكل شخص على قدر استعداده وتحمله من تجلي الجمال القدسي الذي لا تدرك له غاية ولا يوقف له على حد ولا نهاية. وإذا عرفت هذا فاعلم أن مرتبة رسول الله ﷺ من التجليات والصفات والأسماء والحقائق لا مطمع في دركه لأحد من أكابر أولي العزم من الرسل فضلا عن من دونهم من النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وأن الذي في مرتبة أولي العزم من الرسل لا مطمع لأحد من عموم النبيين، وان الذي في مرتبة النبوة لا مطمع في دركه لأحد من عموم الأقطاب، وأن الذي في مرتبة القطبانية لا مطمع لأحد في دركه من عموم الصديقين وهكذا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾(الصافات: ١٦٤).

وللعارف وقت يطرأ عليه الفناء والاستغراق حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه وشهوده، ويخرج عن جميع مداركه وجهوده، لكن تارة يكون ذلك في ذات الحق سبحانه وتعالى فيتدلى له فيض من قدس اللاهوت من بعض أسراره ويقتضي من هذا التجلي أن يشهد ذاته عين ذات الحق لمحقه فيها واستهلاكه فيها مما يجعله يصرح

بقوله سبحاني وهو في ذلك معذور لأن العقل الذي يميز له الشواهد ويعطيه تفصيل المراتب وما يستحقه من حقوق وصفات وواجبات هذا العقل قد غاب عنه وانمحق وتلاشى واضمحل، وعند فقد هذا العقل وذهابه مع فيض ذلك السر القدسي عليه، تجده يتكلم بلسان الحق لا بلسانه ومُعرباً عن ذات الحق لا عن ذاته، فيُدلي بشطحات ومن هذا الميدان قول أبي يزيد البسطامي سبحاني ما أعظم شأني، وقول الحلاج ما في الجبة إلا الله، وكذلك قول التستري أنا من أهوى ومن أهوى أنا وكذا الكثير من قول ابن الفارض. وهذا مما يعطيه الفناء والاستغراق في ذات الحق وهذا أمر خارج عن المقال يدرك بالذوق وصفاء الأحوال فلا يعلم حقيقته إلا من ذاقه.

وتارة يكون الاستغراق للعارف والفناء في ذات النبي ﷺ لغيبته في ذات النبي ﷺ فيتدلى له ﷺ ببعض أسراره فإذا كُسيتْ ذاته ذلك السر فلا يشهد ذاته إلا ذات النبي ﷺ ويعلمه ببعض ما اختص به نبيه ﷺ من الخصوصيات التي لا مطمع فيها لغيره ﷺ فيتكلم بلسان النبي ﷺ نيابة عنه ببعض ما اختص الله به نبيه من الخصوصيات العظام ما له به علو وشرف وشفافية على مراتب جميع النبيين والمرسلين، فهو يخبر عما أعطى الله نبيه ﷺ مخبرا عن نفسه، فمن يسمعه من خلق الله يظن أنه ينسبه لنفسه، وإنما نسبه للنبي ﷺ لغيبته في ذاته، فإذا انفصل ذلك العبد عن هذا الفناء والاستغراق ورجع لحسه وشاهده فإنه يتبرأ من جميع ما قاله لعلمه بمرتبته. وقس هذا الحال وذاك التبرؤ على جميع الشطحات التي تصدر من الشيوخ. وهذا الفناء الذي ذكرناه من فناء العارف في ذات الله وفي ذات النبي ﷺ ليس هو لكل العارفين ولا في كل وقت من أوقات من يقع له ذلك بل هو خاص ببعض الأوقات لبعض العارفين فقط.

وإن الذي حدث من الشطحات هو أشبه بما حدث للرجل الذي ضربه مثلا رسول الله ﷺ لفرح الله تبارك وتعالى بتوبة عبده– إذ نام الرجل خلال سفره وعند رأسه راحلته وعليها طعامه وشرابه، فلما استيقظ لم يجدها فالتمسها في كل مكان دون جدوى، فعاد به اليأس إلى مكانه الأول وقال لنفسه أنام حتى أموت، فلما استيقظ من بعد ذلك وجد راحلته عند رأسه وعليها طعامه وشرابه فقال: اللهم

لك الحمد فأنت عبدي وأنا ربك– أخطأ لشدة فرحه، فالله أشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل بعودة راحلته إليه وعليها طعامه وشرابه.

ويا له من مثال رائع ذلك الذي يصور به رسول الله ﷺ فرح الله بتوبة عبده.

فيكون ما حدث لولي الله الصالح أن الله تبارك وتعالى قد تجلى في مرآة قلبه حين استغرقه في الذكر تجليا أدهش القلب واختل منه توازن العقل فارتج على لسانه فلم يدر ما هو قائل فقال مِنْ دهشته: سبحاني ما أعظم شأني. وهو يريد أن يقول سبحانك ما أعظم شأنك ولكنه أخطأ من شدة ما فاجأه من هجمات تجلي ذي الجلال في مرآة قلبه وما يعاقب الله عبدا لمثل هذا الخطأ الذي لا يعنيه وهو يعلم أنه يعني الصواب لا الخطأ. فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول: **((رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)).**

والدليل الأكبر على صحة ما يقول أن هذا الولي الصالح لم يقل ذلك إلا مرة واحدة وما عاد إليها بعد ذلك قط ولو كان هذا حالا يدعيه لنفسه لأصر عليه فقاله في غدوه ورواحه ولكنه لم يفعل، وأنه ما أُثِر عنه إلا كل خير من قبل ومن بعد.

ولكننا لإتمام إظهار الحكم الشرعي نقول بعد ذلك أن كل صوفي صادق يُقر حكم الله في أي مخلوق كائنا من كان يصدر منه مثل هذه المقولة وبه بقية عقل تمكنه من أن يعي ما يقول فإنه يكفر لا محالة– إلا أن تكون في إطار ما سبق بيانه. (من كلام العارف بالله تعالى الأستاذ عبد الله محمد أحمد الجنايني في كتابه "نور الحق والحقيقة" وما بعد الحق إلا الضلال). والله يقول الحق ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وصاحب الشطحات مغلوب بالحال لأنه لا يفرق بين القرب والبعد لشهوده العين دون البين. فهو عارف صاحب عين، والكامل من له عيون، وما قنع بفن بل طلب فنونا، ووصل لدرجة السكون.

فالعارف مقامه المحو، والكامل مقامه الصحو. والمحقق هو الجامع في آنِ المحو والصحو. ففي الصحو محو وفي المحو صحو.

والمحو فناء. والصحو بقاء. وبقاء البقاء فوق فناء الفناء.

فمن محيت عينه عن عين عينه. وغاب عن أينه وبينه كان مشهده القرآن لا الفرقان. فلم يفرق بين الأماكن والزمان. ومن أعطى الفرقان في القرآن، قال بالتمييز بين الأماكن والأمان. ورد في الحديث القدسي. وهو المنسوب إلى الله تعالى الذي أوحى معناه لنبينا وعبّر عنه بلفظه مسنداً ذلك إلى ربه جل وعلا: **((من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا. ومن أتاني يمشي أتيته هرولة))**(متفق عليه).للربوبية رتبتان: رتبة تنزل: "مرضت فلم تعدني، واستطعمتك فلم تطعمني" ورتبة تعلّ: "وهو القاهر فوق عباده" وليس للعبودية إلا مرتبة التنزل فلهذا إذا تقرب العبد شبرا من حيث مرتبته تقرب الرب منه ذراعا من حيث مرتبته. فلم يستو حال المتقرب شبرا بمن تقرب ذراعا فحصل الفرقان لدى التحقيق.

في مشهد العُرَفاء السَّالكين هذا الطريق، فتمايز عندهم القرب واتفقوا في الشرب واختلف حال أهل الفلاح وأهل الحب. فأقوام شربوا فسكروا فتمايلوا بشراب المحبة فكُشِف لهم من نور جماله وقدس كمال جلاله، ومنهم من يُسقى بغير واسطة والله سبحانه وتعالى يتولى ذلك، ومنهم من يُسقى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء الأكابر من المقربين والصديقين العارفين بالله تعالى.

* * *

الباب الثاني والعشرون

نبراس الوصول إلى معية الله والرسول

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرته ﷺ الفاتحة :

إلى مشايخنا في الله تعالى الفاتحة:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾(تقال عدد ٣ مرات).

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَهِ النَّاسِ ۞ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** ﴾.

﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾آمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ۞ وسلام على المرسلين ۞ والحمد لله رب العالمين.

اللهم أني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تصليَ وتسلم وتبارك على سيدنا محمد النبى الأمي وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء وأعطه يا رب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. اللهم اجعل في المُصطَفَيْنَ محبته وفي العالمين درجته وفي المقربين ذكره، واجزه اللهم عنا ما هو أهله. وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وإخوانه من النبيين والمرسلين والصالحين، وعلينا وعلى جميع من حج بيت الله

الحرام أو اعتمره معهم يا رب العالمين. جزاك الله عنا يا رسول الله أفضل ما جزى به نبيّاً ورسولاً عن أمته وصلى الله عليك في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

الله ❁ الرحمن ❁ الرحيم ❁ الملك ❁ القدوس ❁ السلام ❁ المؤمن ❁ المهيمن ❁ العزيز ❁ الجبار ❁ المتكبر ❁ الخالق ❁ البارئ ❁ المصور ❁ الغفار ❁ القهار ❁ الوهاب ❁ الرزاق ❁ الفتاح ❁ العليم ❁ القابض ❁ الباسط ❁ الخافض ❁ الرافع ❁ المعز ❁ المذل ❁ السميع ❁ البصير ❁ الحكم ❁ العدل ❁ اللطيف ❁ الخبير ❁ الحليم ❁ العظيم ❁ الغفور ❁ الشكور ❁ العلي ❁ الكبير ❁ الحفيظ ❁ المقيت ❁ الحسيب ❁ الجليل ❁ الكريم ❁ الرقيب ❁ المجيب ❁ الواسع ❁ الحكيم ❁ الودود ❁ المجيد ❁ الباعث ❁ الشهيد ❁ الحق ❁ الوكيل ❁ القوي ❁ المتين ❁ الولي ❁ الحميد ❁ المحصي ❁ المبدئ ❁ المعيد ❁ المحيي ❁ المميت ❁ الحي ❁ القيوم ❁ الواجد ❁ الماجد ❁ الواحد ❁ الصمد ❁ القادر ❁ المقتدر ❁ المقدم ❁ المؤخر ❁ الأول ❁ الآخر ❁ الظاهر ❁ الباطن ❁ الوالي ❁ المتعالي ❁ البر ❁ التواب ❁ المنتقم ❁ العفو ❁ الرءوف ❁ مالك الملك ❁ ذو الجلال والإكرام ❁ المقسط ❁ الجامع ❁ الغني ❁ المغني ❁ المانع ❁ الضار ❁ النافع ❁ النور ❁ الهادي ❁ البديع ❁ الباقي ❁ الوارث ❁ الرشيد ❁ الصبور.

لا إله إلا الله ❁ لا إله إلا الله الرحمن ❁ لا إله إلا الله الرحيم لا إله إلا الله الملك ❁ لا إله إلا الله القدوس ❁ لا إله إلا الله السلام لا إله إلا الله المؤمن ❁ لا إله إلا الله المهيمن ❁ لا إله إلا الله العزيز لا إله إلا الله الجبار ❁ لا إله إلا الله المتكبر ❁ لا إله إلا الله الخالق لا إله إلا الله البارئ ❁ لا إله إلا الله المصوِّر ❁ لا إله إلا الله الغفار لا إله إلا الله القهار ❁ لا إله إلا الله الوهاب ❁ لا إله إلا الله الرزاق

لا إلـه إلا الله الفتـاح ۞ لا إلـه إلا الله العلـيم ۞ لا إلـه إلا الله القـابض
لا إلـه إلا الله الباسـط ۞ لا إلـه إلا الله الخـافض ۞ لا إلـه إلا الله الرافـع
لا إلـه إلا الله المعـز ۞ لا إلـه إلا الله المـذل ۞ لا إلـه إلا الله الـسميع
لا إلـه إلا الله البـصير ۞ لا إلـه إلا الله الحكـم ۞ لا إلـه إلا الله العـدل
لا إلـه إلا الله اللطيـف ۞ لا إلـه إلا الله الخـبير ۞ لا إلـه إلا الله الحلـيم
لا إلـه إلا الله العظـيم ۞ لا إلـه إلا الله الغفـور ۞ لا إلـه إلا الله الـشكور
لا إلـه إلا الله العلـي ۞ لا إلـه إلا الله الكـبير ۞ لا إلـه إلا الله الحفـيظ
لا إلـه إلا الله المقيـت ۞ لا إلـه إلا الله الحـسيب ۞ لا إلـه إلا الله الجليـل
لا إلـه إلا الله الكـريم ۞ لا إلـه إلا الله الرقيـب ۞ لا إلـه إلا الله المجيـب
لا إلـه إلا الله الواسـع ۞ لا إلـه إلا الله الحكـيم ۞ لا إلـه إلا الله الـودود
لا إلـه إلا الله المجيـد ۞ لا إلـه إلا الله الباعـث ۞ لا إلـه إلا الله الـشهيد
لا إلـه إلا الله الحـق ۞ لا إلـه إلا الله الوكيـل ۞ لا إلـه إلا الله القـوي
لا إلـه إلا الله المـتين ۞ لا إلـه إلا الله الـولي ۞ لا إلـه إلا الله الحميـد
لا إلـه إلا الله المحـصي ۞ لا إلـه إلا الله المبـدئ ۞ لا إلـه إلا الله المعيـد
لا إلـه إلا الله المحيـي ۞ لا إلـه إلا الله المميـت ۞ لا إلـه إلا الله الحـي
لا إلـه إلا الله القيـوم ۞ لا إلـه إلا الله الواجـد ۞ لا إلـه إلا الله الماجـد
لا إلـه إلا الله الواحـد ۞ لا إلـه إلا الله الـصمد ۞ لا إلـه إلا الله القـادر
لا إلـه إلا الله المقتـدر ۞ لا إلـه إلا الله المقـدم ۞ لا إلـه إلا الله المـؤخر
لا إلـه إلا الله الأول ۞ لا إلـه إلا الله الآخـر ۞ لا إلـه إلا الله الظـاهر
لا إلـه إلا الله البـاطن ۞ لا إلـه إلا الله الـوالي ۞ لا إلـه إلا الله المتعـالي
لا إلـه إلا الله الـبر ۞ لا إلـه إلا الله التـواب ۞ لا إلـه إلا الله المنـتقم
لا إلـه إلا الله العفـو ۞ لا إلـه إلا الله الـرءوف ۞ لا إلـه إلا الله مالـك الملـك
لا إلـه إلا الله ذو الجـلال والإكـرام ۞ لا إلـه إلا الله المقسط ۞ لا إلـه إلا الله
الجـامع ۞ لا إلـه إلا الله الغني ۞ لا إلـه إلا الله المغني ۞ لا إلـه إلا الله المانع

لا إلــه إلا الله الــضار ۞ لا إلــه إلا الله النــافع ۞ لا إلــه إلا الله النــور
لا إلــه إلا الله الهــادي ۞ لا إلــه إلا الله البــديع ۞ لا إلــه إلا الله البــاقي
لا إله إلا الله الوارث ۞ لا إله إلا الله الرشيد ۞ لا إله إلا الله الصبور.

الله الرحمن الله الرحيم الله الملك الله القدوس الله السلام الله المؤمن الله المهيمن الله العزيز الله الجبار الله المتكبر الله الخالق الله البارئ الله المصور الله الغفار الله القهار الله الوهاب الله الرزاق الله الفتاح الله العليم الله القابض الله الباسط الله الخافض الله الرافع الله المعز الله المذل الله السميع الله البصير الله الحكم الله العدل الله اللطيف الله الخبير الله الحليم الله العظيم الله الغفور الله الشكور الله العلي الله الكبير الله الحفيظ الله المقيت الله الحسيب الله الجليل الله الكريم الله الرقيب الله المجيب الله الواسع الله الحكيم الله الودود الله المجيد الله الباعث الله الشهيد الله الحق الله الوكيل الله القوي الله المتين الله الولي الله الحميد الله المحصي الله المبدئ الله المعيد الله المحيي الله المميت الله الحي الله القيوم الله الواجد الله الماجد الله الواحد الله الصمد الله القادر الله المقتدر الله المقدم الله المؤخر الله الأول الله الآخر الله الظاهر الله الباطن الله الوالي الله المتعالي الله البر الله التواب الله المنتقم الله العفو الله الرءوف الله مالك الملك الله ذو الجلال والإكرام الله المقسط الله الجامع الله الغني الله المغني الله المانع الله الضار الله النافع الله النور الله الهادي الله البديع الله الباقي الله الوارث الله الرشيد الله الصبور.

جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره.

اللهم إني أسألك بحق ذاتك العلية وصفاتك السنية وبحق أسمائك الحسنى أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تصليَ وتسلم وتبارك على سيدنا محمد النبى الأمي وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء وأعطه يا رب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. اللهم اجعل في المُصطَفَيْنَ محبته وفي العالمين درجته وفي المقربين

ذكره واجزه اللهم عنا ما هو أهله وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وإخوانه من النبيين والمرسلين والصالحين وعلينا وعلى جميع من حج بيت الله الحرام أو اعتمره معهم يا رب العالمين. جزاك الله عنا يا رسول الله أفضل ما جزى به نبياً ورسولاً عن أمته وصلى الله عليك في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله يا حنان ❁ يا منان ❁ يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم ❁ يارب ❁ يارب ❁ يارب يا أرحم الراحمين ❁ يا أرحم الراحمين ❁ يا أرحم الراحمين❁ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أسألك يا إلهي أن تهدي ثواب هذا ما ذكرناه ونور ما تلوناه هدية واصلة منا إلى حضرة المصطفى ﷺ.

* * *

إلهي و سيدي ومولاي

لقد قلت في كتابك العزيز لنبيك عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾.

وقلت يا رب وقولك الحق ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾.

وقلت يا كريم ﴿ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾.

اللهم إنك أمرتنا بالدعاء وتكفلت بالإجابة. لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد، والنعمة، لك والملك، لا شريك لك.

اللهم أني أدعوك الله، وأدعوك الرحمن، وأدعوك البر الرحيم، وادعوك بأسمائك الحسنى كلها، ما علمت منها وما لم أعلم أن تغفر لي ولوالدي ولزوجتى (ولزوجي) وأولادي وإخوتي وأهلي، وجميع أصحاب الحقوق علينا وجميع أصحاب الفضل علينا وجميع جيراننا من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، وأبينا آدم وأمنا حواء وجميع ذريتهما من الأنبياء والمرسلين والصالحين، وجميع من حج بيت الله الحرام أو اعتمره، وجميع أمة سيدنا محمد ﷺ.

اللهم إني أسالك يا رب أن تغفر لنا جميعاً جميع ذنوبنا، وأن ترحمنا، وأن تعمر قلوبنا وقوالبنا بأفعاله ﷺ، وأسماعنا بأقواله، وقلوبنا بأنواره، وأرواحنا بأسراره، وأشباحنا بأحواله، وسرائرنا بمعاملته، وبواطننا بمشاهدته، وأبصارنا بأنوار محيا جماله، وخواتيم أعمالنا في مرضاته، وأدخلنا اللهم مدخله، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه مشرباً رويا لا نظمأ بعده أبداً غير خزايا ولا ناكثين، واجعلنا يا رب من أهل شفاعته ﷺ.

اللهم أجرنا من الخواطر النفسانية، واحفظنا من الشهوات الشيطانية، وطهرنا من القاذورات البشرية، وصفنا بصفاء المحبة الصديقية، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وارنا الباطل باطلا ووفقنا لاجتنابه.

اللهم إني أسألك أن تحيي قلوبنا وأرواحنا وأجسامنا بنور معرفتك ووصلك وتجليك دائماً باقياً يا الله، وأن تقضيَ حوائجنا، وأن تفتح علينا فتوح العارفين، وأن تتجلى في قلوبنا بأنواع التجليات والأسرار، كما أفضت وتجليت على قلوب أنبيائك وأوليائك وأصفيائك أجمعين بلطفك وكرمك يا كريم.

اللهم وفقنا وتقبل منا وافتح علينا بفضلك أبواب لا إله إلا الله، كما فتحتها على أهل لا إله إلا الله، ونسألك اللهم بحق لا إله إلا الله أن تحيينا بلا إله إلا الله، وأن تمحو من قلوبنا أخلاق الشياطين، وأن تثبت قلوبنا رضا منك يا رحمن، وأن تنور قلوبنا بلا إله إلا الله، وأن تميتنا على لا إله إلا الله محمد رسول الله وأن تحشرنا في زمرة لا إله إلا الله محمد رسول الله. وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: ١٢٧).

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة: ٢٠١).

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ (الكهف: ١٠).

﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾ (الفرقان: ٦٥).

﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران: ٨).

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (آل عمران: ٥٣).

﴿ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٧).

﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران: ١٩٣- ١٩٤).

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾ (الفرقان: ٧٤)

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠).

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الممتحنة: ٤- ٥).

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء ۞ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (إبراهيم: ٤٠ - ٤١).

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ (الإسراء: ٢٤).

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (نوح: ٢٨).

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥١).

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾(المؤمنون: ٢٩).

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾(طه: ٢٥ - ٢٨).

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ علي وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾(النمل: ١٩).

﴿ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾(المؤمنون: ١٠٩).

﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شيء قَدِيرٌ ﴾(التحريم: ٨).

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(الأعراف: ٢٣).

﴿ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين ﴾(الأعراف: ٤٧).

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّار ﴾(آل عمران: ١٦).

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾(الأعراف: ١٢٦).

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾(البقرة: ٢٥٠).

﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾(الدخان: ١٢).

﴿ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾(يونس: ٨٥ - ٨٦).

﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين ﴾(البقرة: ٢٨٦).

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ﴾(آل عمران: ٣٨).

﴿ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾(الأنبياء: ٨٩).

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(الصافات: ١٠٠).

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۞ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ۞ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيم ﴾(الشعراء :٨٣ - ٨٥).

﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِين ﴾(هود: ٤٧).

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين﴾(يوسف: ١٠١).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾(القصص: ١٦).

﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾(المؤمنون: ١١٨).

﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً﴾(الإسراء: ٨٠).

﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ﴾(التحريم: ١١).

﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾(طه: ١١٤).

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(القصص: ٢٤).

﴿رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(المؤمنون: ٩٤).

﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(القصص: ٢١).

﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾(العنكبوت: ٣٠).

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ (ابراهيم: ٣٥).

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(البقرة: ١٢٦).

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِين﴾(الأحقاف: ١٥).

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾(البقرة: ١٢٧).

* * *

(اللهـــمَّ)

اللهم إني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك، الذي إذا دُعيت به أجبت وإذا سُئلت به أعطيت وإذا استرحمت به رحمت وإذا استفرجت به فرجت نسألك:

اللهم يا من اختص بكمال العزة والجمال، وتردى برداء الكبرياء والجلال نسألك عز الدنيا والآخرة على نعت التمام ووصف الكمال: عز الدنيا بالمعرفة والإيقان ودوام الاستغراق في الشهود والعيان وعز الآخرة بنيل الرضا والرضوان واجعل خاتمتنا في الفردوس الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر مع الأنبياء والمرسلين والصالحين تجاه وجهك الكريم وأنت عنا راض كل الرضا يا رب العالمين.

اللهم افتح أبصارنا لشهود عظمتك حتى نراك بك لا بغيرك وافتح أسماعنا لسامع كلامك حتى نسمع بك منك وافتح قلوبنا لورود مواهب غيبك حتى نمتلئ بأنوار محبتك إنك ذو الفضل العظيم.

اللهم يا فتاح يا عليم، يا على يا عظيم يا حليم يا كريم نسألك بمفاتح غيبك ومواهب عزك وبأسرار كتابك أن تفتح بصائرنا بشهود ذاتك وأنوار صفاتك حتى نعرفك حق معرفتك إنك على كل شيء قدير.

اللهم افتح لنا من فيض أسرار العلوم ومكنا من خزائن الفهوم واكشف عن قلوبنا أكنة الحجب يا حي يا قيوم.

اللهم اجعلنا مع أهل القرآن الذين هم خاصتك الذين قلت لكل منهم اقرأ وارق.

اللهم احفظنا بعين رعايتك واكلأنا بسابق عنايتك وتولنا بسر ولايتك كما توليت أنبياءك ورسلك وخاصة أوليائك إنك على كل شيء قدير.

اللهم أدخلنا في حرز حصنك المنيع واضرب علينا سوراً منيعا من سرادقات حفظك يا حفيظ، واكلأنا بعين العناية منك يا سميع.

اللهم إنا نعوذ بك من كل ما يشغلنا عنك ومن كل حال يحول بيننا وبينك يا رب العالمين.

اللهم إنا تحصنا بلا إله إلا الله، واعتصمنا بلا حول ولا قوة إلا بالله وتشفعنا بسيدنا محمد رسول الله ﷺ.

اللهم خصنا بالحفظ والعناية ومن تعلق بنا بالعز الشامل والولاية ومن أحبنا فيك بحسن الختام وتمام الرعاية إنك على كل شيء قدير.

اللهم بعزة جبروتك وكبرياء ملكوتك وسرعة إغاثتك لأوليائك وغيرتك لانتهاك حرمة أصفيائك: أدخلنا في سرادقات عزك المتين واضرب علينا سورا من حفظك الحصين يا حفيظ يا قوي يا متين ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(يوسف: ٦٤).

اللهم يا حفيظ. يا عليم. يا رءوف. يا رحيم. احفظنا واحفظ أهلنا من كل سوء وأصلح ذرياتنا واجعلنا من الصالحين.

اللهم اجعل دارنا مأوى للعز وكهفاً للأمان يأوي إليه أهل العناية والعرفان يا رحمن يا رحيم.

اللهم يا من أعاد يوسف إلى أمه و أبيه ويا من أعاد موسى إلى أمه وهو طفل رضيع ويا من أعاد الرسول إلى مكة بعد أن أخرجوه منها وقلت له وقولك الحق: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥). أكرمنا وارزقنا العود إلى الحج والعمرة مرات عديدة إنك على كل شيء قدير.

اللهم يا واحد يا أحد يا واجد يا جواد انفحني منك نفحة خير إنك على كل شيء قدير.

الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته. اللهم ربنا ولك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، حمدا وشكرا دائما بدوام الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

اللهم إني أدعوك الله– وأدعوك الرحمن– وأدعوك البر الرحيم– وأدعوك

بأسمائك الحسنى كلها ما علمتُ منها وما لم أعلم أن تهدي ثواب ما ذكرناه ونور ما تلوناه هدية واصلة منا إلى حضرة المصطفى ﷺ.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم استجب بحق نور وجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والأرض وبحق ذاتك العلية وصفاتك السنية وبحق أسمائك الحسنى وبسر الفاتحة.
(تقرأ الفاتحة) .

ثم اقرأ الفاتحة لحضرة النبى ﷺ ويضاف إليها أي فواتح أخرى ترغب في قراءتها. ثم قل:

لا إله إلا الله محمد رسول الله (تقال عدد ٣ مرات).

بها آمنا وعليها نحيا وعليها نموت وعليها نلقى الله سبحانه وتعالى.

* * *

خــاتمــة

الحمد الذى بنعمته تتم الصالحات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تصليَ وتسلم وتبارك على سيدنا محمد النبى الأمي وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء وأعطه يا رب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. اللهم اجعل في المصطفين محبته وفي العالمين درجته وفي المقربين ذكره، واجزه اللهم عنا ما هو أهله، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وإخوانه من النبيين والمرسلين والصالحين وعلينا وعلى جميع من حج بيت الله الحرام أو اعتمره معهم يا رب العالمين، جزاك الله عنا يا رسول الله أفضل ما جزى به نبيّاً ورسولاً عن أمته. وصلى الله عليك في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله).

وإنني إذ أختتم كتابي هذا بالصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ، لأسأل الله الكريم البر الرحيم أن يرزقنا التوفيق والهدى والسلامة من الزيغ والردى، وأن يجعلنا من عباد الله الصالحين. كما وأنني أدعو الله تعالى أن ينتفع بهذا الكتاب المسلمون والمسلمات فى مشارق الأرض ومغاربها، وأن يعظم به الأجر والثواب، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجه الله الكريم عبودية لله تعالى حيث إنني لا أريد عليه جزاء ولا شكورا ولا مالاً ولا مطالبَ دنيوية بل هو حسبة معبودية خالصة لله عز وجل وامتثالاً لقول الله تعالى فى سورة هود: ﴿ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

المؤلف / سليمان سامي محمود

المراجـع

١- القرآن الكريم.

٢- كتب السنة.

٣- إحياء علوم الدين للإمام الغزالي.

٤- قوت القلوب لأبي طالب المكي.

٥- خواتيم الحكم للشيخ على دده.

٦- الدر المنظم فى حب الرسول الأعظم.

٧- نشر المحاسن الغالية لليافعى.

٨- روض الرياحين فى حكايات الصالحين لليافعى.

٩- تيسير الوصول إلى معية الله والرسول لزينى دحلان.

١٠- جواهر المعاني للتيجاني.

١١- تسلية الأحزان وتصلية الأشجان لسيدي مصطفى البكري.

١٢- الحكيم الترمذي ونظرية فى الولاية.

١٣- لواقح الأنوار القدسية لسيدي عبد الوهاب الشعراني.

١٤- لطائف المنن والأخلاق لسيدي عبد الوهاب الشعراني.

١٥- البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة.

١٦- شرح تائية السلوك للفرغاني.

١٧- إيقاظ الهمم فى شرح الحكم العطائية لابن عجيبة.

١٨- شرح ابن عباد على الحكم العطائية.

١٩- جامع كرامات الأولياء للنبهاني.

٢٠- حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين للنبهاني.

بيان بأسماء كتب المؤلف

١- النور الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى
٢- الحج بين الشريعة والحقيقة.
٣- موسوعة الدعاء المبارك.
٤- دعاء الأنبياء والرسل.
٥- أدعية أركان الإسلام.
٦- الحب الإلهي.
٧- لآلئ محبة الرسول ﷺ.
٨- أطوار الحقيقة المحمدية.
٩- مناسك الحج والعمرة وما يقال فيهما من دعوات.
١٠- أنوار تجليات الذات الإلهية.
١١- أهل البيت.
١٢- أهل العباءة
١٣- طبقات الأولياء
١٤- مراحل رحلة الخلود
١٥- كيف تكون صوفيًا
١٦- مناجاة وأشعار المحبين فى تربية المريدين
١٧- من أخلاق النبى ﷺ

* * *

الفهرس